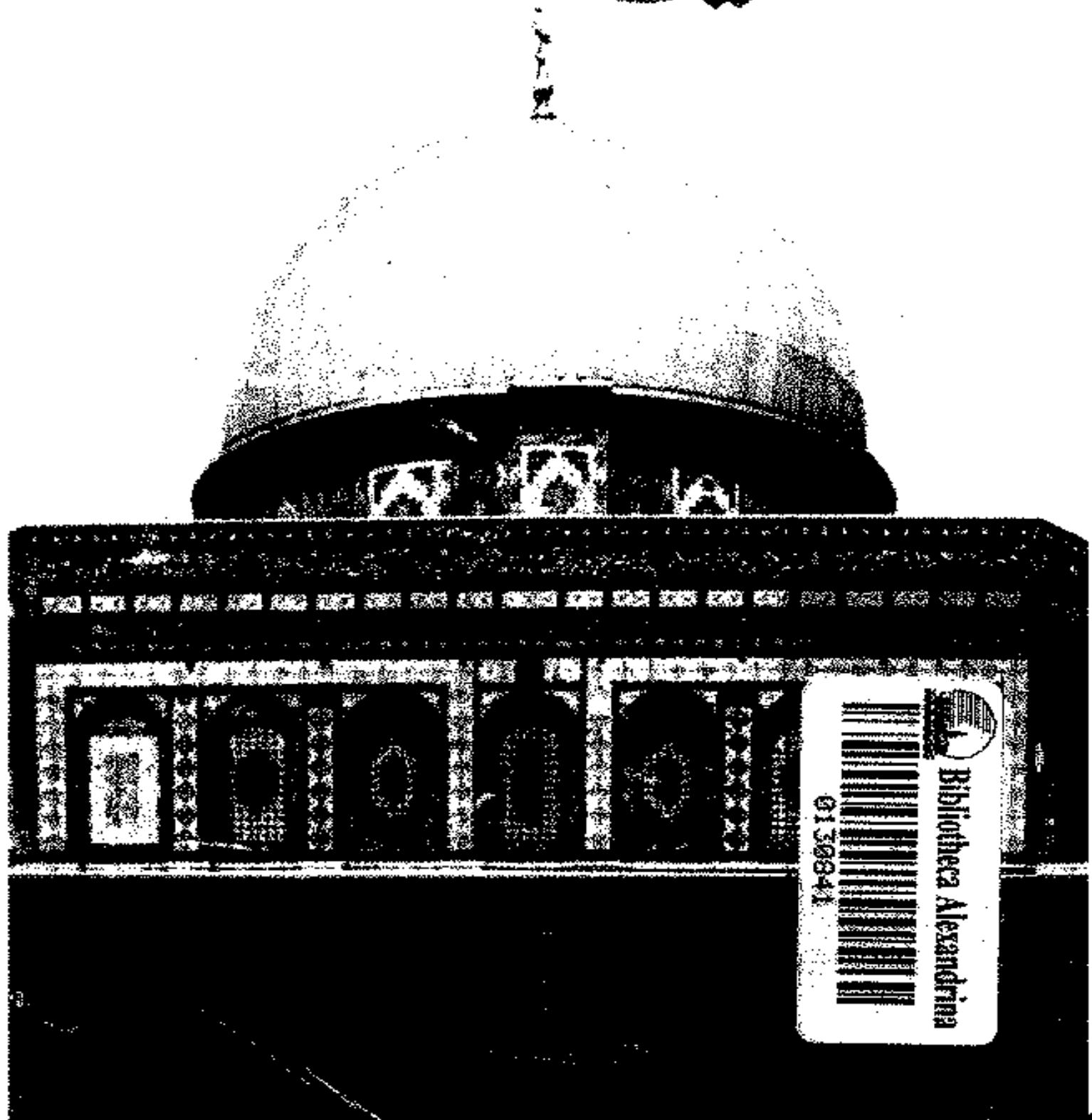


عَارِفٌ بَا شَا العَارِف

تَارِيخُ الْقَدِيسِ

فَاطِمَةٌ



تاریخ القدس

عَارِفٌ بِأَشَا العَارِف

تَارِيخُ الْقَدْس

فاطمة

الطبعة الثانية



دار المعرفة

المؤلف

هو عارف بن عارف المقدسى : مؤرخ من رجال الإدارة والسياسة . ولد في القدس عام ١٨٩٢ .. وتعلم فيها .. وتخرج في كلية الآداب جامعة استانبول عام ١٩١٣ .. جند ضابطاً في الجيش العثماني عام ١٩١٤ .. وأسره الروس حيث قضى في روسيا ثلاث سنوات تعلم فيها الروسية والألمانية .. وعاد إلى القدس ليشارك في إصدار جريدة (سوريا المونية) عام ١٩١٩ .

بعد زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين عين رئيساً لبلدية القدس (١٩٥١ - ١٩٥٣) ثم تولى إدارة متحف الآثار الفلسطيني (١٩٦٧) ولم يغادر فلسطين حتى توفى عام (١٩٧٣) .. وله عدد من المؤلفات يجدها القارئ في نهاية هذا الكتاب .

دار المعارف

الافتداء

إلى أبي

«إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا قال في
غدئه : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ،
ولو قام هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من
أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء التفاصيل على جملة البشر .»

العاد الأصفهاني

كلمة المؤلف

حداً من جعل قصص الأولين عبرة للآخرين . وبعد فإن هذا الكتاب الذي أضنه بين يديك ، أيتها القارئ الكريم ، يقص عليك أخبار هذه المدينة المقدسة بأسلوب توجيهت فيه الإيجاز قدر المستطاع . وقد دعوته « الموجز في تاريخ القدس » . أما تاريخها المفصل ، وهو الذي دأبت على جمعه وتألifice منذ عشرين ، فسيأتي — إذا ما قدر لي إخراجه ل manus — في أربعة مجلدات . وفي هذا وذلك ذكر لمعظم الحوادث التي قامت فيها ومن أجلها على مر العصور ، من اليوم الذي بناناها فيه البيوسيون (سنة ٣٠٠ قبل الميلاد) إلى يومنا هذا . وما ذكرته في كتابي هذا مجملًا ، أورده في كتابي ذلك مفصلاً .

هذا وقد ذكرت ، في الطواش وفي الصفحات الأخيرة من الكتاب ، المصادر التي استقيت منها الأخبار ، حيث تجد كل حادثة من الحوادث التاريخية مسندة إلى مصادرها ، وكل قول من الأقوال المأثورة منسوباً إلى قائله . ولقد بذلت في هذا السبيل ما وسعني من جهد — وإنه بجهد المقل — فلم أترك باباً إلا طرقته ، ولا معبداً إلا وبنته ، ولا كلمة منقوشة على الأسوار أو الجدران إلا أنعمت النظر فيها ، ولا كتاباً أو خطوطاً صنف في تاريخ هذه المدينة وسمعت به ، إلا رجعت إليه أهل من معينه ، ولا طللاً من طلوها البالية ، إلا وقفت عليه أستطعن الخبر .

وحاولت جهدي ألا أنجع في بحوثي مناهج الرواة والمؤرخين الذين اتبعوا أهواءهم السياسية ومعتقداتهم المذهبية ، فحادوا عن محجة الصواب . فإذا كثروا بذكر ما يرضيهم ، ويرضى عترتهم وعشائرهم . وأما أنا فقد انتصمت بالحقيقة

ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . فذكرت جميع الأمم التي استوطنت هذه المدينة ، وما فعلته فيها من خير وشر ، وعنيت عنابة خاصة بالإشارة إلى ما تركته هذه الأمم من طابع فيها . ولم أبال إن كان هذا الطابع نافعاً أو ضاراً ، وإن كان مما يرضي هذا الفريق أو يغضبه ذلك : « إن يمسكم قرح فقد مس » القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .

وصح هذا فإنني لست من يدعى العصمة ، ولا أزعم أنني تمكنت من الوصول إلى كبد الحقيقة . وإنما هي خطوة خطوهَا على قدر ، وأمنية تركت بقية تحقيقها لمن تولاها بعدى وقدر

عارف العارف

١٩٥١ آب ٣١

الباب الأول

القدس في عهودها الغابرة

القدس اليوسية — القدس في زمن الفراعنة — القدس
وبنوا إسرائيل — القدس وآشور — القدس وبابل — القدس
في عهد الفرس — القدس في عهد اليونان — القدس في عهد
الروماني — القدس البيزنطية

القدس اليوسية

(٣٠٠٠ م. ق.)

اليوسيون بناة القدس الأولون . وكانت على عهدهم تدعى : (بيوس) . لانهم بطن من بطون العرب الأوائل . نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، وترعرعوا في أرجائها . ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية . فاستوطنوا هذه الديار . وأغلبظن أن ذلك حدث حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

من ملوكهم : (ملكيصادق) . وهو أول من اخْتَطَّها وبنَاهَا^(١) . وكان قبل ذلك يسكن وقومه في الكهوف . عرف بالتفوي ، فما غشى امرأة ، ولا أراق دمًا ، وما أكل سوى الخبز ، وما شرب سوى الماء . وكان عباده للسلام . حتى أطلق عليه : (ملك السلام) . ومن هنا جاء اسم المدينة : (سالم) و (شالم)^(٢) .

ومن ملوكهم : (سالم اليوسى) . فقد زاد هذا في بنائها . وشيد على الأكمة الجنوبية المعروفة في يومنا هذا بجبل صهيون برجاً يقصد الدفاع عن المدينة . وراسحت هذه بعده تعرف باسمها الكنعاني : (أورو – سالم) أي مدينة السلام . كان الكنعانيون في بادئ الأمر رعاة . ولما استقر بهم المقام في هذه البقعة من الأرض سميت باسمهم (كنعان) . فقد كانوا يومئذ متعددين . وكانوا من المتعة والفورة بحيث تمكنا من صدّ المصريين ، عندما أراد هؤلاء أن يحتسوا

(١) السير السليم في ياقا والرملة وأورشليم ، للأباء المربيسين من ١٠

(٢) سفر التكوير . الإصلاح ١٤ العدد ١٨

بلادهم . وكذلك قل عن العبرانيين ؛ فقد صدّوهم وقاومهم زمناً طويلاً ، ذلك لأنّهم كانوا متعددين .

وكانت مدنهم (بيوس) ذات أهمية من الناحية التجارية ، واقعة على طريقين من أهم طرق التجارة : واحدة تربط البحر بالصحراء ، والأخرى تربط حبرون^(١) بيت أيل^(٢) . وفي بيت أيل كانت الطريق تسير في اتجاهين : واحد نحو شكيم^(٣) . والآخر إلى أريحا ووادي الأردن .

وكذلك قل عنها من الناحية الحربية . واقعة على تلال مرتفعة ومحاطة بسور منيع . وكان ملكها جيش ، وكان بينها وبين الملوك المعاورين حلف متين .

ولما تفرقت كلمة البيوصيين ، استغل العبرانيون الفرصة . فراحوا يغزونهم وكادوا يقتحمون مدنهم . ولم يكن لهما سوى حامية صغيرة . عندئذ استمد حاكمها (عبد حبيا) العون من فرعون مصر تحونس الأول (١٥٥٠ ق. م.) ليحميه من العبرانيين . ذلك لأن هؤلاء كانوا كلما احتلوا مدينة أعملوا السيف والنار فيها وفي سكانها . وأما المصريون فكانوا يكتفون بالجزية ، فلا يتعرضون لسكان البلاد ويعتقدونهم لا يصيرون بسوء . وركض الفراعنة لنصرتهم كما سندكر ذلك في الفصل الثاني .

يعتقد المؤرخون أن معظم سكان القرى في قطاع القدس يرجعون إلى أصل كنעני ، وأن لغتهم الأصلية كانت كنعانية . وإنضمت إليها — عند الفتح البabil — اللغة البابلية . وظلت هذه اللغة هي الرسمية حتى الفتح الفارسي . كانوا يعبدون الأصنام ، وصيّرهم الأكبر : (بعل) ومعناه الرب .

(١) التليل (٢) (بيعن) من أعمال دام آقه (٣) نابلس .

القدس في زمن الفراعنة

(١٤٧٩ ق. م.)

قلنا في الفصل السابق إن أحد رجال السلطة في أورو— سالم : (عبد حبيبا) أرسل إلى فرعون مصر تحتمس الأول (١٥٥٠ ق. م) رسالة أبدى فيها خضوعه، وطلب أن يحميه من غارات العبرانيين . هذا ما حدثتنا به الواح تل العمارنة . إننا لانعلم شيئاً عما فعله هنا تحتمس الأول . ولكن التاريخ حدثنا أن يوسم خضعت لفراعنة مصر خضوعاً تماماً في عهد تحتمس الثالث (١٤٧٩ ق. م) وأن هذا أقام عليها حاكماً من أبناء مصر . ومن الفراعنة التي كانت لهم جولات فيها أمين حوتب الثالث (١٤١٣ ق. م) . وإختاتون (١٣٧٥ ق. م) وكانت القدس على عهده من ممتلكات مصر العظيمة . وتوت عنخ آمون (١٣٥١ ق. م) ، وسقى الأول (١٣١٤ ق. م) . ورمسيس الثاني (١٢٩٢ ق. م) . وشيشاقي (٩٧٠ ق. م) . ونويخور (٦١٠ ق. م) . كان المصريون تارة يطلقون عليها اسمها البيوسى : (بابيشى) ، وطوروا اسمها الكنعاني : (أورو— سالم) . وقد اتخذوها عثراً أمامياً لقربها من البداية . فكان لهم فيها قشلاق كبير ، وجند كبيرون ، وموظرون ، وحياة . وكان قصدهم من احتلالها حياة طريق التجارة .

وكانت على عهدهم مليئة بالغابات الكثيفة . ولا سيما ذلك الجزء من البلاد الممتد من الجبال إلى البحر . وكان المصريون يأخذون منها الخطب والأخشاب اللازمة لصناعتهم .

ولم يحاول المصريون تجسيرها ، بل اكتفوا بتحصيل الجزية من سكانها^(١) .

(١) (تاريخ سوريا) سطران يوسف النبوس ص ٢٦٢ .

وما كانوا ليكتنلوا لعادات القوم وديانتهم . لا ، ولا لشونهم الاجتماعية الأخرى . وما كانوا ليصدوا أى فريق من السكان عن التحالف مع الفريق الآخر . بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع أعدائهم . وكثيراً ما تمدد الكتائبيون ، وثاروا على المصريين ، وأبوا أن يدفعوا لهم الجزية . ويظهر أن العبرانيين استغلوا الموقف بعد ذلك ؛ فجاءوا يحاربونهم ، وتمكنوا من احتلال يبوس في عهد داود (١٠٤٩ق.م) . كما سندكر ذلك في الفصل الثاني .

القدس وبتو إسرائيل

(١٠٤٩ق.م.)

خرج بني إسرائيل من مصر في عهد فرعونها رعمسيس الثاني (١٢٥٠ق.م) . فاجتازوا بقيادة زعيمهم موسى صحراء سينا . وقد تاهوا فيها أربعين عاماً . حاولوا في بادئ الأمر دخول هذه البلاد التي أسموها (أرض الميعاد) من ناحيتها الجنوبيّة ؛ فوجدوا فيها قوماً جبارين . ولما بدلوا طريقهم ، ووصلوا إلى جبال موآب ، شرق الأردن ، توفى موسى . فتولى قيادتهم يشع بن نون . فعبر هذا بهم الأردن (١١٨٩ق.م) واحتل أريحا . فدكها دكاً . وقتل من وجده فيها ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة ، شيخ أو طفل (١) .

وكل ذلك فعل في (عای) (٢) و (الخلجال) (٣) و (شيلوح) (٤) والمدن

(١) سفر يشع : الإصلاح ٦ مدد ٢١ - ٢٥

(٢) إنها خربة (الميان) الواقعة على مسافة ميلين إلى الجنوب الشرقي من (بيعين) من أعمال رام الله .

(٣) إنها (تللة المطبيولة) الواقعة على بعد ميل ونصف من أريحا إلى الشرق . وتقبل إنها كانت في الموضع المعروف في يومنا هذا بالمنطقة الأخرى من أريحا والقدس .

(٤) على مسافة ثلاثة أميال من الجن إلى الجنوب ، وميل واحد من ترميمها إلى الشهاب الترب .

الكتناعية الأخرى التي احتلها في طريقه إلى يهوس . ولكنها لم يتمكن من احتلال يهوس نفسها . إذ كانت هذه مخصبة تحصيناً تماماً . وقاومه اليهوسين .

وحاول بنو إسرائيل ، بعد موت يشوع ، احتلال يهوس . وزحفوا إليها بقيادة (يهودا) الذي ترعنهم بعد ذلك ؛ فاحتلوها ، وأشعلوا النار فيها . وقتلوا عشرة آلاف رجل من سكانها . إلا أنهم عادوا ، فاخذوها تحت ضغط اليهوسين . وظل هؤلاء يهزاون بحملات العبرانيين عدة قرون .

ولما مسح داود ملكاً على بني إسرائيل (١٠٤٩ ق.م.) وكان يومئذ يقيم في (حبرون) زحف نحو يهوس بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، يقوده ابن أخيه (يواقب) . وقاومه اليهوسين في بادي الأمر مقاومة عنيفة ، وصدهوه عنها . إلا أنه عند ما أعاد الكرة ، وتمكن من احتلال (تل أولن) الكائن في جنوبها ، والمعطل على قرية (سلوان)^(١) ، أصبحت (عين روبل)^(٢) بيده . وكانت هذه هي النبع الوحيد الذي يستثنى اليهوسين منه الماء . عندئذ سقطت يهوس بطبيعة الحال (١٠٤٩ ق.م.) .

كانت يهوس ، قبل احتلاله لها ، ذات حضارة . وكان فيها منازل متقدمة ، حوتت الكثير من أسباب الراحة والرفاهية . وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة ودبابة . فاقتبس العبرانيون^(٣) هذه الحضارة من يهوس ، وبنوا المدن الكنعانية الأخرى التي احتلواها . فخادروا السليمان . وسكنوا في بيوت بنوها كبيوت الكنعانيين . وخلعوا عنهم البخلود التي كانوا يلبسوها ، وليسوا بدلاً منها ثياباً منسوجة بالصوف . كتاب الكنعانيين .

(١) (سلوان) القرية الملائقة لسور القدس من الجنوب .

(٢) هي عين الماء المعروفة اليوم بعين أم الدراج .

(٣) (تاريخ العصور القديمة) لبرستد .

ولما احتل داود بيسوس ، وكانت كما قدمنا ، أحياها ، فاتخذها عاصمة ملكه . ولكنه ترك اسمها الكنعاني (أورو - سالم) وأسمها (مدينة داود) . وقد أحصى سكانها ، فشار عليه قومه . ثاروا بتحريض من ولده أبسالوم . فهرب منها . ثم رجع إليها بعد موت ولده .

وتمكن داود بمساعدة نجله الأكبر سليمان من إحباط مؤامرة ثانية قام بها ابنه الرابع آدونيا . ومن الأسباب التي دعت قومه للثورة أنه أحصاهم . فاعتبروه سبيلاً للطاعون الذي أصابهم . فقالوا له : الله الذي خلقنا يعرفنا ، فلماذا أحصيتنا ؟

ويظهر أن داود ندم على عمله . إذ راح الشعب ينفض من حوله بعد عملية الإحصاء هذه . ولكن يرضي شعبه ، أبيد رغبته في بناء هيكل ليكفر عن ذنبه . فابتاع من إرثان اليوسى أرضه الواقعة على تل موريما^(١) وكانت قبل ذلك بيلرا . ابتعادها بخمسين شاقلاً من الفضة . وشرع في بناء الهيكل . ولكنه مات (١٠١٥ ق. م) قبل أن تتحقق أمنيته .

ولما مات داود مسع ابنه سليمان ملكاً . وقيل أن مسحة جزى على مقربة من عامله . ولقد اتسعت القدس في عهده وازدهرت . فبني فيها الدور والقصور . وأتم عمل أبيه ، فبني الهيكل (١٠٠٧ ق. م) . واتسع ملكه من الفرات إلى تحوم مصر . وعقد معاهدات مع جيرانه . ورأى أن يكون على وفاق مع فرعون مصر ، ليأمن شره . فصافحه وتزوج ابنته . ومن آثاره البناء الكائن تحت المسجد الأقصى ، وبركة سليمان الواقعة إلى الجنوب من بيت لم . وفي أواخر حكمه مال إلى عبادة الأوثان . وبني بيته لما على الجبل الكائن أمام الهيكل من الشرق . ويعزو بنو إسرائيل خراب ملكه بعد موته ، إلى عمله هذا .

(١) البقعة التي يقوم عليها الآن الحرم القدس .

بعد موت سليمان (٩٧٥ ق. م) تولى الملك ابنه رحبيعام^(١). واقتتل هنا مع أخيه يربعام^(٢) فانقسمت المملكة إلى شطرين : (يهودا) وعاصمتها أورشليم . و (إسرائيل) وعاصمتها (شكيم)^(٣). وراح كل منهما يفرض الضرائب على شعبه ليتغلب على خصمه . ومنع يربعام قومه من زيارة أورشليم .

استغل شيشاقي فرعون مصر هذه الفرصة ، فزحف على أورشليم ، وأحتلها (٩٧٠ ق. م) . وبعد أن نهب خزانتها ، رجع إلى مصر .

وقصاري القول أن أيام رحبيعام كانت كلها حرباً : حرب خارجية مع مصر ، وأخرى داخلية مع أخيه يربعام .

وظلت أورشليم بعد ذلك أربعة قرون ، بمحكمها اليهود . فلم تسلم أبداً ، خلال تلك القرون ، من ثورة أو مؤامرة أو شغب أو قتال .

ومن ملوكها: أبيا بن رحبيعام (٩٥٨ ق. م) . آسا (٩٥٥) . يهوشافاط (٩١٤) . يهورام (٨٩٢) . آخازيا (٨٨٥) . يهوشع (٨٦٠) . أمصيا (٨٣٩) . عزيما (٧٨٠) . يواثام (٧٥٨) . آخاز (٧٤٢) .

ثم جاء حزقيا (٧٢٦ ق. م) وعمل عهده غزا الآشوريون أورشليم . وقد حصلها ، وجر الماء إليها . ومن بعده جاء ولده منسى (٦٩٨) . آمن (٦٤٣) . يوشيا (٦٤١) وقد قتل هذا من لدن نيخو فرعون مصر .

وكذلك قُل عن ولده يواحاز (٦١٠) الذي كثفه نيخو ، وغرمه ، وأقام مكانه أخاه يهوياقين ملكاً . ثم ولده يهوياكين (٥٩٩) . وعمل عهده غزا البابليون أورشليم . فافتتحها نيونخذ نصر . وسيجيئ من فيها وأرسلهم إلى بابل .

(١) ابن سليمان من أمراء المصطفية .

(٢) ابن سليمان من أمراء المصريات .

(٣). نابلس .

حتى الملك نفسه ، فقد أرسله إلى بابل .

أقام نبوخذ نصر على كرسي الملك عمه صديقا (٥٩٠ ق. م). فخضع له هذا في بادئ الأمر . ثم حاول أن يتخلص من سلطته ، فمحضن السور ، وبني الأبراج . إلا أنه فشل . فأسره نبوخذ نصر . وبعد أن فقأ بصره ، أرسله وقومه إلى بابل . وعكلنا انفرضت مملكة يهودا (٥٨٦ ق. م) .

ولما تبوا كورش عرش الفرس (٥٣٨ ق. م) أذن لمن شاء منهم أن يعود إلى أورشليم . وسمح لهم بتجديف الهيكل ، وبناء المدينة . ولكنه عاد فاسترد أمره ، تحت ضيق العمويين والأشدوديين والعرب ، ومنعهم من تجديد بناء السور . إذ هدد هؤلاء الملك بالعصيان وقطع العلاقات الودية مع فارس ، إذا هو لم يمثل لنصالحهم ، ولم يمنع اليهود عن عملهم ، واصفين أورشليم بالعاصية ، قاللين إن اليهود إذا حصنوا المدينة وسكنوها لا يزدون جزية ولا خراجا . ولم يتمكن اليهود من بناء السور إلا في عهد دارا (٤٤٥ ق. م) . وما كان ذلك ليتم لولا حرب الفرس .

ومع ذلك فلم يتمكن اليهود بعد ذلك التاريخ من استعادة كيامهم السياسي . بل راحوا يعيشون كطائفة دينية يرأسها كاهن . وظلوا كذلك زمنا طويلا . إلى أن ظهر المكابيون ، فاستولوا على أورشليم (١٦٧ ق. م) . وقد ظهر منهم خمسة رؤساء هم : ماتياتيس (١٦٧ ق. م) . يهودا بن ماتياتيس (١٦٦) . يوتاتان آخر يهودا (١٦٠) . سيمون آخر يهودا (١٤٣) . جون هركانس الأول (١٣٤) . وبسبعة ملوك هم : أسطرطوبولس الأول بن هركانس الأول (١٠٥ ق. م) . الكسندر آخر أسطرطوبولس (١٠٤) . الكسندر أمرأته (٧٧) . هركانس الثاني بن الكسندر (٦٩) . أسطرطوبولس الثاني بن الكسندر (٦٧) . هركانس الثاني للمرة الثانية (٦٢) . أنتيكانس بن أسطرطوبولس الثاني (٣٧ ق. م) .

ومن الحوادث البخيرة بالذكر في عهد المكابيين أن القديم المعروف بالشاقل ضرب في أيام سيمون . وأن القلعة الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل بنيت في عهد جون هركانس الأول ، وكانت يومئذ تدعى بارس^(١) .

وكان عهد المكابيين مليئاً بالمشاغبات الداخلية . حتى إن أسطول بولس الأول بن هركانس سجن أمه ، وأماتها بجوعاً^(٢) . ثم قتل أخيه أنتيكانس خشية أن ينافسه الملك . وذاقت أورشليم على عهد أخيه الكسندر مارة الفوضى والخروب الأهلية . وتزاحم الأشواح أسطول بولس الثاني وهركانس الثاني ، فراح كل منهما ينشد مساعدة دولة من الدول المجاورة لها . أما هركانوس فراح يستتجده ملك العرب أريطاس (الحارث) . وأما أسطول بولس فقد استمد القوة من روما . فكثرت الأحزاب ، وساد الفساد بين اليهود . وراح جم غفير منهم يطلبون من يومي إمبراطور الرومان أن يريحهم من شر الاثنين ، بل من جشع الحزبين المنافسين : الفريسيين والصدوقين . فاهتب يومي هذه الفرصة وواجه ، فقضى على استقلالهم (٦٣ ق. م) . وبعمله هنا قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاماً . وراح اليهود بعد ذلك يعيشون في ظل الشعوب والأمم الأخرى .

(١) هو البناء الذي وسعه هيرودس بعمدة ، وأسماء (برج أنطاكيا) . والمحقق أنه كان يقوم في المكان الذي تقوم عليه (مدرسة الروضة) في يومينا هذا ، إلى الشمال الغربي من سور المحرم .

(٢) "Jerusalem by Lionel Cust p. 79"

القدس وأشور

(م. ٧٣٠ ق.)

غزا الأشوريون أورشليم بقيادة ملكهم شلمنصر (م. ٧٣٠ ق.). فسي هدا سكانها ، وظل يغاربهم حتى سنة (٧٢١ ق. م). غير أنه لم يتمكن من تثبيت أقدامه فيها زمناً طويلاً ، فارتقى عنها . وظلت هي والقسم الجنوبي من فلسطين راضخة لسلطان الفراعنة . ولم تدخل أورشليم في حكم الأشوريين إلا على عهد سنحريب . إذ أرسل إليها هذا قائد المشهور ريشاق^(١) فحاصرها (٧١٣ ق. م). وراح يدك أسوارها ، ويضيق الخناق على سكانها . وقد نصب عبشه في موضع إلى الشرق من بركة ماما . ولم يقدر بنو إسرائيل عن دفع الأذى عنهم . فاتبعوا نصيحة ملكهم حزقيا الذي أمر بتحصين السور . وحفر نفقاً طوله ١٧٠٠ قدم بين عين أم الدرج في سلوان وداخل المدينة . كما أسال الماء من بركة ماما إلى بركة سميت باسمه فيها بعد (بركة حزقيا) . وهي التي نسميتها اليوم (بركة حام البطريرك) في حارة النصارى .

ولكن لا هذه المشروعات التي قام بها حزقيا ، ولا أسوار أورشليم ، حتى ولا الخطيب التي ألقاها أشعيا النبي من أجل تحفيض الجماهير وتحريضهم على القتال . . . كان كافياً لإنقاذ أورشليم من الأشوريين الذين جاءوا بهم بحرب يبغون احتلالها . لو لا الطاعون الذي ألم بهم في ذلك الحين ، حتى كاد يقضي عليهم . فرجعوا إلى بلادهم .

(١) وفي رواية أخرى ريشاقس .

ثم عادوا ، بعد حين ، فاحتلوا ملكها منته . وأرسلوه إلى بابل مصفيداً بالأغلال (٦٧٨ ق. م) . ولكنهم عادوا ، فاطلقوا سراحه . ورجع إلى أورشليم . فيئى سورها الثاني (٦٤٤ ق. م) . وبعد قليل دب الفساد في صفوف الأشوريين ، ففضعوا . وتخلوا عن هذه البلاد إلى البابليين .

فأق الأشوريون البابليين والمصريين من حيث التنظيم الإداري . ولكنهم لم يعنوا بالشؤون الصناعية والتجارية . وكان جل اهتمامهم منصراً إلى سلب البلاد . فجمعوا ما فيها من ذهب وفضة . وكانت هذه المدينة على عهدهم تدعى : يورو — سالم ، أي مدينة الرب سالم . وفي بعض الآثار الأشورية ذكرت بهذا الاسم : أور — سا — لي — امو . وهذا متحدر عن اسمها باللغة الآرامية .

القدس وبابل

(٥٩٩ ق. م)

عندما تقلص ظل الأشوريين عن أورشليم ، راح البابليون من جهة ، والمصريون من الجهة الأخرى ، يتنازعون السيادة . وكان على سكان أورشليم ومملكة يهودا أن يختاروا أحد الفريقين . وكان على رأس الحكم فيها يهوياتيم^(١) . فخضع هذا لبني خلد نصر ، وسلمه المدينة (٥٩٩ ق. م) ، وعاش عبد الله^(٢) .

(١) (النبي القديم في التاريخ القديم) لمارتن بورتر أستاذ التاريخ في الكلية الإنجيلية . طبع في بيروت سنة ١٨٨٤ م . (٢) سفر الملوك الثاني : ٢٤ - ١

بعد ثلاث سنين ، عاد فتمرد عليه . فأقاله نبوخذ نصر ، وأقام مقامه ابنه بهوياسkin (٥٩٧) . ثم عاد فأقال هذا أيضاً بعد ثلاثة أشهر ، فتغادر مع عدد من عظيمه قوته إلى بابل ، وأقام مقامه صديقيا .

تعاون صديقيا بادي ذي بدء مع البابليين . ثم عاد ، فانتقض عليهم . عندئذ ساق نبوخذ نصر عليه قاتله نبوزردان^(١) . وجاء هو من وراءه فحاصر أورشليم (٥٨٧ ق.م) . وذاقت المدينة في هذا الحصار الأمرين : جوعاً ومرضاً . إلى أن اختار اليهود جائب المرب . فتلعوا السور ، وهرروا . وكان صديقيا على رأس المارين . فلتحق بهم الكلدائيون . وأنوا بهم إلى ملكهم نبوخذ نصر . ففتقاً هنا عين صديقيا ، وأرسله إلى بابل .

بعدئذ نهب نبوخذنصر أورشليم ، ودك سورها ، ودمر الهيكل الذي بناه سليمان ، وأجل شعيبها إلى بابل . فقتل منهم من قتل ، واستعبد من لم يقتل . وهكذا انقرضت مملكة يهودا (٥٨٦ ق.م) وراحت كلمة بابل هي العليا في أورشليم . وكان البابليون يسمونها : أورو - سالم . وأصبحت هذه البلاد كلها ، من أدناها إلى أقصاها ، مستعمرة بابلية ، تدفع الضرائب لبابل ، وتتكلّب معها . وانتشرت اللغة البابلية . وظلت هذه اللغة البلاد الرسمية حتى الفتح الفارسي . وأما اللغة التي كانت دارجة بين السكان ، فقد كانت الكتّعانية .

(١) (تاريخ الأمم والملوك) للطبرى ج ١ ص ٢٨٢ .

القدس في عهد الفرس

(٥٣٨ ق. م)

بعد أن تغلب كورش ملك الفرس على البابليين (٥٣٩ ق. م) ، سار في فتوحاته قدماً حتى احتل سوريا . ثم جاء إلى أورو - سالم ، فاحتلها (٥٣٨) . والقائد الذي احتلها باسم الفرس هو : غورياس .

تنفس اليهود الصعداء في عهد كورش . ذلك لأنه تزوج من يهودية^(١) ، هي إستير أخت زربابيل بن شلائيل بن يهويakin بن يهوياقيم ملك اليهود الذي ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب . وطلبت منه امرأته أن يأخذن لقومها الذين نفاهم بتوحد نصراني بابل بالعودة إلى أورو - سالم . فأذن لهم (٥٣٨ ق. م) . فعاد إليها فريق منهم . وأثر الآخرونبقاء حيث كانوا .

بعد كورش اعتلى عرش الفرس أرتختسنا (٥٢٢ ق. م) فلراد هذا أن يحول دون رغبات اليهود . ذلك لأن العرب والأمم المجاورة لهم في ذلك الحين كالخوريين والعمونيين اعترضوا على ذلك . وهددوا أرتختسنا بالعصيان . فأصدر أمره بوقف حركة البناء التي أقاموها في الهيكل . ولكن دارا ، خال كورش ، الذي خلف أرتختسنا في الملك ، أباح لهم ذلك (٥١٩ ق. م) . فبنيوا سورا . وأنمووا بناء الهيكل الثاني (٥١٥ ق. م) . وفي عهد أرتابرسوس الأول (٤٦٥ ق. م) عين نحاما حاكما على أورو - سالم (٤٤٥ ق. م) . وكان هذا من أنصار الفرس . ففتحه الملك سلطة واسعة . وجمع له أن يبني ما تهدم من سور .

(١) (تاريخ خنصر الدول) لابن العبرى ص ٨١ .

ظلت أورو - سالم تابعة للملك الفرس ؛ تدفع لم الضرائب والعوائد ، وتسهل لهم سبل العبور إلى مصر حتى احتلها الفاتح المقدوني الكبير الإسكندر (١) .

كان الفرس ، في عهد كورش ، متفشين : يعيشون على الخبز والماء ، وصل شيء من البقول . وكانوا جهلاً : يتزوج الأخ أخته ، والأب بنته ، والابن أمه . ولتهم كانوا في الوقت نفسه أقوباء : لم جيش منظم . وكان ملوكيهم مطلقاً الإرادة . وفي عهد دارا قياداً لملك بمجلس مهمته إصداء المشورة ، وموظف لقبه (حامِل الناج) ومهمته إيقاظ الملك في كل صباح .

كانت لهم في بادئ الأمر نقود مسكونكة من معدن الألكتروم . ولما توسعوا على عهد دارا ، وأصبحوا سادة مناجم الذهب في الهند شرعوا يضربون نقودهم من معدن الذهب والفضة . كانوا في بادئ الأمر أقوباء . غير أنهم عندما فتحوا الأمصار ، واحتلوا بالقبائل الغربية منهم ارتفعت عزائمهم ، وتغيرت طبائعهم ، وجنحوا إلى حب الملاهي ورغد العيش (٢) .

(١) (ختصر التاريخ القديمة) لقسن بولس رحاف من ١٦٩ .

(٢) يحسن بذلك ، أنها القاريء الكريم ، أن تقرأ بعد هذا الفصل ، ما كتبناه عن خرو الفرس للقدس في عهد كسرى الثاني (٦٤ بعد الميلاد) .

القدس في عهد اليونان

(٣٣٢ ق. م)

احتل القاتع المقدوني الكبير إسكندر^(١) بروشاليم عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، وكان رجال الفرس من حاميتها قد انسحبوا منها . فدخلها دون أن يسفك دماً من أجلها . واستقبله سكانها بالرضا والارتياح . ذلك لأنهم كانوا قد سمعوا القوضى من جراء اختلافاتهم الداخلية .

عندما زحف الإسكندر صوب المدينة كان معه أربعون طبلخانة^(٢) . ويقدر بعض المؤرخين هذه القوة بأربعين ألفاً . وكان ينوى تدميرها . إلا أن اليهود هرعوا لاستقباله في ظاهر المدينة ، يتقدمهم الشيوخ والكهنة ، لا بسين حلال بيضاء ، وراحوا يتضرعون إليه ، طالبين العفو . وأراه الكاهن الأكبر سفر دانيال ، وقد جاء فيه أن أحد ملوك اليونان سيتغلب على الفرس ، وسيقوض عرش الأكاسرة . . . فسكت ولم يبعثش بهم . لا ، بل أقر عاداتهم التي ورثوها عن آبائهم ، وأمرهم أن ينخرطوا في جيشه ، وأفغاهم من دفع

(١) إنه إسكندر الثالث بن قيصر الثاني ملك مقدونيا وأوليسيها . ولد عام ٣٥٦ ق. م . وتعلم على يد الفيلسوف اليوناني الشهير أريسطو طاليس . إنه (ذو القرنين) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم : « ويسألك عن ذي القرنين ، قل سأقول عليكم مت ذكرًا . إلا مكاننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبأ » . سورة الكهف الآية ٨٢ .

(٢) (بيت الطبل) ويشتمل على طبول متعددة منها أبراق وزخارف . وتكون معه في الأسفار والجروب .

الجزرية ، وأتاح لهم أن يسكنوا قرداً . وكانت القدس على عهده تدعى :
يرشاليم . ثم راحت تدعى : هيريسليما .

ولما مات الإسكندر (٣٢٣ق.م) اقتسم قواده الملك : فأخذ (سلوقس)
سورية ، وأسس فيها دولة السلوقيين . وأخذ (بطليموس) مصر وأسس فيها
دولة البطالسة . وكانت هيريسليما من نصيب البطالسة .

حكم بطليموس اليهود رغم أنوفهم . وأرادوا مقاومته ، إلا أنهم لم يفلحوا .
إذ ساق عليهم جشه ، ففتح هيريسليما ، ودك قسماً من حصونها . وبطش
بسكانها . فأرسل منهم مئة ألف أسير إلى مصر (٣٢٠ق.م) .

واستخدم بطليموس يهودياً يدعى (يوسف بن طوباس) مديراً للمال
ورئيسيّ للجباة . فجمع هذا الفسقائين بالقوة ، وذاق الناس على يده مرّ
العيش .

انتقلت هيريسليما من حكم البطالسة إلى حكم السلوقيين عند ما احتلها
أنطيوخس أبيفانس (١٦٨ق.م) . وقد هدم هنالك أسوارها ، ودك حصونها ،
ونهب هيكلها فنصب فوقه التماشيل ، وقتل من اليهود ثمانين ألفاً في ثلاثة
أيام ، وحظر عليهم الختان ، وأرغمهم على التهاك حرمة السبت ، وأكل الخنزير .
وكان دليلاً في معظم فعاله متلاوين رئيس أحبار اليهود الذي خان قومه من
أجل الوصول إلى منصبه . ولم يتمكن اليهود من مقاومته في بادئ الأمر ، إذ
كانت حامية المدينة مؤلفة من عشرين ألف جندي سلوقي .

بعد وفاة أنطيوخس الرابع تولى الملك ولده أنطيوخس الخامس (١٦٤) . ولما
كان هذا صغيراً ، تولاه ليسباس الوصي على العرش (١٦٢) . وتامر هذا مع سكان
يافا على اليهود . فأغرق عدداً كبيراً منهم في البحر ، وثار اليهود عليه . ساق
عليهم جيشاً برياً ، وحاصر هيريسليما . ولكنه أرتد عنها بسبب الثورة التي
نشبت في سوريا والتي انتهت بانتصار خصمه ديمتريوس الأول الملقب بـ (سوثير) .

أقام ديمتريوس على رأس الإدارة في هيريسليما : (بكيديس) . وقلد ر. الكيمس^(١) رئاسة الأخبار . ووضع تحت تصرف الاثنين جيشاً كبيراً ليحكما به البلاد . وقامت بين الفريقين حروب ، سالت فيها دماء غزيرة .

وخلف بكيديس في الإدارة : (نكانور) . وقامت على عهد هذا أيضاً ، حرب جديدة بين اليونانيين والمكابيين . وقتل نكانور . فأرسل ديمتريوس إلى هيريسليما الوالي السابق بكيديس رئيس الأخبار الكيمس . فجاء على رأس جيش كبير . وتجددت الحروب . وقتل يهودا المكابي (١٦٠ ق.م) . وألقى القبض على عدد من أبناء الزعماء وأرسلوا إلى روما . فهدأت الثورة .

وقام بعد ذلك خلاف شديد بين الحكام اليونانيين : ديمتريوس ومنافيه الإسكندر بن أنطيوخوس أبيقانس . فاستغل المكابيون هذا الخلاف والتنافس ، وراحو يبحثون عن الوسائل التي تضمن لهم النصر . أما الإسكندر فقد اعترف بيوناثان الذي قاد المكابيين بعد مقتل أخيه يهودا ، رئيساً للأخبار . وأما ديمتريوس فقد وعد سكان هيريسليما بأن يغفهم من الجريمة ، ومن بعض القرائب والمكرس . كما وعدهم بأن تكون مدینتهم مقدسة وحرة ، وأن يطلق سراح المعتقلين ، وأن يغفر عن المجرمين .

ولئن كانت كفة الإسكندر هي الراجحة ؛ إذ انتصر على خصمه ديمتريوس (١٥٠ ق.م) ، إلا أن المكابيين كانوا في الحقيقة هم الناججون . إذ أنهم استغلوا ذلك التنافس ، فاستقلوا . ولكن استقلالهم لم يدم طويلاً . إذ اختلفوا فيما بينهم ؛ وقامت حروبأهلية ، جعلت كل واحد من الأخوين (هركانيوس وأرسطوبيوس) يستنجد بدولة من الدول المجاورة لهم . الأمر الذي فصلناه

(١) يعودى من بين هرون الذين لا يستحقون الرئاسة . كان اسمه (يواقيم) فاستبد له بالكميس تشبهاً باليونان . وهو الذي حرر الملك ضد المكابيين . وكان السبب فيها جرى بذلك من حروب .

في موضع آخر من هذا الكتاب . فماهيل يومي هذه الفرصة ويجاء إلى هيرولسليا
فاحتلتها (٦٣ ق. م) .

قبل أن نختتم هذا الفصل نرى لزاماً علينا أن نقول كلمة عن الطابع الذي
تركه احتلال اليونان في هذه البلاد :

(أ) انتشر العنصر اليوناني في البلاد بكثرة ، وامتزج اليونانيون بسكان
البلاد الأصليين ، وناسبوهم .

(ب) انتشرت اللغة اليونانية ، حتى أصبحت لغة البلاد الرسمية ، ولغة
العلم والمدارس . وأما اللغة التي كانت يومئذ دارجة بين الناس فهي الآرامية .

(ج) اقتصاد سكان البلاد الأصليون الصناعات اليونانية ، ولا سيما
صناعة الفسيفساء .

(د) انتشرت الحضارة اليونانية . وقد أسس اليونان المدارس . وعن هذه
الطريقة نشروا آدابهم وتقاليدهم ومعتقداتهم الدينية .

(هـ) انتشرت النقود اليونانية^(١) . وكانت على عهد الإسكندر بدعة
السلك والنقوش .

(و) انتشرت التجارة اليونانية . واقتسب سكان البلاد عن اليونانيين
كثيراً من معاملات الصرافة .

(١) (مجلة الآثار) للأستاذ مسي إسكندر الملعوف ٩ - ٤٦٢ .

القدس في عهد الرومان

(٦٣ ق. م)

قلنا في آخر الفصل الذي سبق إن المكابيين الذين سيطروا على مقدرات هيرولينا زماناً عادوا فتضعوا . وإن بعضهم راح يدوس الدسائس للبعض الآخر . وإن أرسطو بولس المكابي أخذ التاج عنوة (٧٠ ق. م) من أخيه هركانوس الثاني . وأنه قاتل بين الآخرين حرب أهلية كان من نتائجها أن تدخلت روما في الأمر . فجاء بومبي ، وأحتل هيرولينا (٦٣ ق. م) . حاصر بومبي هيرولينا ، قبل فتحها ، ثلاثة شهور .

قال يوسيفوس إنه كان هناك ، بين حارة صهيون ومنطقة الهيكل ، جسر هدمه بومبي . وظل يضرب المدينة بالنجينيات حتى أحدث ثقباً في أسوارها . وهكذا تمكن من احتلالها واستباح حي الهيكل . وقتل من السكان خلقاً كثيراً . كانت تسمى عند الفتح هيرولينا . ثم راحوا يسمونها هيرولينا .

أقام بومبي حاكماً على المدينة اسمه (أسكوروس) . استقبله اليهود باديء ذي بدء بالترحاب ، إذ أنقدتهم من القوضى . ولكنهم عادوا ، فانقلبوا عليه . فالذى جمعهم . وهم السور . وفرض عليهم أن يقلموا في كل يوم ذبيحة أيام الهيكل ، تكريماً لقيصر ولروما . ففعل اليهود ذلك مكرهين . ونكل بهم الولى الرومانى شر تنكيل .

وحل عهد يوليوس قيصر (٤٩ ق. م) تنفس اليهود الصعداء . إذ ولـ عليهم (أنطيبات) الأدري (٤٦ ق. م) ، وأقام من تحته هركانوس المحسون حاكماً عليهم . ولما مات أنطيبات تسلم زمام الإدارة ابنه فصايل ، وراح بعد

ذلك الأدوميون من ناحية يقودهم فصائل ، والخشمونيون من الناحية الأخرى يقودهم هرقلانس ، يقتلون في شوارع المدينة . وكان النصر سجلاً بينهم .

وتمكن هيرودس بعد قليل (٣٧ ق م) من إقناع روما بأنه خلص لها . فنصبه ملكاً على اليهود . إنه آدوى الأصل . اعتنق الديانة اليهودية ثم خرج على المكابيين انتقاماً لأبيه الذي قتله هولاء . وأمده أنطونيوس بايلند . فقضى على المكابيين . وقتل آخر ملوكهم (أنيكانتوس بن أسطوبولس الثاني) . وراح يدير هيروساليم باسم روما .

إنه رجل حرب وكفاح . وهو ظالم . يستنسخ كل شيء في سبيل الوصول إلى غايته ؛ حتى إنه قتل امرأته وثلاثة من أولاده^(١) .

ورغم أنه رم الميكل (١٨ ق م) إلا أن اليهود كرهوه . إذ أنه استحصل شأفة المكابيين وكانتوا يعتبرونه أجنبياً . حاول أن يوفق بين اليهود والرومان . ولما فشل في مهمته شائع الرومان ضد قومه . وساعدهم على توطيد أقدامهم في البلاد . وكان يُضحك قومه اليهود تارة ، وطوراً يبكيهم . ولقد أصاب المدينة على عهده قحط شديد . فجاع الناس . وحاول تخفيف وطأة المجاعة بالحرب وزعها على السكان ، وبالأموال أنفقها على المشروعات العملاقة قاصداً تشغيل العمال . إنه هو الذي أجرى الماء في القناة الكائنة بين بركة سليمان وهيروساليم (٣٠ ق م) . وهو الذي بني القلعة الكائنة بباب التخليل . وكان له حل مقربة منها قصر كبير . وقد شاد الحصن المعروف بـ (أنطونيا) . كما شاد عدداً آخر من الحصون والأبراج والمباني والتماثيل . وسكت على عهده تقوه . وفي آخر سنة من سنته حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم . وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم . ولستنا هربت به أمه إلى مصر ، خشية أن يطش به ذلك الملك العنيد الجبار . وفي السنة التي تلتها مات هيرودس بعد

(١) (تاريخ سوريا) للطران يوسف الدين . ج ٢ ص ٢٩٦ .

أن حاشر في دست الحكم أربعين عاماً.

ولما مات هيرودس (٤ ق.م) عهد الرومان بالحكم لولده (أرشيلاوس). وعجز هذا عن إدارة البلاد فقامت فيها فلائق وثورات. وطفي كثيرون من رؤساء الأحزاب، فنادوا بأنفسهم ملوكاً. واستنجد الوالي بحاكم سوريا فاروس وبالخاتمة ملك العرب. فانجذبه كل منها بعشرين ألف فارس. فأخذت الثورة، وأخذ الرومان من اليهود ألف أسير، فقتلوهم، وذاق اليهود الليل مرة أخرى. فطلبوها من روما جعل بلادهم إقليماً رومانياً. وكان لهم ما أرادوا. إذ جاء الرومان وأحتلوا البلاد من جديد. ولكنهم في هذه المرة انتدلا (قيسارية) عاصمة بدلاً من هيروساليم. وقد تم ذلك على عهد أغسطس قيصر.

راح الولاية الرومانية بعد ذلك يتعاقبون على كراسي الحكم. وإنما لما ذكرت منهم : كوبونيوس (٦ - ٩ م) ماريوس أمبيفيوس (٩ - ١٢ م) لينوس روفوس (١٢ - ١٤ م) فالريوس غراتوس (١٤ - ٢٦ م) بيلاتوس بونتيوس (٢٦ - ٣٦ م) وعلى عهده صلب السيد المسيح. وكان على عرش روما يومئذ الملك طيباريوس قلوديوس.

كانت العلاقة متوتة بين الرومان واليهود إلى درجة أن هؤلاء استقبلوا الوالي الروماني بيلاتوس بوجوم. ووقعت في هيروساليم، بعد ذلك، حوادث كثيرة. منها أن الكهنة رفضوا الدهوة التي وجهها إليهم بيلاتوس. ووصف هذا اليهود بقوله^(١): إنهم يضخون بكل غال ورخيص في سبيل مصلحتهم. ووصف هيروساليم بأيتها « عش المساليس والفن ». . . .

كانت هذه يومئذ ذات شارع ضيقة، وطرق مرصوقة رصفاً ميناً. موارد المياه والمجاري فيها رديئة. والأمراض منتشرة التشاراً فظيعاً. وكان الهيكل

(١) رسائل بيلاتوس من ٥١ - ٦١.

الذى عمره هيرودس قائماً . وحول هذا الميكل سور . وكان الرومان على جسدهم أن يتخضوا السور . وكانت الخامية الرومانية في اضعيقة بحيث كان بيلاتوس يضطر لاستجاد زميله في سوريا كلما فتنه .

ولقد أنشأ بيلاتوس طريقين ، طريقاً تربط هيروساليم بالشمال والجنوب باريحا وغير الأردن . وكانت أريحا يومئذ ذات أهمية كبيرة وكان أعظم عمل قام به أنه بني قناة الماء المتعددة من برك سليمان إلى أاجرى لها الماء . وكان سكانها الذين بلغ عددهم يومئذ خمسين ألفاً يقبل ذلك ، مر العيش . ولم يكن لهم في المدينة سوى بعض آثار اليهود . رغم ما كانوا يقاومونه من عذاب وعذش ، أن ينفقو فلساً واحداً خزائن الميكل على مشروع الماء . وثاروا . إلا أن بيلاتوس أخذ ثورتهم خرافتهم ، وصر القناة رغم أنوفهم .

تولى إدارة المدينة بعد ذلك الوالي الروماني مرسلوس (٣٧ م) وهو أخرياً (٤٤ - ٣٧) حفييد هيرودس الكبير . وعلى عهده أنشئ حتى (المكون من الأحياء المعروفة في يومنا هذا بباب حطة والسعادة وباب الشرع) في بناء سور الثالث . ووقعت بينه وبين المغارث ملك العرب بسبب امرأته (بنت المغارث) غالب فيها حل أمره . فقضبت روما وفتحته . وفي عام ٤٤ بعد الميلاد حكم المدينة والرومانى اسمه كسيوس وأعلى عهده حدثت قلاقل في البلاد . فاضطرب حبل الأمن ، وانقضى ، وعم البلوى ، وعم البحار ، وساد القلق . وحدثت وقائع بين اليهود وبين العرب والأدوبيين . فانتصر الوالي للعرب عنده ما أبى لهم حل حق . البلاد من المشاغبين .

ولكن يظهر أن اليهود رفعوا شكوكهم إلى روما . فأقالته ، أو استقال . فخلفه في الإدارة طيباريوس إسكندر (٤٦ م) . وهو من اليهود المرتدين وكان أول عمل قام به أن قتل اثنين من زعماء اليهود ، لأنهما سرضاً قومهما على الثورة .

وفي زمن خلفه فتاتيروس قومانوس (٤٨ م) ثارت في هيروساليم فتنة بسبب كلمات قاتل بها أحد الجنود الرومانيين ، فعدها اليهود احتقاراً . حاول قومانوس إقناع اليهود أنه لم يكن المسبب لذلك ، ونصحهم بالإخلاد السكينة . ولما لم ينصاعوا لأمره أمر الجندي أن يكونوا على أبهة الاستعداد ، فظن اليهود أن الجندي سيهاجمونهم . فهربوا . ودار بعضهم على بعض في شوارع المدينة الضيقة ، فمات منهم كثيرون .

بعد قومانوس تولى الإدارة قلوديروس فيلكس . وووجه هذا الفوضى ضاربة أطناها في هيروساليم ، وفيها حوطها من البلدان . وكان فيها عدد غير قليل من الرعامة الطائعين : دينهم النهب والسلب وقطع الطرق . فساق عليهم جنده ، وشتبه ، وقتل منهم زهاء أربعين شخص . وعلى عهده قامت خصومات بين الشعب اليهودي وبين كبار حاخاميهم . ووصل هؤلاء الحاخامون إلى درجة من الطمع والنفوذ نهبو فيها البيادر ، وجعلا الأعشار لأنفسهم ؛ حتى لئن لم يبالوا بالفلاحين والفقراة : سواء أمانوا جوعاً أم يقعوا على قيد الحياة .

بعد فيلكس تولى الإدارة فستوس (٦٠ م) . وكان هذا حازماً . فتمكن من السيطرة على اليهود والتأثيرين . ومن التدابير التي اتخذها أنه نصع نبرون الملك ، أن يعتقل رئيس الكهنة وخازن الهيكل وعدداً من الكهنة أنفسهم . فعمل الملك بتصحه . وأرسلهم إلى روما . وبذلك احتفظ بهم رهينة . فهدأت الفتنة . ولم يتم اليهود بأى نوع من أنواع الشغب طيلة وجود فستوس على رأس الحكم . ولكن حكمه لم يدم طويلاً . إذ مات بعد عام (٦١ م) .

ولقد ثارت الفتن من جديد على عهد خلفه البيينوس . وكان من سوء حظه - على حد قول المؤرخ بالمر - أنه صادق الماخاكم الأكبر حنان . فاختطف اليهود الفوضويون ابنه (أى ابن الماخاكم حنان) العازر . فوافق البيينوس على إطلاق سراح عشرة من الإرهابيين المعتقلين لديه كفدية لخلاصه . وتكررت حوادث الخطف وإطلاق سراح المعتقلين . وكان أن تم يومئذ (٦٤ م) ترميم الهيكل . فوجد ثمانية عشر ألفاً من العمال أنفسهم من غير عمل . فانضم هؤلاء إلى المساجين الذين أطلق سراحهم . فامتلأت شوارع المدينة بالعمال العاطلين والمحاصبات المسلحة وأتباع الماخاكم المعزولين . واستخدم البيينوس العدد الكبير من هؤلاء العمال العاطلين في رصف شوارع المدينة بالحجارة ، على أمل أن يرضيهم ويلهيهم ، إلا أن الفوضى ظلت منتشرة . عندئذ غضب البيينوس . فأنزل في اليهود جميع أنواع العقاب . فساد القلق وانتشر الخوف وعمت البلوى . وكانت النتيجة أن وصف المؤرخ اليهودي المشهور يوسيفوس عمل البيينوس بقوله « إنه ليس ثمة نوع من أنواع الذنوب والآثام إلا كان له دخل فيه . . . » بعد البيينوس تولى الإدارة جيسيوس فلورس (٦٥ م) . وعلى عهد هذا أيضاً حدثت في هيروساليم حوادث شغب كثيرة . وأضطرابات دامية ، وسادت الفوضى معظم أنحاء البلاد . وبذلت هذه في قيسارية بين اليهود والسورين . فاقتتل الفريقان من أجل قطعة من الأرض يملكونها أحد السوريين وأراد اليهود أن يملكونها لأنها واقعة أمام كنيسهم . وطلبو من فلورس أن يملكونها باسمهم ، وواعديه برشوة قدرها ثمانية ثالثة . إلا أنه رفض التدخل قائلاً : الناس أحوار فيها يملكون . فاحتكم الفريقان إلى السلاح . وغلب اليهود . فانسحبوا من المدينة ، وراحوا يستعدون للثورة . ولكن فلورس تمكن من إخاد ثورتهم : فبطش بهم . وقتل منهم - على حد قول المطران دبس - ثلاثة آلاف وستمائة رجل .

وحاول اليهود أن يلجموا إلى سلاح الجمال . فأرسلوا إلى الوالي فيرونيكة لاحت أخيرها . وكانت هذه من الجمال على جانب عظيم . ولكنها عبناً حاولت أن تقنع فلورس كي يقف أعمال النهب والسلب . ذلك لأنه اختبر من حيل اليهود ومحكمهم ما لم يختبره الآخرون . فرفض طلبها . وظلت أعمال النهب والسلب والقتل سائرة في قيسارية . فقتل من اليهود عشرون ألفاً في يوم واحد . وقامت مذابح مثلها في المدن الأخرى .

ولم تنج هيروساليم من التمرارات والاضطرابات بعد ذلك بسبب كره اليهود للرومان . وكان الرومان تارة يتزلون باليهود أشد العقاب ، وطوراً يمحضون إلى الرأفة . ولما رأوا أن هذه السياسة جعلت اليهود يطغون ، إذ ساد الشر ، وعم الفسق ، وفقد الأمن ، تمرروا أن يقضوا عليهم قضاء تاماً . فأصدر نيرون أمره إلى قائد فلاديفوس فسباسيان . وجاء هذا (٦٧ م) على رأس جيش مؤلف من ثلاثة فيالق (٦٠,٠٠٠ مقاتل) . ولكنه اضطر للرجوع قبل أن يحتل هيروساليم . إذ كان نيرون قد قضى نحبه ، وكان عليه أن يرجع إلى روما ليتولى العرش من بعده . فترك القيادة ابنه تييطس .

حاصر تييطس المدينة (٧٠ م) وكان الرومان يومئذ يسمونها (سيوطوس) وكانت محاطة بالأسوار . وكان جيشه مؤلفاً من أربعة فيالق . منها ثلاثون ألفاً من الجنود النظاميين . وكان في عداد هذه الحملة فرقة من متلوخى الأقباط (عرب) ؛ فشلت الحصار على المدينة وقتل من سكانها خلقاً كبيراً . وحرق الجند الميكل . ودكّت الأسوار . وهدمت المنازل . وامتلأت الشوارع بجثث القتلى . وعاني الشيوخ والنساء والأطفال ما عانوا من جرائم الخوف والبلوع . وأكل الناس الكلاب والجرذان والمخترفات . وذبح بعضهم أبناءهم وأكلوا لحومهم . وقدر المؤلف اليهودي يوسيفوس الذي شهد الحصار عدد القتل بليون نسمة . وتقبل لهم ستمئة ألف . وعند ما سقطت المدينة في يد تييطس أسر من أهلها من أسر .

وبع من بيع في سوق الرقيق .

وقصاري القول : أصحاب اليهود على يد تيطس ما أصحابهم من ذل وهوان لم يعرف التاريخ لها مثيلا . وحقت عليهم نبؤة أرميا الذي قال : (الذين إلى الموت فليل الموت . والذين للسيف فليل السيف . والذين للجوع فليل الجوع . والذين للنبي فليل النبي .)

ولقد هجرت سوليموس بعد احتلالها من لدن تيطس . فلم يبق فيها سوى حاميتها الرومانية . وبعد قليل (٨٠ م) رسم إليها المسيحيون الذين كانوا قد نزحوا عنها ، وأما اليهود فقد حظر عليهم الرجوع إليها .

وعاد اليهود إلى أعمال الشعب في عهد الإمبراطور تراجان (١٠٦ م) إذ تمكّن يومئذ عدد كبير منهم من الرجوع إلى سوليموس بسبب ضعف المحامية فيها ، وثاروا . ولكن الحكم الروماني (لوقيوس كونيوس) أحدهم ثورتهم .

ولما تولى أدريانوس عرش الرومان (١١٧ - ١٣٨ م) اعتبر أن يقضى على الشعب اليهودي الذي كان لا يهدأ له بال دون أن يقوم بنوع من أنواع الشعب . فاعتزم قلب المدينة إلى مستعمرة رومانية . وأنقام عليها أخا زوجته (أكيللا) . فمحظر هذا على اليهود الاختتان ، وقراءة التوراة ، واحترام السبت . قثار اليهود ثورتهم المشهورة بقيادة (بارقونجيا) . وقامت في سوليميا (١٣٥ م) اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل . واستبدلت روما حكامها مرتين في عام واحد . فجاء أولا (تورنوس روفوس) ثم جاء (يوليوس سيفيروس) فاحتل هذا المدينة وقهر الشوار . وذبح بارقونجيا . وقتل من اليهود يومئذ ٥٨٠,٠٠٠ نسمة بحد السيف . هذا غير الذين ماتوا جوعاً أو مرضياً أو حرقاً بالنار . ومن لم يحتم لهم طرد من المدينة . وتشتت اليهود بعدها تحت كل كوكب . ولكن ينسى اليهود سوليميا أمر أدريانوس بتدميرها . وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسموها (إيليا كابيتولينا) . وكانت هذه يومئذ قرية صغيرة تابعة لقيسارية من جميع النواحي

الإدارية والسياسية والاقتصادية والدينية .

واضطهد أدريانوس المسيحيين أيضاً ، فأمر (١٣٥ م) بإجلاثهم عن الكنيسة^(١) ، كما أمر برم المكان بالتراب والحجارة وبنى فوق البخلجة وأكبر هيكلين وثرين . ونصب فوقهما تمثال المشترى والزهرة .

وبنى أدريانوس سوقاً في المكان المعروف الآن بباب العمود . وأقام هناك أروقة وأعمدة كثيرة قبيل إنها كانت تمتد إلى جبل صهيون . ومن هنا جاء الاسم المعروف : باب العمود .

كانت اللغات المستعملة في إيليا ، على عهد الرومان ، الآرامية ، والعبرية ، واليونانية ، واللاتينية ، أما اللغة العبرية فقد كانت لغة اليهود ، واليونانية لغة الطوائف الأخرى . ولما اللغة اللاتينية فكانت لغة الحكومة الرسمية ، وأما اللغة الآرامية فقد كانت لغة التخاطب يومئذ عام . ولقد فرض الرومان على البلاد الجزرية وأنواعاً أخرى من الفرائض التي عادت على روما بالغنى وعلى البلاد بالفقر^(٢) .

ولقد ترك الرومان في إيليا وغيرها من البلدان كثيراً من آثار العمران كالمعابد والمحصون والطرق والصهاريج والمجاري والسدود والأشجار والبسور . غير أن معظم هذه الآثار أصابه البلى ، بسبب الحروب والثورات . وتفضى على البقية الباقية منها عند ما احتل الفرس إيليا (٦٤٦ م) . وكان ذلك قبيل الفتح الإسلامي .

(١) (تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية) لشحادة خوري، يتقىلا خوري . من ٧

(٢). (خطط الشام) للمرجوم محمد كرد على . ج ٤ من ٤٧ .

القدس البيزنطية

(م ٣٣٠)

عندما تولى قسطنطين عرش الأباطرة (م ٣١٣) تنفست النصرانية الصعداء وكانت قبل ذلك مضطهدة . ولم يقف هذا عند حد السماح لها بالانتشار في مملكته ، بل تنصر هو بنفسه . وتغلب على خصمه ليسينيوس ، فأصبح القائد غير المتراع للملكة الرومانية في الشرق والغرب ^(١) وأقام على أنقاض بيزانس ^(٢) مدينة جديدة أسمها القسطنطينية (م ٣٣٠) . وأصبحت إيليا مدينة بيزنطية تابعة للقسطنطينية .

ولم يمض زمن طويل حتى زارت أمّة الملكة هيلانة إيليا (م ٤٢٦) وبرأت فيها كنيسة القيامة (م ٣٣٥) وخررت هيلانة البناء الذي كان على الصخرة ، وجعلها مطراً لقىمات البلد عناداً اليهود ^(٣) . وفرض قسطنطين على اليهود أن يتضرروا . فتنصر فريق منهم ، ومن لم يتضرر قتل ، أو خادر البلاد ^(٤) .

ولما اعتلى جوليان الجاحد العرش (م ٣٦٠) تنفس اليهود الصعداء ، وكانوا قبل ذلك مضطهدين . فالغى هذا جميع القوانين التي صدرت ضدهم وراح اليهود ينسرون إلى المدينة من كل صوب . وأمر جوليان بإعادة بناء الميكل . ووجه بذلك إلى أحد رجاله البيوس . ولكنهم ما كادوا يمحرون الأساس حتى

(١) اشتقت هذه المملكة إلى تسمين ، المملكة الفربية وعاصمتها روما . والمملكة الشرقية وعاصمتها بيزانس .

(٢) إستانبول .

(٣) (صح الأعشى) كثفافشانى . ج ٤ من ١٠١ .

(٤) (تاريخ القدس الشريف) لمركين . من ١٠٦ .

اندلعت الثيران من تحت الأرض . وسمع انفجار شديد فهرب العمال . ووقف العمل . فذهب الناس في تفسير هذه الظاهرة مذاهب شتى . ففهم من اعتبارها دليلاً على غضب السماء . ومنهم من قال إن المسيحيين أعلموا النار ليحولوا دون الميكل . ومنهم من فسر ذلك باحرق الغاز الدفين وهو سام . وبمات بعد ذلك جولييان . فخلفه ثيودوسيوس . ولما توفي هذا (٣٩٥ م) اقتسم ولداه الملكة ، وجعلها ملكتين . فراح أركاديوس يدير المملكة الشرقية . وهونوريوس الغربية . وفي (٤٥١ م) انقسمت الكنيسة أيضاً ، فأصبح هناك كنستان ، شرقية وغربية ، وكانت إيليا يومئذ من أتباع الثانية .

وفي (٥١٣ م) أقام الملك أنسطاسيوس على إيليا حاكماً يدعى أولبيوس . وعلى عهده ثار الرهبان . فأقاله الملك ، وولي مكانه أنسطاسيوس .

وفي (٥٢٧ م) توفي الملك يوستينوس ، وخلفه يوستيانوس (جوستانيان) العظيم . وعلى عهده ثار اليهود والسمرة . فأطfa ثورتهم . وشتت شملهم . وأنشأ هذا عدداً من الكنائس والأديار في إيليا وفي ما حولها من الجبال والأودية .

وبني ، في موضع المسجد الأقصى الحالي ، كنيسة باسم العذراء . وقرر المجلس الكنسي الخامس الذي تأمّل على عهده (٥٣ م) جعل إيليا مقراً للبطريركية .

ولكن لم يمض زمن كثير حتى دب الخلاف بين رجال الدين المسيحي فراحوا يتنازعون في مجادلات دينية . وراحت البلاد تتدحرج إلى الوراء .

وتولى العرش بعد ذلك أباطرة كثيرون . إلا أن معظمهم كانوا من الصعب يدرجـةـ أنـهـمـ لمـ يـسـتـطـعواـ درـهـ الشـرـ عنـ بلاـدـهـ ، فاستغلـ الفـرسـ الفـرـصـةـ . وظـرـواـ البـلـادـ . وفي عـهـدـ هـرـقلـ (٦١٠ - ٦١٤ م) كانـ الضـعـفـ قدـ دـبـ فيـ مـلـكـتـهـ

إلى درجة أنه لم يستطع الوقوف في وجه كسرى^(١) الذي أرسل عليهم جيشه بقيادة (مرزية خزرية) فاحتل هذا إيليا (٦١٤ م) وذبح من سكانها تسعين ألف مسيحي . وهدم الفرس كنيسة القيامة ، كما هدموا معظم الكنائس والأديار . وأخذوا البطريرك زخريا إلى بلادهم أسريراً . ويعتقد بعض المؤرخين أن الفرس قاموا بهذه الأعمال بتحريض من اليهود ، وأن هؤلاء قتلوا من المسيحيين أكثر مما قتل الفرس .

وأصاب الناس يومئذ جوع شديد . حتى قيل لهم أكلوا الجيف وحملوه إليهم .

ولكن هرقل عاد ، فجمع قواه . وانتصر على الفرس (٦٢٧ م) . ثم اصطلع الفريقيان . فأعيد الأسرى إلى بلادهم . كما أعيدت الغنائم التي نهبوها الفرس . ودخل هرقل إيليا (١٤ أيلول ٦٢٩ م) حاملاً على كتفه خشبة الصليب التي استردها من الفرس . وانتقم من اليهود ، فراح يقتلهم بالمئات . ولكن الضعف كان قد دب في مملكته بدرجة لم يستطع معها مقاومة المسلمين الذين جاءوا بعد قليل ، فأخذوا البلاد منه .

هناك في مادبا من أعمال شرق الأردن قطعة صغيرة من الأرض مرصوفة بالقسيس ، تمثل خارطة فلسطين في ذلك العهد ، وقد عثر المتنقبون على هذه القطعة بين أطلال كنيسة قديمة ، ويرى الناظر إليها موضع إيليا محاطة بسور ، يمتد منها من الشمال إلى الجنوب شارع تقوم الأعمدة على طرفيه . ويشتهر هذا الشارع عند الباب المعروف في يومنا هذا بباب العمود .

(١) جاء في كتاب (أبو بكر الصديق) للأستاذ محمد حسين هيكل ص ٢٠٨ أن المقصود من الآية الكريمة التي أزطاها الله على نبيه : « ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض ... » هو ملء المعركة .

الباب الثاني

الفتح الإسلامي

القدس وعمر بن الخطاب — القدس وبنو أمية — القدس وبنو العباس
القدس وبنو طولون — القدس وبنو الإخشيد — القدس الفاطمية
القدس والأئمَّة السُّلْجُوقِيُّون — القدس والأرنقيون

القدس وعمر بن الخطاب

(١٥ - ٦٣٦ م)

ليس بمستغرب أن يفكرون المسلمون في فتح البيت المقدس ، وهو البيت الذي ورد ذكره في قرآنهم ، وعلى لسان نبيهم ، وفي أحاديث معاقبتهم وأئمته وأعلامهم . ولقد كانوا مدفوعين لهذا الفتح بعوامل عدة : منها ما هو ديني ومنها ما هو اقتصادي ، وإن شئت فقل حربى واستراتيجى .

فقد أسرى بالنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وفي ذلك تزلت الآية الكريمة : « سبحان الذي أسرى به عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . . . » وما كان النبي ليسرى إلى هذا البلد الأمين لو لا أنه كان يعلم علم اليقين أنه عرق الجزيرة النابض وقلبها الخافق ، وأنه لا حياة للعرب في جزيرتهم إذا لم تكون تخومها الشهالية خمية ، ولم يكن هذا البلد في حوزتهم . وهذا في نظري ، هو سر الإسراء . . .

ورد في الحديث الشريف : « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى . »

وروى عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال : « وسط الأرضين أرض بيت المقدس . وأرفع الأرض كلها إلى السماء بيت المقدس » .

وعن أبي هريرة أنه قال : « من مات في بيت المقدس ، فكأنما مات في السماء » . وهذه أيضاً أن النبي قال : « أربع مداون من الجنة ، مكة ، والمدينة ، ودمشق ، وبيت المقدس » .

لم يكتف النبي بهذا الأسلوب من التشجيع على فتح بيت المقدس . فقد أردد القول بالفعل . وراح يحث قومه على غزو الروم . فقال : لهم ، وأيها الناس ، إني أريد الروم » . ولكن المثنية فاجأته ، قبل أن يدرك غايته . فما كمل أبو بكر الصديق وصيحة . وراح هذا يستفز العرب من أجل فتح الشام كلها ، وليس بيت المقدس وحده . وقد جهز لهذه الغاية أربعة جيوش عقد الويتها لأربعة من كبار القواد ، هم :

عمر بن العاص (١)	فلسطين
شرجبيل بن حسنة	الأردن
يزيد بن أبي سفيان	البلقاء
أبو عبيدة بن الجراح	دمشق

ولا نريد أن نذكر هنا ما الذي فعله كل واحد من هؤلاء القواد ، لأن ذلك خارج عن نطاق هذا الكتاب . وإنما نريد أن نذكر أن المسلمين بعد أن غلبوا الروم في اليرموك وفتحوا الشام ولدوا وجوههم شطر فلسطين . فتولى أبو عبيدة ابن الجراح حصار إيليا ، وراح عمر بن العاص يفتح المدن الفلسطينية الأخرى . وكان أبو بكر الصديق قد انتقل إلى دار البقاء وتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب .

وفي قول إن عمر بن الخطاب هو الذي أعز إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يزحف إلى إيليا . فلي أبو عبيدة أمر الخليفة ، واستدعي سبعة من مقاديم الجيش . فعقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل وأمرهم بالسير إليها .

ففي اليوم الأول سار خالد بن الوليد ، وفي اليوم الثاني تبعه يزيد بن أبي سفيان . ثم شرجبيل بن حسنة . فالمقال بن هاشم . فسبب بن نجمة الفزارى .

(١) (نوح الشام) للواقف (وتاريخ ابن خلدون) ج ٢ ص ١٠٥ .

فقيس بن المرادي . فعروة بن مهملل بن زيد الخليل . وكان جملة من سار من الشام ، إلى إيلياه سبع فرق ، مجموع أفرادها خمسة وثلاثون ألفاً . كلهم فرسان نشيطون ، ورجال ماهرون في القروبية . وما عرف التاريخ أصبر منهم على الجوع والعطش والمشي . . . كان مهدأهم في المخروب .

«لن يونحر الله نفساً إذا جاء أجلها» . «لا يستأنرون ساعة ولا يستقدمون» وجاء من وراء الجيش قائد أبو عبيدة . ولما حل ركبته في الأردن بعث إلى أهل إيلياه الرسل متزودين بالإندار التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل إيلياه وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله وبالرسول ، أما بعد : فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن الساعة آية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دمائكم وأموالكم وخواريكم ، وكتم لنا إخواننا . وإن أبيتم فأفروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون . وإن ألمت أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير . ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتلكم وأؤسي ذرايكم » .

انقضت الأيام الأربع الأولى من غير حرب . ولم يتلق المسلمين جواباً من الروم على إندارهم . وفي اليوم الخامس اقترب يزيد بن أبي سفيان من السور ، وكلم المهاجرين ، فخيرهم بين التسلیم أو دفع الجزية أو القتال . فرفضوا الشرطين الأولين واختاروا القتال . وكتب يزيد إلى أبي عبيدة مغبراً بما جرى فأصدر هذا أمره بالزحف . وكان أول من يرز لقتال بنو حمير ورجال اليمن فتقامهم الروم بالنبال . ثم جاء الآخرون . ونشبت معارك طاحنة دامت عشرة أيام . وفي اليوم الحادي عشر أشرف راية أبي عبيدة وفي رفقة عبد الرحمن بن أبي بكر ونفر من المجاهدين الأبطال . فاستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير . ودب الرعب

في قلوب الروم . ودام الحصار أربعة أشهر لم يتৎفس يوم واحد منها دون قتال . إلى أن قطع السكان . وحل بهم الفسق والخروع . فرأوا التسلیم . إلا أنهم اشتغلوا ألا يسلموا المدينة إلا إلى شخص الخليفة . فوافقهم أبو عبیدة ، وأمر جنده بالكف عن القتال .

أرسل أبو عبیدة إلى الخليفة كتاباً مع رسول يخبره بما جرى . وبعد أن استشار عمر بن الخطاب أهل الخلق والعقد من المسلمين في الأمر ، غادر المدينة ميمماً بيت المقدس . ولما وصل إلى الخصم الذي كان يرابط فيه المسلمون على مقربيه من السور ، وفي قول على جبل الزيتون ، استقبله المسلمين بخليهم ورماحهم وقد اصطفوا لاستقباله في صفوف متراصة ، راكبين خيولهم متقدلين سيفهم شارعين رماحهم ^(١) يهلكون ويكترون . وكان هو على قلوص ^(٢) لابساً سلاحه . متوكلاً قوته . ولم يكن معه سوى عبده . وبعد أن استراح قليلاً قص عليه أبو عبیدة الخبر اليقين ، بما جرى مذ افترقا إلى ذلك الخصم . أمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك قدومه . ففعلوا . وجاء البطريرك بعد قليل حاملاً الصليب المقدس على صدره . وجاء معه عدد من الأساقفة والقسسين والشمامسة والرهبان حاملين الصليب . ولما أنهوا إلى مقام الخليفة خف للقادمين . وتقبلهم بمزيد الاحضاء والإكرام . ثم تحدّثوا في شروط التسلیم . وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهد العمرية :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا أَعْطَى اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ عَمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ زَلْيَاءِ مِنَ الْأَمَانِ :

«أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لِأَنفُسِهِمْ وَأَمَالِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ وَصَلَبَاهُمْ . سَقَيَاهُمْ وَبَرَيَاهُمْ وَسَافَرَ مَلَهَا . أَنَّهُ لَا تَسْكُنْ كَنَائِسِهِمْ ، وَلَا تَهْدُمْ ، وَلَا يَنْتَفَضُ مِنْهَا وَلَا مِنْ خَيْرِهَا ،

(١) (شدّرات الذهب) لابن الصادق الحنفي ج ١ ص ٤٨ .

(٢) (التكامل في التاريخ) لابن الأثير . ص ١٩٢ — والقلوص من الإبل صنف السن .

وَلَا مِنْ صَلَبِهِمْ ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ مِّنْ أُمَّا لَهُمْ . وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ ، وَلَا يُفْسَدُ
أَحَدٌ مِّنْهُمْ . وَلَا يُسْكَنُ بِإِلَيْلَيْاهُ مَعْهُمْ أَحَدٌ مِّنَ الْيَهُودِ . وَعَلَى أَهْلِ إِلَيْلَيْاهُ أَنْ يَعْطُوا
الْجُزْيَةَ كَمَا تُعْطَى أَهْلَ الْمَدَائِنِ . وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا الرُّومُ وَالْأَصْوَصُ . فَهُنَّ
خَرَجُ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِلَيْلَيْاهُ مِنَ الْجُزْيَةِ . وَمِنْ أَحَبِ
مِنْ أَهْلِ إِلَيْلَيْاهُ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الرُّومِ وَيَخْلُقَ بَيْنَهُمْ وَصَلَبِهِمْ فَلَأَنَّهُمْ آمَنُوا
عَلَى أَنفُسِهِمْ وَعَلَى بَيْتِهِمْ وَصَلَبِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَا مِنْهُمْ . فَنَّ شَاءَ مِنْهُمْ قَدْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى بَيْتِهِمْ وَصَلَبِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَا مِنْهُمْ . فَنَّ شَاءَ مِنْهُمْ قَدْ
مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِلَيْلَيْاهُ مِنَ الْجُزْيَةِ . وَمِنْ شَاءَ سَارَ مَعَ الرُّومِ ، وَمِنْ شَاءَ رَجَعَ
إِلَى أَهْلِهِ فَلَأَنَّهُ لَا يَؤْنَدُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يَحْصُلُوا حِصَادَهُمْ .
وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذَمَّةُ رَسُولِهِ وَذَمَّةُ الْخَلْفَاءِ وَذَمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ
إِذَا أَعْطُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُزْيَةِ .

كَتَبَ سَنَةً ١٥ لِلْهِجَّةِ ،

شَهَدَ عَلَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَمَّرُو بْنُ الْعَاصِ
وَمَعاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانٍ ،

وَكَمَا أَنْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ أَعْطَى أَهْلَ إِلَيْلَيْاهُ الْعَهْدَ الَّذِي تَقْدَمَ ذَكْرُهُ ، فَقَدْ
أَنْهَى عَلَيْهِمْ أَيْضًا عَهْدًا . وَلَقَدْ جَاءَ فِي عَهْدِهِمْ هَذَا مَا يَلِي :
« هَذَا كِتَابٌ لَعَبْدِ اللَّهِ عَمَرٍ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ
إِلَيْلَيْاهُ . . . إِنَّكُمْ لَا قَلْسَمْتُمْ عَلَيْنَا مَا كُنَّا مُكْمِنِيْنَ لِأَنْفُسِنَا وَفِرَارِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِ
مُلْتَنَا . وَشَرَطْنَا لَكُمْ أَنْ لَا نَحْدُثَ فِي مَدِينَتِنَا وَلَا غَيْرَهَا دِيرًا وَلَا كَنِيسَةَ وَلَا
قَلْعَةَ^(١) وَلَا صَوْمَعَةَ رَاهِبَ . »

وَلَا نَجْسَسْ مِنْهَا مَا كَانَ فِي خَطْطِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا نَمْنَعْ كَنَائِسَنَا أَنْ يَتَرَاهَا أَحَدٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلَ وَلَا نَهَارٍ . وَأَنْ توْسِعْ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَةِ وَأَبْنَانِ السَّبِيلِ . وَأَنْ تَنْزَلَ
مِنْ مَرْأَةِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نَطْعَمُهُمْ وَلَا نَوَارِي فِي كَنَائِسَنَا وَلَا فِي مَنَازِلِنَا

(١) مَنَاهَا سُكُونُ الْأَسْقَفِ .

جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر مشركاً ، ولا ندعوا إليه أحداً ، ولا نمنع أحداً من ذوى قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراده . وأن نوقر المسلمين ، ونقوم لهم من مجالستنا إذا أرادوا الخلوس ، ولا نتشبه في شيء من لباسهم في فلسفة ولا عمامه ولا غطاء ولا فرق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكتئي بكتابهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيف ، ولا نتخد شيئاً من السلاح ، ولا نحمله معنا ، ولا نقش على خواتمنا بالعربية . ولا نبيع الحمور . وأن نجز مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زيننا حيثما كنا . وأن نشد زنادير على أوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا . ولا نظهر صليباتنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم . ولا نضرب نوافيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً . ولا نرفع أصواتنا مع موانا . ولا نتخد من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين . ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

بعد أن تعاطى الفريقان العهود والأيمان على الخط المقدم ذكره دخل عمر ابن الخطاب إيليا (١٥ - ٦٣٦ م) . فاستقبله صفرونيوس ودخل من ورائه المسلمين . دخلوها مكابرین مهالين . وقيل إن عدد من دخل منهم يومئذ أربعة آلاف . وقد كانوا متقلدين سيفهم . ورأية العرب ترفرف فوق رؤوسهم . كان أول عمل قام به عمر بعد فتحه بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة . ولما كان في داخلها ساجن وقت الصلاة . فأشار عليه البطريرك صفرونيوس أن يصل في داخل الكنيسة قائلًا (مكانك صل) . ولكن عمر أبى ، وخرج من الكنيسة ، وصل في مكان على مقربة منها ، تخشية أن يتخذ المسلمون صلاتهم في داخل الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها . فقابل النصارى عمله هذا بالشكر . وذكره المؤرخون بالتقدير .

ثم زار عمر مكان الميكل . وكان هنا في حالة خراب . تجمعت فيه الأقدار فأصبح عبارة عن مزبلة . فراح يحفن التراب وينحضره يكتفيه وهذا الصحابة

الذين كانوا معه حلوه . فراحوا ينظفون المكان وبرزت الصخرة . وأمر عمر أن يبني هناك مسجد . فبني المسجد ، وكان من خشب (٦٣٧م) .

بعد أن انتهى عمر من زيارة هذين المكانين : القيامة والصخرة راح يتوجول في شوارع المدينة ، ويغشى أسواقها . وكانت هذه لا تزال ثن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسي (٦١٤م) . فرأى يعين ثانية أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي أولاً ، فلم يتوان . ففرض للMuslimين الفروض ، وأعطى العطايا . ثم وضع التاريخ الهجري ، ودون الدساوين . وقسم البلاد إلى مناطق . وعيّن لكل منطقة أميراً . ثم رتب البريد ليؤمن الاتصال بين هذه المناطق ، وأقام العيون (الاستخبارات) . وعيّن قاضياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين . ويتحقق الشكایات . وأسس الحسبة (البلدية) لمشاركة الموازین والمکاپیل ومراقبتها ، ولمنع الغش ، وتنظيف الأزقة ، وشر الكتف ، والرفق بالحيوان . وعدم البناء المحدث في وسط السوق . وحضر على الناس الازدحام في الطريق . وحضهم على التجارة قائلاً : «لاتلهكم الرياسة وحبيها ، ولا يغلبكم الغرباء على التجارة . فلنها ثلث الإمارة» . وبهذا كان عمر يفقد المدينة ويبحث شؤونها وما أصاب سكانها من جيف . وضم أثناء الفتح ، أتاهم رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرم عنب . فشكاك إليه همه ، فركب معه . ولما رأى أن فريقاً من المسلمين أكلوا ما في الكرم لشدة ما أصابهم من جوع ، أعطاهم ثمن ما أكلوه . وقد أمر رجاله بالعدل ، قائلاً لهم : «متي استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاطهم أحجاراً» .

وذكر المؤرخون أن عمر زار قبيل رحيله عن بيته المقدس أبا عبيدة بن الجراح في بيته . فلم يجده فيه سوى ليد فرسه (وكان هذا هو فراشه وسرجه ووسادته) وكسر يابسة في كوة بيته ، ولما دخل عمر جاء بهذه الكسر ، فوضعها على الأرض بين يديه . وأتاهم بملع جريش ، وكوز من الخزف فيه ماء . فلما نظر عمر إلى ذلك بكى .

وبعد أن رتب عمر الأمور ، ووضع كل شيء في نصابه ، اعتزم الرجوع إلى المدينة ، وقبل أن يغادر بيت المقدس ، جمع جنده ، فأثنى على عملهم . وشكر الله إذ صدق وحده ونصر جنده . وأورثهم البلاد . ومكث لهم في الأرض . ثم نصحهم بالابتعاد عن العاصي ، والتوبة ، وتقوى الله ، وإلا سلب الله عزهم ، سلط عليهم عدوهم .

وأقام على بيت المقدس ، يزيد بن أبي سفيان على أن يأمر بأمر أبي عبيدة . وانتدب للصلوة من بعده سلامة بن قيس . وأمر على فلسطين رجليين : فجعل (علقمة بن حكيم) على نصفها الشمالي وأنزله الرملة . و (علقمة بن مجذر) على نصفها الجنوبي وأنزله ليلياه . فنزل كل منهما في عمله مع جنده . ثم عاد إلى الحجاز .

القدس وبنو أمية

صُبِّت القدس إلى الشام (٦٤١ - ٢١ هـ) ونضبت حكم معاوية ابن أبي سفيان^(١) مؤسس الدولة الأموية . فأقام عليها سلامة (وفقاً قول سلام) ابن قيس . وكان هذا يقيم في نفس المكان الذي كان يقوم عليه قصر هيرودس في عهد الرومان .

(١) كان على عهد النبي كاتب الوس . وكان أحد قادة الجيش الذي أرسله أبو بكر الصديق لفتح الشام . حضر فتح بيت المقدس . وكان من شهود (المهدية الصرمية) التي أخطأتها عرب بن الخطاب لأهل ليلياه . وقد ولد عبد ذلك الشام . كما ولد عثمان نفس العمل بعد مقتل عمر . ولما مات عبد الرحمن ابن علقة الكتاب ، وكان على فلسطين ، خُصّ عهده إلى معاوية (٦٤١ - ٢١ هـ) ثم صار المحاكم المطلقة حل الشام والبلقاء والأردن وفلسطين ومصر والعراق والنجف . وبوييع بالخلافة سنة ٤١ - ٦٤١ هـ

كان للقدس يومئذ^(١) سور ، وكان على ذلك السور ٨٤ برجاً ، وله ستة أبواب ، ثلاثة منها فقط يدخل الناس منها ويخرجون : واحد غربي المدينة ، والثاني شرقها ، والثالث في الشمال . وكان يوم المدينة ، في اليوم الخامس عشر من شهر أيلول من كل سنة ، جاهير غفيرة من مختلف الأجناس والأديان يقصد التجارة . ويقضى هؤلاء فيها بضعة أيام . وكان فيها مسجد مربع الأضلاع ، بني من حجارة وأعمدة ضخمة نقلت من الأطلال المجاورة . وهو يتسع لثلاثة آلاف من المصليين . والمعتقد أن هذا هو المسجد الذي بناه عمر ابن الخطاب . وكان جبل الزيتون منطلي بأشجار العنب والزيتون . وكان سكان بيت المقدس يومئذ يأتون بالأحشاب التي يحتاجون إليها من أجل البناء والوقود ، تنقل على الجمال من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة أميال من الخليل إلى الشمال .

وقد اعتلى منصة الحكم بعد وفاة معاوية ابنه يزيد (٦٨١ م) . ثم معاوية ابن يزيد (٦٨٤ م) . وفي عهده بايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير بالخلافة . وانضم إليهم بعد قليل سكان مصر . ولما تولى خلافة الشام مروان بن الحكم (٦٨٤ م) . احترق الفريقيان . وانقسمت البلاد إلى قسمين : قيس ويمن . وكاد نائل بن قيس البهادى بفلسطين يمبل إلى الزبير ، لولا أن أسرع مروان إلى محاربته . وتغلب عليه . وتمكن مروان بعد قليل من تثبيت حكمه في مصر والشام .

ثم تولى الحكم عبد الملك بن مروان (٦٩٠ - ٦٨٤ م) . وكان والياً على فلسطين ، في عهده ، رجل يدعى منصور .

وفي زمان عبد الملك بن مروان بنى المسجدان^(١) : الصخرة والأقصى .
وهما من أعظم آثار بنى أمية في فلسطين . لا ، بل إنها من مفاخر العرب
في الشرق كله . ويقول المؤرخون^(٢) إن عبد الملك أراد أن يصرف الناس عن
التفكير بالسفر إلى الحجاز (وكان ابن الزبير قد ثار ضده فيها وأعلن استقلاله)
 وأن يشغلهم عن الكعبة ببناء هذا الأثر العظيم .

ومن آثاره أنه عبد في هذه البلاد طرقاً عديدة منها : طريق القدس
ـ الشام ، وطريق القدس ـ الرملة . ووضع في مواضع معينة حجارة نقش
عليها اسم الذي أمر بعمارة الطريق ، والمسافة بين ذلك الموضع ودمشق مقر
الخلافة . وكانت هذه تفاصيل بالأميال .

قال مجير الدين في كتابه (الآنس البخليل في تاريخ القدس والخليل) إن
عبد الملك كان يثق بالنصارى ، إلى درجة أنه استخدمهم في المسجد الأقصى
وسمح لهم بتواصُل الخدمة فيه .

بعد عبد الملك بوييع بالخلافة ابنه الوليد (٧٠٥ م) وعلى عهده تم بناء
المسجد الأقصى . حتى لقد قيل إنه هو الذي بناه . وببلغ بنو أمية على عهده
أقصى درجات العز . وشمل ملكه بلاد الترك والروم والهنود . وفتح موسى بن
نصرير باسمه الأندلس .

ولقد أحب الوليد بيت المقدس . وقيل إنه تقبل مبادعه الناس وهو على سطح
الصخرة . وكان ينوى أن يتخلصها مقراً للخلافة . بيد أنه عامل المسيحيين معاملة

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذين المسجدتين في موضع آخر من هذا الكتاب وفي كتابنا (تاريخ
الحرم النبوي) . طبع في سلسلة دار الأبيات الإسلامية بالقدس عام ١٩٤٧ م ، وفي الترجمة الإنكليزية
التي نشرناها بمروان The Dome of the Rock وقد طبعت في المطبعة التجاربة بالقدس
عام ١٩٥١ .

(٢) أول من قال هذا القول هو الكاتب العباسي المعروف بالبيهقي (٨٧٤ م) ونفعه
كثيراً من سهم المرسوم محمد كرد فعل في كتابه (خطط السام) ج ١ ص ١٤٩ .

قاسية^(١) . لأنهم لم يواقوه في خطته التي اختطها لمحاجة القسطنطينية . بعد وفاة الوليد تولى الملك أخوه سليمان (٧١٤ م) . ولقد أحب هذا فلسطين وخاصة الرملة . وكان والياً عليها عند ما جاءه الخبر بوفاة أخيه الوليد . وقد بايعه الناس وهو على سطح الصخرة . وكان يحب الحلوز في قبة السلسلة . ومن حوله الناس على الكراسي والوسائل وإلى جانبه الأموال وكتاب الدواوين . وقيل إنه كان ينوي أن يتخلد القدس أو الرملة عاصمة لملكه .

ومن بعده تولى الملك ابن عميه عمر بن عبد العزيز (٧١٧ م) . ومن أعماله أنه لا أحسن بنيه اليهود ببيت المقدس أخرجهم منها .

ولم يجر في القدس أو في فلسطين ما يستحق الذكر على عهد يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ م) وأخيه هشام (٧٢٤ م) والوليد بن يزيد (٧٤٣ م) ويزيد بن الوليد (٧٤٤ م) وإبراهيم بن الوليد (٧٤٤ م) ومروان بن محمد (٧٤٤ م) سوى أن أهل فلسطين تأمروا في زمن يزيد بن الوليد على أميرهم ، فقتلواه .

وفي زمن مرwan بن محمد ، وهو آخر الخلفاء الأمويين ، صارت أحوال الدولة وانتشار الفساد في جميع أنحاء البلاد . وثار على الحكم الأموي الحكيم ابن ضبعان بن روح بن زباع زعيم فلسطين في ذلك الحين .

وثار أيضاً أبو العباس الماشمي . فبايعه أهل العراق وخراسان . فاشتد سعاده . وجمع جيشاً حارب به جيش مروان . فتغلب عليه . وهرب مروان إلى مصر ، فلحقه ، وقتله^(٢) . وبهذا قضى على الدولة الأموية قضاء تماماً (١٣٢ - ٧٥٠ م) .

(١) (تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية) للخليل إبراهيم فراقيا من ٥٨ .

(٢) كتاب (التنبية والأشراف) لل سعودي . من ٣٢٩ .

القدس وبنو العباس

(٧٥٠ م)

أعلن الحكم بن ضبعان بن روح بن زياد خصوص فلسطين لحكم العباسين (٧٥٠ م). فجاء إليها القائد العباسي صالح بن علي عم السفاح في خمسين ألف مقاتل ، واحتلها ، وألقى القيس على من كان فيها من زعماء الأمويين ، وخيارهم ، وعددهم ثلاثة وثمانون ، وأرسلهم إلى ابن أخيه السفاح ، فقتلهم ^(١) . بعد السفاح (أبو العباس عبد الله بن محمد) تولى الخلافة أبو جعفر المنصور (٧٥٤ م) وأمر هنا عماداً بن الأشعث أن يخرج عمال صالح بن علي من الأردن والبلقاء وفلسطين . فأنخرجهم منها . وهبط أبو جعفر المنصور بهذه ذلك بيت المقدس ، وكان المسجد الأقصى قد أصيب بخراب شديد إثر زلزال حدث عام ٧٤٧ م . ولم يكن لديه من المال ما يمكن لتعميره ، فأمر بتنع صنائع الذهب والنفحة التي على الأبواب ، فضررت دنانير . وأنفقت على تعمير المسجد الأقصى . فتحت عمارته عام ٧٧١ م .

وبعد ثلاث سنين حدث زلزال آخر (٧٧٤ م) أضر بالمسجد من جديد . وكان الضرار في هذه المرة بالغاً . وكان على كرسى الخلافة عبد المهدي بن المنصور (٧٧٥ م) . وعند ما زار المهدي القدس عام ٧٨٠ م . أمر بتعمير ما خربه الزلزال . ولم يكن في خزانة الدولة من المال ما يمكن لذلك . فكتب المهدي إلى عماله في جميع أنحاء المملكة ، فلبى هؤلاء نداءه ، وعم المسجد . وبما تم على عهده أنه أمر بإبعاد البطريرك الأورشليمي إلياس الثالث إلى

(١) سلطنة الشام محمد كرد على ج ١ ص ١٢٥ .

بلاد الفرس ، وأمر بأن يسكن المسيحيون في حي واحد من أحياء القدس ، وأن تحصل منهم فدية .

لم تذكر القدس في زمن الخليفة العباسى موسى المادى (٧٨٥ م) . وإنما ذكرت كثيرةً في عهد أخيه هارون الرشيد (٧٨٦ م) . ولا بدّع فقد بلغت دولة العرب في أيامه أوج العز والتجدد ، وقد عامل النصارى أحسن معاملة . فسمح للإمبراطور شارلماן بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء حيث تقوم على آثارها كنيسة الدباغة . وفي سنة ٧٩٦ م أهدى شارلماן ساعة وفيلا وأقمشة ثمينة . وأخذ على نفسه حماية الحجاج المسيحيين الذين يفلتون لزيارة بيت المقدس وقابله شارلمان بالمثل . فراح يرسل ، في كل عام ، وفداً إلى القدس يحمل المدايا إلى الخليفة والأموال لفقراء المسلمين . وعاد الوفد مرة حاملاً معه مفاتيح القيامة والقبر المقدس .

واعتنى كرسي الخلافة بعد الرشيد ولده الأمين (٨٠٩ م) ثم جاء المأمون (٨١٣ م) فجدد هذا عمارة الصخرة . وعلى عهده زار الإمام محمد بن إدريس الشافعى بيت المقدس . كما زاره عدد كبير من العلماء وأهل الفضل . وانسعت مملكته . وبسبب هذا الاتساع أصبح الناس لا يعبأون إلا قليلاً بالأوامر التي تصدر إليهم من بغداد ، وتفرد العمال .

وما كاد المأمون ينتقل إلى دار البقاء (٨٣٣ م) حتى دب الانقسام في مملكته الترامية الأطراف .

وفي عهد أخيه المعتصم بالله بن الرشيد بدأ تقهقر الدولة العباسية . إذ كان المعتصم أمياً ، وكان جاهلاً . وهو أول من جند الأتراك واستعن بهم في الحرب . وقطع العطاء عن العرب . وراح بنو العباس من بعده يرقون مواليم من مغارس ووصيف إلى قائد وأمير . ولم ينتفع على ذلك وقت طويل حتى أصبحوا هم (أى الخلفاء) آلات بأيدي مواليمهم .

وبلغ الخصم بين قيسن ويعن الترسوة على عهد الواثق بالله هارون أبي جعفر (٨٤٢ م). وثار المبرقع (نعم المخى) من زعماء فلسطين، فخرج على العباسين. ودعا لنفسه، فتباهى بخلق كثير. ولكن القائد العباسي عاد، فتغلب عليه.

ولما توفي الواثق بالله بريء أخوه جعفر بن المعتض (٨٤٧ م) ولقب بالمتوكل على الله. وقسم هذا مملكته، على عهده، بين أولاده: فكانت فلسطين والأردن وحمص ودمشق من نصيب ولده المؤيد، وخراسان وطبرستان وفارس وأرمينيا وأذربيجان من نصيب ولده المعتز، وأفريقيا والمغرب وسوريا وما بين البحرين والشجاعي واليمن وحضرموت والبحرين من نصيب ولده المنصور.

لم تذكر القدس في عهد المنصور بن المتوكل على الله (٨٦١ م). والمستعين بالله (٨٦٢ م). والمعتز بالله (٨٦٦ م).

وكل ما يحصل هنا ذكره عن ذلك العهد أن دسائس الأترواك كثرت في بغداد مقر الخليفة إلى درجة أنهم أوزروا إلى المعتر أن يتنازل عن الخليفة. ففعل، وأودعوا السجن، ثم قطعوا عنه الطعام، فمات جوعاً.

وفي عهده استولى عيسى بن الشيخ بن سليل الشيباني على الرملة. ثم استولى على فلسطين جميعها. وتغلب على دمشق وأعمالها. وامتنع عن حمل المال إلى العراق.

وفي عهده ابن عم المهتم بالله بن الواثق (٨٦٩ م) اضطربت الأمور ببغداد، وساد في فلسطين أحد بن عيسى بن الشيخ الشيباني^(١)، فتقلد جندي فلسطين والأردن.

ومات المهتم بالله ذبحاً. فبريع بالخلافة من بعده المعتمد على الله بن المتوكل الثالث (٨٧٠ م). وقد بايعه الجميع، إلا ابن شيخ زعيم فلسطين.

(١) (تاريخ مصر الحديث) بطرس زيدان. ج ١

فإن لم يدع إليه . ولم يبايعه . فبعث إليه بتنقلية أرمينيا فوق ما معه من بلاد الشام . فلديعا له وبايعه . ولكن الفريقين عادا فاقتلا . وحرس الخليفة العباسى قائد القوات المصرية أحمد بن طولون — وكانت مصر تدين بالطاعة يومئذ إلى بغداد — على ابن شيخ . فساق عليه جيشاً كبيراً . وقبل أن يصل ابن طولون إلى فاسطين ، استبدله الخليفة ، (أماجور التركى) . وأتم هذا مهمة سلفه . فقاتل ابن شيخ وقومه ، وتغلب عليهم . ولحق ابن شيخ بأرمينيا ، وتقلد أماجور أعمال الشام كلها .

لم تذكر القدس في عهد المعتصم بالله (٨٩٢ م) . لا ولا في عهد ابنه المكتفى بالله (٩٠٤ م) . واستعاد هذا سلطة أجداده العباسيين ، فسادت كلامتهم في مصر والشام .

بعد المكتفى بوعي أخيه جعفر المقتصد بالله (٩٠٨ م) .
و威名 قتل المقتصد بوعي أخيه القاهر بالله (٩٣٢ م) . فولى هنا على مصر أبو بكر محمد بن طلحة . ومن هذا نشأت دولة حكمت مصر والشام مدة من الزمن وعرفت (الدولة الإخشيدية) .

وقبعت الخليفة العباسيون بعد ذلك التاريخ في قصورهم . واقتصرت سلطتهم على الشؤون الدينية . ومكثوا على تلك الحال إلى أن زحف هولاكو على بغداد (١٢٥٧ م) وقضى على الخلافة العباسية . فغادرواها إلى مصر ، حيث عاش منهم خمسة عشر خليفة ، كان آخرهم محمد المتوكّل على الله الذي تنازل عن الخلافة الدينية إلى السلطان سليم العثماني (١٥١٧) .

زار القدس ، خلال السنين الأخيرة من العهد العباسى العالم المعروف (برنارد الحكيم) . زارها بعد أن نال رضى البابا في رومة . ووصفها فقال : «إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام . وإن الأمن العام مستتب للغاية حتى إن المسافر بلا يفرض عليه أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته . وإلا

زوج في السجن حتى يمحق في أمره . وإذا سافرت من بلد إلى بلد وتلقى جمل أو حمارى وتركت أمتاعها ، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فرجلت كل شيء على حاله لم تمسه يد » .

ووصف برنارد الحكم النزل الذي نزل فيه ، وهو معد للحجاج الذين يتكلمون اللغة الرومانية . فقال إنه النزل الذي أسته الملك شارلaman . وبجانبه سوق يترتب على الشخص الذي يعمل فيه أن ينقد المحاسب الذي يناظره قطعتين من الذهب كل سنة .

ذلك كان في عام ٨٧٠ للميلاد .

القدس وبنو طولون

(٨٧٨م)

دخلت القدس في حكم ابن طولون^(١) عام ٨٧٨ للميلاد . فوطنه في ذلك العام سلطانه في الشام ، بعد أن كان قد وطد سلطانه في مصر . وكان قبل ذلك قائداً عاماً للجيوش المصرية ، يأمر بأوامر الخلفاء العباسيين ببغداد . لا نعلم عن أعمال ابن طولون في القدس سوى أن النصارى تأسوا على عهده ، وأنه حظر عليهم أن يلبسوا النزع إلا مرفوعاً من قبل ومن خلف ، وأنه حرم عليهم ركوب الخيل .

(١) يennis الماء إحدى القبائل التي تألف منها تركستان . أسره ابن أسد الصباعي في إحدى التزوات التي قام بها . وأرسله إلى بلاط الخليفة ببغداد . فما جبع به المأمون وأخلفه بخاشيه . ونصح يرقى به أن جعله رئيس حرمه . واستفاد ابن طولون من الفسحة التي دب بعدئذ في صفوف العباسيين . فتحول قيادة الجيش . وسيطر حل البلاد . فأسس الدولة الطولونية . (جرجس زيدان ج ١ من ٦٤٣) .

وأقتل بنو نثم وبنو جذام من القبائل الفلسطينية على عهده قتالاً شديداً .
ولما مات ابن طولون تولى الحكم ولده خارويه (٨٨٣ م) . وعمل هنا
على توطيد صلاته بال الخليفة في بغداد ، فأرسل إليه وفداً يحمل المدaiا ، والمراج ،
ولما قتل خارويه تولى ابنه (جيش) الملقب بـأبي العساكر . ولكن ، لا
الشام قبلته ، ولا مصر . بل ثار الجميع عليه ، وقتلوه . وأقام الثوار من بعده
أنهاء (هارون) ٨٩٦ م . وثبتته الخليفة المعتصم على مصر .

وهارون أيضاً مات قتلاً (٩٠٤ م) . فسلم الأمر من بعده محمد بن سليمان
الذي أرسله الخليفة المكتفي بالله إلى الشام على رأس جيش ليتملكها . وقد امتلكها
وامتلك مصر من بعدها . وأعاد إلى الخليفة العباسى سلطنته السابقة .
وهكذا انتهى حكم الدولة الطولونية لا في القدس وحدها ، بل في مصر
والشام . (٩٠٥ م) .

لم تكن القدس في عهد هذه الدولة من الأهمية بمكان . فلم تذكر إلا قليلاً .
وما كان الناس ليقصدوها إلا لغایات دينية .

القدس وبنو الإخشيد

(٩٣٨ م)

دخلت القدس في حكم السولة الإخشيدية عندما أقام الخليفة العباسى
القاهر بالله ابن المعتصم ، محمد بن طبعج^(١) ، فولاه الحكم في مصر والشام ،

(١) إنه محمد بن طبعج بن جف بن بشتكين بن هوري، بن خاقان . نزل جده جف هذه البلاد
عـلـيـهـ الـمـعـتـصـمـ بـالـلهـ بـنـ هـارـونـ الرـشـيدـ . وـدـشـلـ أـبـوـ طـبعـجـ فـىـ خـدـمـةـ خـارـويـهـ بـنـ أـحـدـ بـنـ طـولـونـ .
فـوـلاـهـ دـمـشـقـ وـتـولـهـ هـرـ (أـيـ مـحمدـ بـنـ طـبعـجـ)ـ مـصـرـ مـنـ لـدـنـ الـخـلـيـفـةـ الـعـبـاسـىـ الـقـاهـرـ بـالـهـ (٩٣٢ـ مـ)ـ .
ثـمـ وـلـاهـ -- كـمـاـ قـلـنـاـ -- مـصـرـ وـالـشـامـ (٩٣٨ـ مـ)ـ .

ولقب هذا بالإخشيد (٣٢٧ - ٩٤٨ م) .

وقامت ، بعد ذلك بعام واحد ، حرب بين الإخشidiين وبين الأمير محمد بن رائق صاحب فلسطين . انتهت بالصلح على أن تكون البلاد من الرملة إلى السخوم المصرية للإخشidiين وباق الشام لأمير الأمراء محمد بن رائق^(١) ، وأن يحمل الإخشيد إلى ابن رائق في كل سنة مئة وأربعين ألف دينار تعويضاً عن الرملة .

ولما قتل محمد بن رائق^(٢) سنة ٣٣٠ هـ - ٩٤١ م . استرجع محمد الإخشيد البلاد التي كان قد تنازل عنها لابن رائق . وبعد ذلك بستين تولى إمارة الحجاز فسادت كلمته في مصر والشام وفلسطين والأردن والهجاز .

مات الإخشيد في دمشق ، ودفن في القدس (٣٣٤ - ٩٤٥ م) . وتولى الأمر من بعده أبو القاسم محمد الملقب : (أنجور) وعلى عهده زار القدس السائع الفارسي المشهور ، ناصري خسرو . ووصفها في كتابه (سفر نامة)^(٣) فيما جاء فيها : « أنه كان في القدس يومئذ عشرون ألف نسمة . وأن فيها أسوأها جليلة وعالية . وأن أرضها مرصوفة بالحجارة . وأنه يوجد على حافة سهل معروف بالساعرة قرابة عظيمة فيها مقابر كثيرة من الصالحين » .

ولما مات أنجور بن الإخشيد (٩٦٠ م) حل إلى القدس ، ودفن بها عند أبيه

وتولى الملك من بعده أنجوه على الملقب بأبي الحسن . وكان أمره بيد كافور مدير مملكته . ولما مات (٩٦٥ م) حل إلى القدس ، ودفن فيها إلى جانب أبيه الإخشيد وأخيه أنجور .

(١) جرجي زيدان ح ١ ص ١٨٥ .

(٢) قتله الحمدانيون بالموصل .

(٣) رحلة وقعت سراً بين ٩٥٨ و ١٠٥٢ م .

وبهذا اتفرد كافور بالحكم ، ولقب بالإخشيدى . وخطب له على منابر مصر والشام والميجاز والشغر .

ولما توفى كافور (٩٦٦ م) دفن في القدس^(١) . ووقع الخلاف ، إثر وفاته ، بين الإخشيديين . إذ راح كل واحد منهم يدعى الإمارة لنفسه . فاستولى جوهر الصقلى على البلاد ، وراح يخطب فيها باسم المعز القائد الفاطمى .

لم تذكر القدس على عهد الإخشيديين إلا قليلاً . ولم تكن يومئذ ذات أهمية : لا من الناحية التجارية ، ولا من الناحية الحربية وما كانت تقصد إلا لغايات دينية . وكانت القدس يومئذ دون الرملة من حيث الحجم والأهمية . كان في القدس يومئذ مسجد ليس في الإسلام أكبر منه^(٢) . ولم يكن فيها ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع . ويزرع في جبالها وسهولها أشجار الزيتون والتين والحميز والعنب وسائر الفواكه . . .

وكان على القدس ، في عهد كافور ، وال يعرف بمحمد بن إسماعيل الصهاجى . ويدرك عنده أن أتباعه أحرقوا كتبسة القيامة ، فسقطت قبها . ونهبوا كتبسة صهيون وأحرقوها . وقال ابن بطريق إن لليهود أصابع في هذه الحوادث ولهم هلعوا وخرموا أكثر مما هدم الوالى وأتبعوه وخرموا .

القدس الفاطمية

(٩٦٦ م)

استولى جوهر الصقلى ، قائد المعز الفاطمى ، على هذه البلاد (٩٦٦ م)

(١) (النجم الزاهر) ج ٤ ص ١٠ .

(٢) (سالك المسالك) ص ٥٦ (دار لندن ١٨٧٠) .

بأثر الخلاف الذي دب في صفوف الإختشينيين بعد موت كافور ، ثم أقام الخطبة للمرز ، وأصبحت القدس فاطمية (٩٦٩ م) وكان فيها يومئذ عشرون ألفاً من السكان جلهم من الشيعة . وكانت مشهورة بخصب تربتها ، وبروزها وزرائها وصابونها وزيتها وقطنها وعنبرها وزبيبها ، وتفاحها وخروبها . ولما من حيث الأهمية السياسية فكانت بالدرجة الثانية بعد الرملة .

وإليك أسماء الخلفاء الفاطميين الذين كان لهم شأن فيها :

العزيز بن المرز (٩٧٥ م) . وخلع عهده . قاتلت حروب بين المغاربة والقرامطة ، وبينهم وبين طي وسائر عرب فلسطين . وكان هؤلاء بقيادة (مفرج ابن الجراح) أمير بني طيء ولكن الغلبة كانت للفاطميين . وكان قائدتهم تركياً يدعى (باتكتين) .

وأقام العزيز على ولاية فلسطين وزيراً قبطياً^(١) هو الشيخ أبو اليمن قرمان ابن مينا الكاتب . وسكن هذا في دير السلطان من أملاك القبط . ولما اقتلت جيوش الشام ومصر هرب قرمان آنذا معه أموال الدولة ، وقد بلغت يومئذ مائة ألف دينار .

النصرور بن عبد العزيز الملقب الحاكم بأمر الله (٩٦٦ م) . فقد اجترم هذا في باديء الأمر النصارى . ثم راح يخترقهم . وأمر بهدم كنائسهم (القيامة) . وأرغمهم على لبس السواد . ومنعهم من الاحتفال بعيد الشعانين . ثم رفع يحترقهم . فسمح لهم بتعمير الكنيسة . لا ، بل قيل إنه عمرها على نفقته . وقد رد عليهم أديرةهم وكنائسهم . ولما اليهود فقد اضطهدتهم . وظل يضطهدتهم إلى أن مات .

(١) (تاريخ الكرسي الأورشليمي للأقباط الأرثوذكس) للشمس كامل صالح تغطية الإسكندرية وهو مخطوط .

(٢) (النبرم الرازرة) ج ٤ ص ٨١ .

وفي زمانه تار المرج الطاغي في فلسطين (٩٦٦ م). ولكن الحكم بأمر الله تعجب عليه. وقام بعد ذلك حسان بن المرج طالباً ثأر أبيه، فاعتلى الرملة، إلا أنه عاد فاستكان، وخضع لسلطان الفاطميين.

الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٠ م). إنه ابن الحكم، تنفس النصاري الصعداء على عهده. وسمح للدين غيرها معتقدهم على عهد أبيه أن يرجعوا إلى حظيرة دينهم القديم. وأعيد بناء الكنيسة المهدمة. وشرع في بناء سور القدس. وحدث زلزال كبير على عهده، كاد يؤدي بقبة المسجد الأقصى. لو لا أنه أى (الظاهر) ركض لترميمها. فجاءت أحسن مما كانت عليه من قبل.

المستنصر بالله (١٠٣٦ م). إنه ابن الظاهر. على عهده اتسع سلطان الفاطميين. فامتد من المغرب إلى خراسان وفارس. وعلى عهده أيضاً اثتم سور القدس. وانشقت الصخرة.

وقويت شوكة الأتراك، وراحت البلاد نهباً مقسماً بينهم وبين العبيد بسبب ضعفه.

ومن الأمراء الذين علت كلمتهم في عهده الأمير بدر الدين الجمالى. بر آتسز بن أوق المخوارزمي. وقد استولى هذا على بيت المقدس (١٠٧٠ م) ولأنه دالت دولته الفاطمية عن هذه البلاد.

من المؤسسات الفاطمية في بيت المقدس (البيمارستان) وهو أول مستشفى أنس فيها. وكان ينفق عليه مبالغ طائلة نأت عن طريق البر والإحسان. وأطباؤه يتضاحبون راتباً مقطوعاً. و(دار العلم)^(١) وهي فرع لدار الحكمة التي أُسست في مصر عام ١٠٠٤ للميلاد.

إن أحسن وصف للقدس في العهد الفاطمي نجده فيها كتبه المقدس^(٢).

(١) (المعادن المصرية في بيت المقدس) لأحمد سامي المالكي ص ٤.

(٢) (أحسن التفاصيم في سيرة الأقاليم) ص ١٦٥.

وإنما لنقتطف منه الأوصاف التالية:

«بيت المقدس . ليس في مدنـن الكور أكبر منها . . . ليست شديدة البرد ، وليس بها حر ، وقلما يقع بها ثلـج . . . تلك صفة البخـنة . . . بنيانها حجر ، لا ترى أحسن منه . ولا أتفـن من بناـنها . . . ولا أعـف من أهـلها . . . ولا أطـيب من العـيش بها . . . ولا أنـظـف من أـسـواقـها . . . ولا أـكـبر من مـسـجـدـها . . . ولا أـكـثـر من مشـاهـدـها .»

عنـبـها خـطـير . . . وليـس لـمـعـقـتها نـظـير . . . وـفـيهـا كـلـ حـاذـقـ وـطـيـبـ . . . وـإـلـيـها قـلـبـ كـلـ لـيـبـ . . . وـلـا تـخلـوـ كـلـ يـوـمـ مـنـ خـرـبـ . . .»

«إـنـهـا أـطـيـبـ مـنـ مـصـرـ . . . وـأـجـلـ . . . وـأـفـضـلـ . . . وـأـكـبـرـ . . . جـمـعـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ . . . وـمـعـ ذـلـكـ فـإـنـ هـاـ عـيـوـبـ أـعـدـةـ . مـنـهـاـ مـاـ جـاءـ عـنـهـاـ فـيـ التـوـرـاـةـ : إـنـهـاـ خـلـتـ مـنـ ذـهـبـ ، مـلـءـ بـالـعـقـارـبـ . » حـامـاتـهاـ قـلـدـةـ . . . قـلـيلـةـ الـعـلـمـاءـ . . . كـثـيرـ النـصـارـىـ وـفـيـهـمـ جـفـاءـ . . . ضـرـائـبـ تـقـالـ عـلـىـ مـاـ يـبـاعـ . . . لـيـسـ لـمـظـلـومـ فـيـهـاـ أـنـصـارـ . . . وـالـمـسـتـورـ فـيـهـاـ مـهـمـوـمـ وـالـغـنـىـ مـحـسـودـ . . . وـالـفـقـيـهـ مـهـجـورـ . . . وـالـأـدـبـ غـيـرـ مـشـهـودـ . . .»

وهـنـاكـ وـصـفـ آخرـ لـمـديـنـةـ الـقـدـسـ فـيـ زـمـنـ الـفـاطـمـيـنـ . نـجـدهـ فـيـ (ـسـفـرـنـامـةـ) لـلـسـائـحـ الـمـشـهـورـ (ـنـاصـرـيـ خـسـرـوـ) . فـقـدـ هـبـطـهـ هـذـاـ عـامـ ١٠٤٧ـ مـ . وـوـصـفـهـاـ وـصـفـاـ مـسـيـاـ نـكـنـىـ مـنـ باـقـيـاـسـ الـكـلـمـاتـ التـالـيةـ :

«يـمـجـعـ السـوـرـيـوـنـ وـسـكـانـ الـبـلـادـ الـجـاـوـرـةـ لـلـقـدـسـ عـنـدـ مـاـ لـاـ تـتـيـسـرـ لـهـ وـسـائـطـ الـحـجـيجـ إـلـيـ مـكـةـ ، وـيـشـبـعـونـ فـيـهـاـ رـغـبـاهـمـ الـدـينـيـةـ . فـيـضـسـحـونـ فـيـهـاـ الـضـحـاحـيـاـ ، وـيـصـلـونـ ، وـيـتـفـرـبونـ إـلـيـ اللهـ بـجـمـيعـ أـنـوـاعـ الصـلـاـةـ وـالـعـبـادـةـ . وـيـصـلـ عـدـدـ الـحـجـيجـ فـيـ بـعـضـ الـأـعـوـامـ إـلـيـ عـشـرـيـنـ أـلـفـاـ . وـكـثـيرـاـ مـاـ يـأـتـيـ هـؤـلـاءـ مـعـهـمـ بـأـطـفـالـهـ لـيـخـتـوـهـمـ بـيـنـ جـدـرـاهـاـ وـبـالـقـرـبـ مـنـ مـسـاجـدـهـاـ .»

، مزروعة زرعاً جيداً . بنيت فيها القمح والتين والزيتون . كما ينبع منها أنواع كثيرة من الأشجار .

أسعارها معتدلة ، زيتها كثير ، كثير من رؤسها يملأ الواحد منهم خمسين ألف من (يقابل ٢٠٠ تنكة) من زيت الزيتون . يحفظ الزيت في الآبار والأحواض . ويصل إلى خارج البلاد . ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الأجزاء السفل من الأشجار لحفظها من الديدان . ويستعمله الصيادلة من أجل صيانة العقاقير من الحشرات .

(يحيط بالمدينة سور منيع ، مبني بالحجارة . . . وللسور أبواب من حديد . . . يقطن فيها عشرون ألفاً من السكان ، بينهم صناع كثيرون . ولكل صنعة سوق خاصة بها . . .

القدس والأترالك السلاجوقيون

(١٠٧٢ م)

استولى (ألب آرسلان)^(١) على بيت المقدس في ١٠٧٢ م . أخلتها من الفاطميين . وبهذا دخلت القدس في حوزة الأترالك السلاجوقيون . وكان ملكهم يومئذ يمتد من الصين شرقاً إلى أقصى اليمن في الجنوب .

ولما مات ألب آرسلان تولى الملك ولده (محمد ملك شاه) ، وتلقب

(١) ألب آرسلان محمد بن جعري بن ميكائيل بن سلحيق . والسلجوقيون أخلاقط من الترك . أول من دخل منهم بهداد طغل بك آخر جعري بك (١٠٩٠ م) . وكان ذلك محل عهد الخليفة العباسى القائم بأمر الله . وهو (أبي طغل بك) الذي أزال دولة بي بيده . ولما توفي تولى الملك من بعده ابن أخيه محمد ألب آرسلان .

بالسلطان العادل . وعلى عهده ثار المقلسيون على حاكمهم (١٧٧ م) . فأرسل عليهم حيتاً بقيادة قاتله (آتسز بن أوق) الخوارزمي فحاصر هذا المدينة ، وكان فيها عساكر مصر ففتحها عنوة ، وذهبوا ، وقتل أهلها ، فلم يبق منهم أحد . لا ، ولا الذين احتموا بالمسجد الأقصى . . . وفي قول آندر (١)
إنه قبل من سكانها ثلاثة آلاف سمة ، وإنه سي الساء واستعبد الأحرار . . .
وساد الجموع في المدينة . وانتشر الغلام فبيعت غرارة القمع بادي ذي بدء
عشرين ديناراً ثم صعدت إلى مائة دينار .

ومن عمال ملك شاه الذين تولوا إدارة بيت المقدس الأمير (أرتق بن أكسل) (٢) التركاني فقد استولى هذا على بيت المقدس بحمد السيف ، وأسس فيها دولة عرفت بـ دولة الأرتقيين (٣) (١٠٧٧ م) .

القدس في عهد الأرتقيين

(١٠٧٧)

قلنا في نهاية الفصل السابق إن الأمير (أرتق بن أكسل) (٤) التركاني استولى على بيت المقدس بحمد السيف (١٠٧٧ م) ، وأنه أسس فيها دولة عرفت بـ دولة الأرتقيين .

(١) (تاريخ هرة) للمؤلف

(٢) (دائرة معارف وحدى) ج ١ ص ١٤٦

(٣) (تاريخ مصر الحديث) بطرس زيدان ج ١ ص ٢٣٣ .

(٤) كان زعيماً للقبائل التركانية التي آخر بعها السلاجقويون من خواصي بحر قزوين وساقفهم إلى سوريا ، فانتشروا فيها وفي فلسطين .

وفي سنة ١٠٩١ م توفي أرتق عن ولدين : (إيلشاري) و (سقمان) . فحكمَا معاً في بيت المقدس وسائر فلسطين . وبعد ذلك بأربع سنين (١٠٩٥ م) جاء الأفضل أمير الجيوش من مصر إلى القدس يغضّ تحليصها من الأرتقين . فحاصرها ونصب عليها المذجانيق ، وقاتلهم فيها أربعين يوماً .

وتواصلاً سكان بيت المقدس مع الأفضل بعد أن أنهى . ففتحوا له أحد الأبواب (١٠٩٦ م) فدخل منه . وخرج سقمان وأشوعه إيلشاري من باب آخر . وأظهر المقدسيون بعد ذلك الطاعة لمصر . وكانت هذه حاضنة لسلطان الأتراك السلاجقوسين .

وفيما كان التراغ قائماً بين السلاجقوسين والفااطميين ، إذ كان الأولون متسلكين بالخلافة العباسية وكان الآخرون يتبعون للخلافة العلوية كان الصليبيون يعتدون العدة للزحف صوب القدس . فأنهلوها من المسلمين .

باب الثالث

الفتح الصليبي وصلاح الدين

القدس وحملات الصليبيين — القدس وصلاح الدين —
القدس وخدمة صلاح الدين — القدس في عهد المماليك .

القدس وحملات الصليبيين

احتل الصليبيون القدس عام ١٠٩٩ للميلاد . وقد حُبِّمَ على احتلالها البابا (أوربانوس الثاني) . وكان الراهب الفرنسي (بطرس الناسك) قد زار القدس قبل ذلك بِيُضْعَفْ سنتين ، ونقل إليه أخباراً جعلته يعتقد أنه لا بد من إنقاذ المسيحيين في الأرض المقدسة ، وإقاده صریح السيد المسيح من يد المسلمين الذين وصفهم بالكافرة ، واعداً أولئك الدين يشتراكون في الحملة الصليبية لأن يغفر لهم ذنوبهم ، ما تقدم منها وما تأخر .

ويقول المؤرخون الذين بحثوا وضع القدس في ذلك الحين إنه كان هناك أسباب للحملة الصليبية غير تلك التي ذكرها البابا في رسالته . وإن المسيحيين^(١) كانوا يومئذ يعيشون مع المسلمين إخوانهم في الوطنية ولللغة في سلام وصفاء ، وإن الأسباب الحقيقة تتلخص في :

- ١ - حب التخلص من الثقافة والفلسفة العربية ، تلك الثقافة التي تناقض الإنجيل^(٢) ، وكانت منتشرة في ذلك الحين
- ٢ - السعيولة دون اصطدام الأمراء الإقطاعيين في أوربا وتقائهم ، وشغلتهم بمقاتلة أعدائهم المسلمين^(٣) .

(١) (مجلة الرامي الصالح) للأستاذ ريف بـ مختارات الساعات . ج ٧ ص ١٣٢ .
و (تاريخ العرب والمدن الإسلامي) للأستاذ سيد أمير عل العضور في مجلس شورى الملك بإنكلترا ص ٢٢٦ و (أحسن التحايم في سرقة الأقام) المقدس .

Description of Syria including Palestine by Guy Le Strange

(٢) (المستشرقون) لنجيب العظيق ص ٤٢ - ٤٠

A Pilgrimage to Palestine by H. E. Postick B. 255

٣ - جعل الأرض المقدسة لاتينية وملائحة الأرثوذكسيّة منها^(١).
وقال آخرون إن الغاية الحقيقية لا هذه ولا تلك . وإنما هي غاية تجارية
محض .

ويمها تكن الأسباب فإن الحملة الصليبية الأولى كانت مؤلفة من ثلاثة
ألف مقاتل^(٢) ، يتمنون إلى مختلف الشعوب والأقوام الأوروبية من فرنسيين
وألمان ونسوين وبيير وبولونيين وغير ذلك . واقترب هؤلاء في طريقهم إلى الأرض
المقدسة ألوان الفخاخ والآثام . وذلك مما حدا بالأمم التي لاتقرها في طريقهم
إلى مقاتلتهم . فقتل عدد كبير منهم . وعاد عدد آخر إلى بلاده قبل أن يصل
إلي هدفه .

ولما وقفوا أمام أسوار بيت المقدس كان عددهم قد هبط إلى خمسين ألفاً، حاصر الصليبيون القدس من جهاتها الأربع، ولا سيما من ناحيتها الشمالية، وكان على رأسهم غودفري دو بويون أمير مقاطعة اللورين من أعمال فرنسا، والكونت روبرت أوف نورمندي أمير مقاطعة نورمنديا، والكونت روبرت أوف فلاندرس أمير مقاطعة فلاندرة، والكونت تيكريلد ريموند أمير مقاطعة طولوز، والكونت سان جيل، وريكاردوس أمير سالارنوس، وكليمونت، وجرارد، وبليزوس، وغيرهم . . .

بدأ الحصار في ٧ حزيران سنة ١٠٩٩ م وكان في المدينة يومنـ (الختـارـ
الـسـلـوـلـةـ) يـدـبـرـهـاـ بـاسـمـ الـخـلـيـفـةـ الـقـاطـعـيـ المستـعـلـ بـالـهـدـ،ـ وـكـانـ عـدـدـ سـكـانـهاـ صـلـبـينـ
أـلـفـاـ .ـ وـلـمـ تـكـنـ الـبـلـادـ فـيـ الـحـقـيقـةـ قـادـرـةـ عـلـىـ صـدـ تـيـارـ الـصـلـيـبيـينـ بـسـبـبـ تـضـعـفـ
الـحـكـمـ السـلـجـوقـ بـعـدـ مـقـتـلـ (ـنـظـامـ الـمـلـكـ) ١٠٩٢ـ وـالـتـنـافـسـ الـقـالـمـ بـيـنـ الرـقـابـ

(١) (نارئغ للكنيسة الرسلية الأورشليمية) تخليل إبراهيم فرازها من ٧٢ - ٧١

(٢) (تاريخ الحروب المقدسة) للطروخ الفرنس مكسيموس مؤلفه ترجمة مكسيموس
مظلوم بطريرك أنطاكيه والإسكندرية وأورشليم وسائر المشرق . ص ٢٩ .

الطامعين في العرش ، وكانت قوة الدفاع عن المدينة مؤلفة من أربعين ألف مقاتل . ولم يترك أحد الفريقين وسيلة من وسائل التغلب على خصمه إلا بـ^{إلا} إليها . وكثيراً ما كانوا يتقابلون في ساحات الوعى وجهاً إلى وجه فيقتلون بالسلاح الأبيض .

ويمضوا على تلك الحال فن كر وفر أربعين يوماً إلى أن نفد ما لدى المسلمين من أعتقدة ومؤن ، فانهارت مقاومتهم وتغلب الصليبيون عليهم . فدخلوا المدينة في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة الموافق ١٥ تموز ١٠٩٩ م .

وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بـ^{يُؤْتَى} فيها بالموت . وشرعوا من فورهم في تنفيذ الحكم . فقتلوا سبعين ألفاً . ولم يجد المسلمين توسلهم ، لا ، ولا التجاوزهم إلى المسجد الأقصى . ولم يختلف اثنان من المؤرخين ، لا من الفرنجة ولا من المسلمين ، في استخراج المذكرة التي اقرفها الصليبيون . تلك المذكرات التي أقل ما قيل فيها إنه يندى لها جبين الدهر ، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح الذي زعموا أنهم إنما جاءوا لنصرته^(١) . . .

أرسل الصليبيون ، بعد انتهاءهم من هذه المجزرة البشرية ، إلى البابا رسالة أخبروه فيها بما جرى ، قائلين له : إن القدس فتحت على يدكم ، ولأنتم قتلوا علداً لا يحصى من المسلمين ، وإن خيولكم في إيوان سليمان كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين حتى ركبتها . . .

ثم راحوا يديرون المدينة كما يشأون . فاستولوا على معظم المباني والممتلكات

(١) (تاريخ الحروب المقدسة) للطريوك مكسيموس مظلوم ص ١٧٤ (تاريخ القدس) تخليل طوطيع وبولس شعادة ص ٢٨ .

(تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية) لشعادة عورى ونقولا عورى ص ٧٠
A pilgrimage to Palestine , by H. E. Postleth. P. 256

(مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي .

(النجوم الزاهرة) لابن تغري الأتابكي ج ٠ ص ١٤٨ .

الى كانت فيها ، سواء في ذلك ممتلكات المسلمين ، أو المسيحيين المتناثرين إلى الكنيسة الشرقية . ولقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وسموها Tempelum Domini Palatum Tempelum واستعملوا المسجد الأقصى لصالحهم وكانوا يسمونه Solomones فانقضوا من حجمه كثيراً وقسموه إلى أقسام : فاتخذوا قسماً منه كنيسة وقسماً آخر مسكنًا لفرسان الميكل ، والباقي استعملوه مستودعاً للدخارthem ، واتخلوا السراديب التي تحت المسجد الحالي [سطبعاً] لحيواناتهم .

وأسس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة لها مملكة لاتينية ، جعلوا مقرها القدس ، وأقاموا عليهم أميراً هو غودفري دو بويون . فاخذوه إلى كنيسة القيامة وتوجوه ، وما مات دفنه في داخل الكنيسة .

وفي زمن خلفه وأخيه (بلدوين الأول) ١١٠٠ - ١١١٨ م أصبحت القدس عاصمة مملكة تنتهي من بيروت إلى العقبة . وكان لها في ميناء العقبة أسطول . وكانت تجبي الفراشب من القوافل التي تسير بين سوريا ومصر والمحجاز .

غير أن الأمان كان مفقوداً . ولا سيما على الطريق التي تصل أريحا بالقدس فقد كان يرايظ في هذه الطريق عدد كبير من الأشخاص وإن أسامم الراهب الروسي دانيال ، الذي زار القدس في عام ١١٠٦ م ، بقطع الطريق ؛ إلا أنهم هم الذين نجوا من المذابح ، فراحوا يتكتلون ، ويتحينون الفرص للانقضاض على الصليبيين .

وتعاقب بعد ذلك ملوك الصليبيين على كرمي الحكم : فجاء بلدوين الثاني (١١١٨ م) فليستره وفولك أنجو (١١٣١ م) وليستره وبيلدوين الثالث (١١٤٤ م) وبيلدوين الثالث وحده (١١٥٢ م) وأمورى الأول (١١٦٢ م) وابتداأت مملكة القدس على عهده بالاضمحلال . ثم جاء بلدوين الرابع (١١٧٣ م) وبيلدوين الخامس (١١٨٥ م) وسيط وغاي دولوسينيان (١١٨٦ م) وحل عهد هذا الأخير احتل صلاح الدين بيت المقدس . وكان الشرق يومئذ

قد أفاق من غفلته ، وصح أغلاطه ، فاتحد . وكان أمراء الصليبيين في القدس والكرك وفي عكا وكل مكان من الاختلاف على جانب عظيم . وقبل أن نختم هذا الفصل نرى لراماً علينا أن ذكر بوجه الإيجاز ما كانت عليه القدس تحت ظل المملكة اللاتينية فنقول :

كانت القدس والمدن الكائنة حولها ذات أهمية من النواحي السياسية والمدنية والتجارية ، إذ كانت تسيطر على طرق القوافل التجارية التي تربط الشام بمصر . ولكنها لم تنعم بالراحة وهناء البال من ناحية الأمان لوعدها بين أصقاع آهلة بال المسلمين ، وما تخلى هؤلاء عن غزو الصليبيين واقلاقهم لمجاهدهم المتكررة . وكذلك قل عن الأخلاق فقد انحطت يومئذ إلى درجة لا تطاق (١) . والضرائب والرسوم التي فرضت على السكان والمسافرين كانت باهظة . وما كان هناك نظام مالي ولا طرق منتظمة لجباية تلك الضرائب والرسوم .

ولما الحكم فقد كان يومئذ قائماً على أساس (الإقطاع) . وكان أمراء الإقطاع من الاستقلال بدرجة أنهم ما كانوا يقيمون للملك بالحال على العرش في القدس وزناً . لا ، بل كان بعض هؤلاء الأمراء يحارب البعض الآخر . ونسوا الغاية التي جاجوا هذه البلاد وفتحوا القدس من أجلها .

ون تكونت في القدس فرقتان : فرقة أسموها *Templiers* أي فرسان الميكل وكانت عند المسلمين تعرف بـ (الداورية) . وأخرى *Hospitallers* أي فرسان المستشفى وكان المسلمون يلقبونها بـ (الاستبارية) . أما رجال الفرقة الأولى فقد حبسوا أنفسهم لكافحة المسلمين . وأما رجال الفرقة الثانية فكان اهتمامهم في ياديه الأمر منصرفاً إلى العناية بالحجيج والمرضى من المسيحيين .

ثم تحولت الفرقتان إلى هيئة حربية ، واتخذتا المسجد الأقصى مقراً لأعمالها ، وجعلتاه مستودعاً لأسلحةهما .

(١) (كتاب الاختبار) لأبي سعيد بن عبد الله الكثاني . ص ٩٩ .

ولم تؤثر الحملة الصليبية على البلاد من حيث اللغة ، إذ ظل سكانها عرباً ، ويتكلمون اللغة العربية .

ومن آثار الصليبيين في القدس : - كنيسة القديسة حنة الكائنة بين باب الأسباط وباب حطة ، وهي التي يسمونها في يومنا هذا بالكنيسة الصلاحية . وكنيسة القديسة مريم الكبرى التي بني الألaman على أنقاضها كنيسة الخلاص في الدباغة ، وكنيسة القديسة مريم اللاتينية على مقربة من آخرها التي سبق ذكرها عند مدخل سوق الدباغة . وكنيسة الداوية قبل كنيسة القيامة . ويعتقد المسيحيون أنها كانت في المكان الذي يقوم عليه الآن المسجد العمري . وكانت كنيسة القيامة بجزءة فجمعوا أجزاءها تحت سقف واحد ، وبنوا القبة المعروفة الآن بكنيسة (نصف الدنيا) .

ومن آثارهم أيضاً المستشفى المعروف بالمارستان فإن هذا المستشفى الذي بني في زمن الفاطميين ، وضع على عهد الصليبيين توسيعاً كبيراً . ومنها أيضاً التزل الذي أقاموه إلى جانب هذا المستشفى ، ومن بقاياه السرقة المعروفة بسوق البيزار ، وفيها تابع الخضر في يومنا هذا .

القدس وصلاح الدين

(١١٨٧ م)

لم ينقطع المسلمون عن مناولة الصليبيين منذ احتل هؤلاء القدس وأنهلوها من الأفضل عام ١٠٩٩ للميلاد . وكان أكثر المسلمين اهتماماً بها الأمير نور الدين . إذ ما كاد هذا يملك الشام (١١٥٤ م) حتى راح يبت الأرصاد ،

ويرسل الفدائيين إلى بيت المقدس ، ليجوسوا خلال الديار ، ويأتوه بالأخبار ؛
ليعرف كيف ومن أين يستطيع مهاجمتها وردها إلى حظرية المسلمين . ولقد
عُثُر المتنبئون^(١) على معارة في أسفل جبل الزيتون ، عند مفترق وادي الجوز وقدر واد
حضرت على جدرانها بعض الكلمات والأسماء العربية . ولدى دراستها علموا أنها
من آثار متتصف القرن السادس للهجرة . وأن هذه الأسماء التي قال بعض المستشرقين
عنها إنها لطائفة من الدراويس والتصوفين وقال آخرون إنها لبعض الخوارج وقطاع
الطرق الذين كانوا يكمنون في المغاور والكهوف ليتصيدوا المسافرين ، إنما هي
في الحقيقة أبطال كان يبعث بهم نور الدين ليأتوا إليه بالخبر اليقين . ولكن
الأجل عاجله فات قبل أن يدرك بغشه ؛ فقام بذلك المهمة ربيه وخليفته
صلاح الدين .

ما كاد ينتهي صلاح الدين من معركة حطين^(٢) ، تلك المعركة التي
انتصر فيها على الصليبيين (في ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) ، حتى
راح يفكر في الاستيلاء على بيت المقدس . وقد سار إليها من فوره ، يتبعه
جيش مزدوج من العرب والترك والكرد . وعند ما وصل إليها ، حاصرها أولاً من
الناحية الغربية . ولكنه سرعان ما رأى أن تلك الناحية لا تصلح لاهجوم ، فنقل
جيشه إلى الناحية الشهالية وعسكر في البطحاء التي تقوم عليها الأحياء المعروفة
في يومنا هذا بالمسكونية وباب العمود وباب الساهرة . وقضى هناك عشرين
يوماً قبل أن يتمكن من فتح المدينة ، قصاها في تركيب آلات الحصار ، وفي
تهيئة وسائل القتال . وكانت قوة الدفاع في داخل المدينة مؤلفة يومئذ من ستين

(١) منهم الأستاذ مكاليستر . وقد أشار إلى ذلك الأستاذ هادل جير في المدد ١٤ - ٩٩٣ من مجلة (صوت الشعب) .

(٢) (كتاب الروضتين في أخبار المؤمنين) لأبي شامة من ٢٦٠ .

ألف مقاتل^(١) ، وكانت محاطة من جهاتها الأربع بسور منيع .

وبعد أن أتم ترتيباته ، وأصبح قادراً على اقتحام الأسوار ، اندر السكان طالاً إليهم الاستسلام ولما أبوا راجح يصر لهم بالمنجتيف . فتشتت قتال عنيف ، أبل في فيه الفريقان بلاء حسناً . وقتل منها خلق كثير . وتمكن المسلمين من خرق جانب من سور من ناحيته الشرقية . فيش الصليبيون . وأرسلوا رسلاً لهم عارضين الاستسلام . ولقد تردد صلاح الدين ، في بادئ الأمر . ولكنّه عاد فرضي . ولا سيما عند ما قال له الرسول بالبيان^(٢) إنه إذا ما أصر على دخول المدينة عنوة فإن الصليبيين معتزمون أن يقتلو المسلمين من الأسرى الذين كانوا في المدينة ، وبعدهم خمسة آلاف . أضاف إلى ذلك أنهم (أي الصليبيين) سيفشلون نساءهم لثلا يقعن في أيدي المسلمين وسوف يهدمون الصخرة والأقصى .

وبعد أن استشار صلاح الدين قواده منح الصليبيين ما يطلبون . فاتّاح لهم مقادرة المدينة لقاء البخريّة . على أن تدفع هذه خلال أربعين يوماً . وأقام على أبواب المدينة أمناء ليجيروا البخريّة . فدفعها الصليبيون عشرة دنانير شامية عن كل رجل ، وخمسة عن كل امرأة ، وديناراً واحداً عن كل طفل ، وغادروا المدينة دون أن يصابوا بأذى . وعوا عن كثريين مفتدياً هو وبهذه عشرة آلاف شخص ، وأخوه سيف الدين الملقب بالملك العادل سبعة آلاف شخص ومكذا تم لصلاح الدين فتح بيت المقدس ، وتم ذلك في يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧ م .

خشى الصليبيون أن يقاومهم صلاح الدين بمثل ما فعلوه يوم احتلوا المدينة ، إذ قتلوا يومئذ - كما سبق وقلنا - تسعين ألفاً من المسلمين . ولكن صلاح الدين أظهر من التسامح والعفو ما جعل المؤرخين يذكرونـه بالثناء والتقدير .

(١) (النواذر السلطانية في الحاضن اليوسفية) المقاصي بهاء الدين أبي الحسن . وابن الجوزي

ج ٨ ص ٤٥٤

(٢) (ال الكامل في التاريخ) لابن الأثير ج ١١ ص ٢٠٧ والترجمة الظاهرة ج ٦ ص ١١٠

بعد احتلال القدس انتشر جنود صلاح الدين في شوارع المدينة وأحياناً يحفظون الأمان والنظام ؛ فلم يقع في المدينة حادث واحد من حوادث السرقة والنهب التي تلازم الفتح عادة . وراحت الأعلام الإسلامية تتحقق على الأسوار . وبعد أن وزع الهبات والعطايا على قواد جيشه وأمرائه ، واتسعت من قبل تهاني المهتمين ، شرع في تنظيم الشؤون . فذهب قبل كل شيء إلى مسجدى الصخرة والأقصى ، وأزال ما بهما من آثار نصرانية . ثم تعميرًا يتناسب والغاية التي أنشأها من أجلها . ونقل إلى المسجد الأقصى المنبر الذي كان في حلب ، وكان قد صنع قبل ذلك بعشرين وباً من نور الدين ليؤتي به إلى القدس عند فتحها .

وأمر صلاح الدين بإغلاق كنيسة القيامة ربيعاً يتشمّل القتال ، ولما أتى هذا أمر بفتحها . وفتح للمسيحيين مجال العبادة فيها بحرية .

ومن الأعمال التي قام بها أنه أتى بعدد من القبائل العربية كبني حارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد والحرامة ، فأقطعها بعض أجزاء المدينة ، ليستوطنوها . إنه هو الذي رب الأعياد والمواسم المعروفة في بلادنا كموسم النبي موسى في القدس ، والمواسم الأخرى في المدن الفلسطينية الأخرى . وإن قال آخرون إن هذه المواسم من وضع الملك الظاهر بيبرس . والوقت الذي اختير لإقامة هذه المواسم هو الوقت نفسه المخصص لعيد الفصح . ذلك العيد الذي يهد فيه إلى القدس عدد كبير من المسيحيين ، ولا سيما الأوروبيين ، كثريين ، فخشى المسلمون أن ينقلب الزائرون إلى جند في نهاية الأمر فيحتلوا المدينة . غادر صلاح الدين القدس تسلمس بقين من شعبان . ثم عاد فزارها في السنة التالية (١١٨٨ - ٥٨٤ م) . وقد نزل في هذه المرة في دار القوسن البجاورة لكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، وانتعشت الحركة التجارية في المدينة إثر الفتح الصلاحي ؛ فكثرت المواد التي كانت تصادرها إلى الخارج ،

ومنها الجبن والقطفين والزبيب والزيتون والتفاح وفاصم قريش والمراديا وقدور القناديل والإبر والألبان .

ومن آثار صلاح الدين في القدس (البِهارستان) ^(١) ، أنشأه في البقعة التي تقام عليها سوق البيزار وكنيسة الأمان في الدباغة وشطر من سوق أفتيموس ، وفي قول إن هذا المستشفى كان هناك في زمن الصليبيين وإنه هو الذي أسمى الفاطميون . وإن صلاح الدين وضعه فجعله من أعظم المستشفيات في الإسلام . وكان يداوى فيه البُرْحَى والمرضى من الجنود والأهلين من غير أجر ولا عوض .

و (الخانقاه الصلاحية) أنشأها في جانب من منزل البطريرك الملائقي لكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، ذلك المنزل الذي قلنا إنه نزل فيه عندما زار القدس للمرة الثانية : وقد اتخذها مسجداً ورباطاً للصلحاء الصوفيين .

واهتم صلاح الدين بسور المدينة ، فعمره وجدد ما تهدم منه ، وأنشأ عدداً من الأبراج الحربية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل ، وحضر حول السور الخنادق ثلاثة يسهل على الصليبيين الدخول من المدينة ، وكثيراً ما رأه الناس وهو يشارك العمال في نقل الحجارة وأعمال البناء . وكذلك قل عن أولاده وأمرائه وعن أخيه العادل .

ومن آثاره (قبة يوسف) القائمة على الطرف القبلي من قبة الصخرة . و (جامع الجبل) الكائن على جبل الطور ، إلى الشرق من المدينة . و (مقبرة الساهرة) وكانت على عهده تدعى مقبرة المجاهلين . ومن آثاره : (المدرسة الختنية) بجوار المسجد الأقصى من القبلة ، خلف المبر وقفها عام ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م .

(١) (تاريخ البهاراتات في الإسلام) لدكتور أحد عيسى ص ٢٣٠ و (عقد الجران) العنوان .

و (المدرسة الصلاحية) على بعد بضعة أميال من السور الشرقي عند باب الأسباط . كانت فيها مبنى مدرسة للروم . بنيت في المكان الذي كان فيه بيت حنة والدة مريم البتول وبعلها يواكيم . ودار فيها على عهد الصليبيين كنيسة يسمونها كنيسة القديسة حنة ؛ فجعلوها صلاح الدين مدرسة ، ووقفها لفقهاء الشافعية ، ورباطاً للمتصوفين . وكان ذلك بتاريخ ٥٨٨ - ١١٩٢ م . وطار صيت هذه المدرسة في ذلك العهد وفي العهود الإسلامية التي تلته . وبقيت في حوزة المسلمين حتى القرن التاسع عشر للميلاد ، فتنازل عنها الأتراك للفرنسيين بعد حرب القرم . لأنهم (أي الفرنسيين) وقفوا إلى جانب الأتراك وخاصموا الروس في الحرب المذكورة . وأعطياها الفرنسيون إلى الآباء البيض ، فاتخلوها مدرسة إكليركية . وبقيت كذلك حتى الغزو الكومني الأول (١٩١٤ م) . إذ جعلها الأتراك كلية باسم (الصلاحية) . وما سقطت القدس في يد الإنكليز أعادها هؤلاء إلى الآباء البيض . فأعادوها مدرسة وفيها متحف وكنيسة .

و (المدرسة الميزانية) على بعد مترين من السور الشمالي وعلى مقربة من باب الساهرة . وقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله الفصري خازن الملك صلاح الدين (٥٩٣ - ١١٩٦ م) . واندثرت مع الزمن ، فاتخلذ جانب منها قاخورة وإلخانق الآخر مزبلة ، وظللت كذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر . فعمرها الأتراك (١٣١٠ - ١٨٩٢ م) واتخلذوها مدرسة أسموها (قدس شريف مكتب أعداديس) . وسميت خطأ (المؤمنية) نسبة لل الخليفة العباسى المؤمن . ولقد تعلم فيها الكثيرون من أبناء بيت المقدس ، ومنهم مؤلف هذا الكتاب .

و قبلها الإنجليز ، عند احتلالهم المدينة (١٩١٧) إلى مدرسة للبنات .
هذا ما تيسر نقله عن الآثار التي تمت في القدس على عهد صلاح الدين .
(٦)

ولما مات صلاح الدين (٥٨٩ - ١١٩٣ م) ودفن في دمشق ، بكاء الناس . ذلك لأنه حررهم من ربقة الاستعمار والذل . وقادهم إلى الجد ، وراحـت كلمة الإسلام هي العليا في هذه الديار . وظلت كذلك زهاء سبعة قرون .

القدس وحفيدة صلاح الدين

(١١٩٣ م)

انقسمت إمبراطورية صلاح الدين ، بعد وفاته ، إلى عدة حمائل ؛ فصارت الشام وفلسطين لابنه على الملقب بالملك الأفضل ، ومصر لابنه عثمان الملقب بالملك العزيز ، وحرب لابنه غازى الملقب بالملك الظاهر ، والكرك وقسم من الجزيرة وما بين النهرين لأنجيه الملك العادل ، والمن لأنجيه الثاني طفتكون بن أيوب ، وحص لابن عمه أسد الدين شركوه .

وكانت القدس مضافة للأفضل ، وهو الذي أنشأ فيها (المدرسة الأفضلية) أنشأها بحرارة المغاربة ، وكانت على عهده تعرف بالقبة ، ووقف معها حارة المغاربة . وكان ذلك في سنة ٥٨٩ - ١١٩٣ م . ومن آثاره (المسجد العمري) الكائن إلى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة .

تنازل الملك الأفضل بعد قليل عن القدس (١) لأنجيه الملك العزيز ، مفضلاً خصها إلى مصر . ذلك لأنها ، على قول وزير ابن الأثير ، كانت في حاجة إلى المال والرجال لدفع عادية الفرج عنها . فقبلها العزيز ، وأرسل إلى متولتها الأمير جردبك بن عبد الله النوري عشرة آلاف دينار ليتفقها في عسكر القدس .

(١) (السلوك لمعرفة دول الملك) المفرج ١ من ١١٥

ثم أرسل إليها جنداً آخرین ، خشية أن يعود الفرنج لاحتلالها ، فخطب له فيها .
 ثم عاد الأشوان ، فتناهرا (١١٩٤ م) . كل منهما يريد ضمها إلى رقته :
 الملك الأفضل في الشام ، والملك العزيز في مصر . وراح عمّهما الملك العادل
 يتدخل بينهما ، فيزيد الناز خراماً ، وأيد العزيز على الأفضل ، فتمكن العزيز
 من نشر كلمته في مصر والشام معاً ، ونزل القدس في رمضان ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م ،
 فأقال نائبه أبي الحجاج السعدي ، وأقام مكانه الأمير شمس الدين سفر الكبير .
 وألغى على عهده بعض الضرائب والرسوم ومنع استخدام أهل اللمة في
 وظائف الدولة .

ولما توفي الملك العزيز (١١٩٨ م) تولى الملك ولده محمد ، ولقب بالسلطان
 الملك المنصور ناصر الدين ، ولما كان هذا صغيراً ، أقيم الأمير بهاء الدين
 قراقوش الأسدى أتاباكا (أى وصيا) عليه . وحدثت في القدس على عهده
 مؤامرة اشتراك فيها عدد كبير من الأمراء ، و منهم نائب القدس الأمير صارم الدين
 صالح . فكتب مولاً الملك العادل ، وكان يومئذ في دمشق ، ليأتي
 ويدير القدس . إلا أن الملك الأفضل الذي اطلع على هذه المؤامرة أحبطها ،
 وسار إلى مصر ؛ فاستولى على أمور الدولة . وعادت البلاد ، فانقسمت إلى
 قسمين : قسم يؤيد الملك المنصور بوصاية الملك الأفضل في مصر ، وقسم
 يؤيد الملك العادل في الشام . وفي هذه الغمرة من المخرب الأهلية راحت القدس
 تتلذذ على جر الجوع والغلاء ، وظلت الأزمة فيها قائمة إلى أن تغلب العادل
 على ابن أخيه الأفضل ، فدخل مصر ، وأصبح الأمر الناهي فيها وفي الشام
 معاً . ولقب بالسلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب . وعلى عهده
 بنيت المدرسة الجراحية الكائنة على طريق نابلس بالمعنى المعروف بالشيخ جراح .
 وقفها الأمير حسام الدين حسين شرف الدين يحيى الجراحي (٥٩٨ - ١٢٠١ م)
 ومن آثار الملك العادل في القدس سقاية المحرم والمطهرة ١٢٠٢ م .

ولما مات ترك في خزانته سبعاً وعشرين ألف دينار . استولى عليها ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى . وكانت القدس من أعماله . وكان يديرها بالنيابة عنه الأمير عز الدين حمر بن يغمور المظلي وكان يلقب بالمتولى^(١) . ثم أدارها الأمير بدر الدين المكارى .

ولقد اتقى أهل القدس أثر مليكتهم العظيم شرف الدين عيسى ، فراحوا يلبسون على عهده الكلمة الصفراء بلا شاش ، وكانوا يرثون ذواب شعورهم من تحتها . وقيل إن الملك المعظم عيسى كان يحب القدس وكثيراً ما كان يزورها متقدماً أحوالها . وله فيها آثار جمة ، نذكر منها :

(المدرسة المظمية) التي بناها في ٦١٠ - ١٢١٣ م . وإنما نرى بقاياها بين باب حطة وباب العم شمالي الطريق المؤدية إلى باب الأساطط .

و (المدرسة البدرية) في الحي المعروف بجبي الواد ، وعلى مقربة من ضريح القمرى . بناها في السنة ذاتها . وقفها بدر الدين محمد بن أبي القاسم المكارى أحد أمراء الملك المعظم عيسى (٦١٠ - ١٢١٣ م) .

و (سبيل شعلان) بناء بعد ذلك بثلاث سنين (١٢١٦ م) .

والرواق الشمالي الذي نراه في مدخل المسجد الأقصى ، والمؤلف من سبعة عقود كبيرة . وكذلك الأبواب الخشبية التي نجدها عند مدخل الأقصى في الشمال . فقد أنشأ ذلك كله عام ١٢١٧ م .

ولكن هذا الملك الذي أحب القدس و عمرها عاد فأمر بترحبيها سنة ١٢١٩ م خشية أن يستولى الفرنج عليها . وذلك قد حدّا بالسكان للنحو فات مهموماً سنة (١٢٢٦ م) .

توفي الملك بعد العظيم عيسى ولده الملك الناصر صلاح الدين داود . ولما

(١) (صحب الأعشى) لفلكشتنى . ج ٤ ص ٢٢ .

كان هذا صغيراً وعجزاً عن تدبير شؤون الملك ، هابه عمه الملك الكامل ، فأخذ منه معظم البلاد ، ومنها القدس (١٢٢٧م) . وعلى عهده عقد المسلمين مع الصليبيين (١٢٢٨م) هذه مدتها عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعون يوماً . وقد نصت هذه الهدنة التي وقع عليها كل من الملك الكامل والإمبراطور فريدریک على أن يأخذ الفرنج القدس من المسلمين فيقيوها على ما هي عليه من خراب ، خلا الحرم القدس وما فيه من مساجد كالصغرى والأقصى ، فإنه يبقى بيد المسلمين ، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة . وتكون سائر قرى القدس المسلمين لا حكم فيها للفرنج . وأما القرى الواقعة بين يافا وعكا وبين اللد والقدس فإنها تعطى للفرنج .

فأنكر المسلمون على الملك الكامل عمله هذا ، وراحوا يستعنونه في جميع الأقطار . وحاصر الكامل بعد ذلك دمشق ، فاستولى عليها وتحالف مع ابن أخيه الملك الناصر فأعطاه بدلاً من دمشق الكرك والبلقاء وزابليس والقدس . وانفرد هو بالحكم في مصر ويافق بلاد الشام .

ولما مات الكامل تولى الملك من بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٣٨م) . واستولى هذا على معظم البلاد التي كانت بيد الناصر ، ومنها أعمال القدس . ولكن الناصر عاد فتغلب عليه واستردها منه .

وفيها كان ملوثة بنى أيوب يقتلون ، كان الفرنج يستعملون لقتالهم ، وقد حصنوا القدس تحصيناً تاماً ، ولا سيما سور الذي خربه الملك المعظم عيسى ، فقد عمروه . ولما بلغ الملك الناصر داود علهم هذا ، سار إليهم . ويعده أن حاصر القدس واحداً وعشرين يوماً أشعلها منهم عنوة (١٢٣٩م) وأخرج بعد ذلك عن الملك الصالح نجم الدين فاجتمعوا معاً في القدس وتحالفاً : على أن تكون ديار مصر للصالح ، والشام للناصر ، وأن يعطي الصالح للناصر مائة ألف دينار .

ولكنهما عاد، فاختلطا، فاستغل الفرنج خلافهما واستولوا على القدس . وراح أهل مصر والشام يقتلون، واستنجد الألوان بالخوارزمية، فجاء هؤلاء في عشرة آلاف فارس ، وراحوا يقاتلون أهل الشام والفرنج ، واحتلوا القدس ، وأعملوا سيفهم في رقاب من كان فيها من النصارى ، وأنواع فيها وفي غيرها من البلدان بأعمال تشعر لها الأبدان . وقتل من الفرنج ومن أهل الشام في هذه المعركة ثلاثة ألاف أو يزيد ، وعادت القدس فصارات من أملاك الملك الصالح نجم الدين (١٢٤٥) وزرها الملك بعد ذلك بقليل (١٢٤٦ م) فتصدق على فكرتها بالي دينار وأمر بعمارة السور .

قام الصليبيون بعد ذلك بحملة جديدة لتخليص القدس من يد المسلمين — وهي التي أسموها بالحملة السابعة (١٢٤٨ م) . وتبادل زعيم هذه الحملة لويس التاسع والملك الصالح نجم الدين — قبل أن يشارعا في القتال — رسائل التهديد والإذار ثم التقى في ميادين القتال . ودارت بين الفريقين معارك دائمة . وكان أن مات الملك الصالح نجم الدين (١٢٤٩ م) قبل أن تنتهي تلك المعارك إلى نتيجة حاسمة .

قتول الملك بعده ولده الملك المعظم غياث الدين تورانشاه . ولما لم يحسن هذا إدارة الملك ، نفرت قلوب المماليك البحريية منه ، فتأمروا عليه وقتلوه (١٢٥٠ م) . وبمقتله انقرضت دولة بنى أيوب .

القدس في عهد المماليك

(١٢٥٠)

اجتمع أمراء المماليك ، إثر مقتل الملك المعظم خياث الدين تورانشاه (١٢٥٠ م) وأقاموا عليهم (شجرة الدر) . فأصبحت هذه سيدة البلاد . كما أقاموا الأمير (عز الدين أبيك) التركانى على رأس جيشه . ثم اقترنت هذه بالأمير عز الدين ، وتنازلت له عن الملك ، فأصبح ملكاً ، وأسس العائلة المملوكية الأولى ، فلقب بالملك المعز عز الدين أبيك البخاشنكير التركانى . وكانت القدس من أعماله .

وقتل المعز بعد ذلك بسبعين سنة . فتولى الملك ابنه الملك المنصور على (١٢٥٧ م) . وكان هذا صغيراً ، وضعيفاً ، فاستغل أهل الشام ضعفه . واستولوا على القدس . وخطبوا فيها للملك المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب . ثم عاد المصريون ، فتغلبوا على خصومهم . واحتلوا القدس . وخلعوا ملوكهم . وأقاموا مكانه الأمير سيف الدين قطز المعزى ولقبوه بالملك المظفر (١٢٥٩ م) .

ولما قتل قطز أقام أمراء بدلاً منه الشخص الذي قتله وهو الأمير دكن الدين بيبرس (١٢٦٠ م) . ولقب هذا بالملك الظاهر بيبرس .

زار الملك الظاهر بيبرس القدس مرتين : مرة في عام ١٢٦٢ م وأخرى في عام ١٢٦٥ م . ومن المنشآت التي تمت على يده :
 (دار الحديث) بجوار التربة البخارية على طريق باب السلسلة . وقفها

الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين محمد بن أني القاسم المكاري (١٢٦٦ - ١٢٦٧ م).

(المدرسة الأباصرية) تجاه الرباط المنصورى بجوار باب الناظر . وقفها الأمير علاء الدين آيدوغدى (١٢٦٦ - ١٢٦٧ م) وهو مدفون فيها . ولقد جدد الملك الظاهر بيبرس ما كان قد تهدم من مسجد الصخرة^(١) . كما جدد قبة السلسلة وزخرفها . وأنشأ خانقاً . ووقف بعض القرى لينفق ريعها على مصالح المسجد في كل عام .

وإن الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة من الظاهر من آثار الملك الظاهر (١٢٧٠ م) . وهو الذي بني على قبر موسى عليه السلام عند الكثيب الآخر قبل أربعمائة ومسجدًا (١٢٦٩ م)^(٢) .

ولما مات الملك الظاهر بيبرس تولى الملك ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد (١٢٧٧ م) . ثم ابنه الثاني الملك العادل بدر الدين سلامش (١٢٧٩ م) . ثم الملك المنصور سيف الدين قلاون (١٢٨٠ م) . وعلى عهده قامت بالقدس منشآت عديدة ، نذكر منها :

(رباط قلاون) ويسمى أيضاً الرباط المنصورى . أنشأه عام ١٢٨٢ م . ووقفه على الفقراء من زوار القدس . إنه واقع قبل الطريق المؤدية إلى الحرم من الغرب عند باب الناظر .

(المسجد القلندرى) واقع في طريق دير اللاتين . أنشأه عام ١٢٨٧ م . (الكبكية) ويسمى الناس القبقة إنها قبة جليلة واقعة في تربة ماملاً وإلى الشمال الشرقي من البركة فيها ضريح الأمير علاء الدين آيدوغدى بن عبد الله الكبكي (١٢٨٩ م) .

(١) التحjom الزاهري ج ٧ ص ١٩٤ .

(٢) (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) عبد الدين ص ٣٩٤ دس ٦٠٥ .

ومن المحادث المأمة التي جرت في عهده أنه أصدر مرسوماً يقضى بالاستخدام في خدمات الدولة أحد من أهل الديمة — اليهود والنصارى — فصرفوا عنها (١٢٨٥ م).

وعقدت بين السلطان والفرنج في عكا هدنة (١٢٨٣ م). مدتها عشر سنتين وعشرين شهر وعشرين أيام وعشرون ساعات ، على أن يكون للسلطان جميع الديار المصرية والشجاعية ومعظم بلاد الشام والأردن وفلسطين بما في ذلك القدس (١).

وبعد وفاته تولى الملك ابنه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خطيل (١٢٩٠ م) . ثم ابنه الثاني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون (١٢٩٣ م) . فالسلطان الملك العادل زين الدين كتبغا (١٢٩٤ م) . فالسلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين (١٢٩٦ م) . فالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للمرة الثانية (١٢٩٨ م) فالسلطان الملك المؤ�ر ركن الدين بيبرس (١٣٠٨ م) فالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للمرة الثالثة (١٣٠٩ م) . ودامست سلطته في هذه المرة حتى سنة ١٣٤١ م.

وقامت في القدس على عهد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاون المنشآت التالية (٢) :

(رباط الكرد) أمام المدرسة الأرضية بباب الحديد ، أشآء المقر السيفي كرد سنة (٦٩٣ - ١٢٩٣ م).

(المدرسة الدوادارية) في مدخل الباب المعروف بباب الدوادارية.

(الباب العم) من أبواب الحرم الشمالي . وقفها الأمير علم الدين أبو عمرو

(١) (تاريخ الدول والملوك) ج ١٤ ص ١٨٨ . و (دولة ابن قلاون في مصر) الدكتور محمد جمال الدين سرور ص ٢٢٢ .

(٢) (الأئم الجليل في تاريخ القدس والخليل) للقاضي محيي الدين .

سنجر بن عبد الله النواذار الصالحي النجمي سنة ٦٩٥ هـ - ١٢٩٥ م .
 (المدرسة السلامية) بباب شرف الأئمـاء تجاه المعظمية وإلى الشمال من
 المدرسة النواذارية . وقفها الخواجا مـعـدـ الدين أبو الفـدا إسـمـاعـيلـ السـلامـيـ
 سنة ٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م .

(المدرسة الوجهية) بخط درج المولى عند بـابـ الغـوانـةـ . وقفها الشـيخـ
 وجـيهـ الدـينـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـانـ بـنـ أـسـعـدـ النـجـاـ الحـنـبـلـيـ المتـوفـيـ سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م .
 (المدرسة الموصالية) بـابـ شـرفـ الـأـئـمـاءـ . وقفها الخـواـجاـ فـخـرـ الدـينـ المـوـصـلـ .
 (المدرسة البـحـالـقـيـةـ) عـلـىـ مـتـرىـ مـنـ الـحـرـمـ إـلـىـ الـغـربـ عـنـدـ مـلـتـقـ طـرـيقـ بـابـ
 السـلـسلـةـ بـطـرـيقـ الـوـادـ . أـنـشـأـهـ الـأـمـيرـ رـكـنـ الدـينـ بـيـبرـسـ الـبـحـالـقـ الصـالـحـيـ سـنـةـ
 ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م .

(المدرسة البـحـالـقـيـةـ) قـرـيـةـ مـنـ درـجـ الغـوانـةـ عـنـدـ زـاوـيـةـ الـحـرـمـ الشـهـابـيـةـ .
 وقفها الـأـمـيرـ عـلـمـ الدـينـ سنـجـرـ الـبـحـالـقـيـ نـائـبـ غـزـةـ وـالـقـدـسـ فـيـ ٧١٥ هـ - ١٣٠٥ م .
 جـعلـهـاـ مـدـرـسـةـ . وـاتـخـلـهـاـ شـاهـيـنـ الـذـبـاحـ دـارـاـ لـلـنـيـاـبـةـ سـنـهـ ٨٠٠ هـ - ١٤٠٠ م .
 كـانـتـ عـلـىـ عـهـدـ الـمـكـاـبـيـنـ قـلـعـةـ . وـوـسـعـهـ هـرـوـدـسـ فـاضـافـ إـلـيـاـ بـرـجـاـ أـسـعـاهـ
 (بـرجـ أـنـطـوـنـيـاـ) . وـاتـخـلـهـاـ فـيـاـ بـعـدـ مـقـرـأـ لـوـلـةـ الـرـوـمـانـ . وـفـيـاـ أـقـامـ الـوـالـيـ الـرـوـمـانـيـ
 بـيـلاـطـسـ الـلـدـىـ حـاـكـمـ الـمـسـيـحـ ، وـهـنـاكـ حـكـمـ عـلـيـهـ بـالـصـلـبـ . وـفـيـ عـهـدـ الـمـالـيـكـ
 صـارـتـ مـدـرـسـةـ ، وـدـارـاـ لـلـنـيـاـبـةـ كـمـاـ قـدـمـنـاـ . وـ . وـاتـخـلـهـاـ الـأـثـرـاـكـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ
 السـادـسـ عـشـرـ قـشـلـاقـاـ وـدارـاـ لـلـحـكـمـ . وـوـضـعـ الـجـلـسـ الـإـسـلـامـيـ عـلـيـهـ فـيـ ١٩٢٢ـ مـ
 كـجـزـءـ مـنـ أـمـلاـكـ الـمـوقـفـةـ . وـاتـخـلـهـاـ مـدـرـسـةـ . وـعـرـفـتـ بـعـدـ ذـلـكـ بـالـرـوـضـةـ (روـضـةـ)
 الـمـعـارـفـ الـوـطـنـيـةـ) . وـفـيـ أـنـتـاءـ التـورـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ (١٩٣٦ - ١٩٣٨) اـتـخـلـهـاـ
 الـإـنـجـيلـيـزـ دـارـاـ لـلـشـرـطةـ . وـفـيـ الـحـرـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ (١٩٤٧ - ١٩٤٩) اـتـخـلـهـاـ
 مـقـرـأـ لـفـرـقـ الـمـاـضـيـلـيـنـ الـمـتـعـمـنـ إـلـىـ الـبـهـادـ الـقـدـسـ ، ثـمـ مـقـرـأـ لـلـكـتـبـةـ السـادـسـةـ
 مـنـ كـتـابـ الـجـيـشـ الـعـرـبـيـ .

(المدرسة الكريمية) بباب حطة . وقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله بن مكائس ناظر الخواص الشريف بالديار المصرية وكان ذلك في ٧١٨ - ١٣١٩ م . ذكرها ابن بطوطة في رحلته ، وقال إن وقفها كريم الدين كان قبطيًّا فأسلم .

(المدرسة التنكرية) بباب السلسلة . أنشأها الأكبر تنكر الملك الناصري في ٧٢٩ - ١٣٢٩ م . كانت في عهد الماليك مدرسة عظيمة وداراً للحديث . سكناها السلطان فرج بن برقوق . وفي عهد قايتباى اتخدت مقرًا للقضاء والحكم . وفي العهد التركى صارت محكمة شرعية . وبقيت كذلك في أوائل عهد الاحتلال الإنجليزى ثم سكناها رئيس مجلس الإسلامى الأعلى .

(المدرسة الأمينة) إلى الغرب من باب شرف الأنبياء أنشأها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠ - ١٣٢٩ م . ويقيم فيها الآن جماعة من دار الإمام .

(الخانقاه الفخرية) بجواره بجامع المغاربة على بعد مئى متى من المسجد الأقصى إلى الغرب . وقفها القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله في سنة ٧٣٢ - ١٣٣١ م . سكناها الآن فريق من آل ابن السعود .

(المدرسة الملكية) شمالي الحرم بين المدرسة الفارسية من الشرق والمدرسة الأسردية من الغرب ، ومن مهامها (ملوسة بالخوكتنار) . عمرها الحاج ملك الخوكتنار سنة ٧٤١ - ١٣٤٠ م .

ومنها الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر (١٣٠٧ م) . بباب القطائعين . الكائن في وسط هذه السوق . و (سوق القطائعين) نفسها وكانت يسمونها (خان تنكر) فقد أنشئه عام ١٣٣٦ م . ومن المنشآت التي تمت على عهده الجامع الكائن بداخل القلعة قريباً من زاويتها القبلية الغربية ١٣١٠ م وهو الذى رمى القلعة وحسنها ١٣٢٠ م .

وعلى عهده فتح بالمسجد الأقصى الشابكان اللذان تراهما إلى يمين المحراب الكبير ويساره . وجدد تذهب قبة المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ؛ وعمرت القنادر التي على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة ، مقابل باب حطة وباب شرف الأنبياء . وعمر (السور القبلي) عند محراب داود .

وعلى عهده عمرت (قناة السبيل) . ووصل الماء إلى المسجد الأقصى ١٣٢٨ م . وأنشئ الحوض الذي يسميه الناس في يومنا هذا ؛ (الكأس) . إنه مصنوع من الرخام وكائن في الساحة الواسعة بين مسجدي الصخرة والأقصى .

ويظهر أن القدس حل الرغم من قلسيتها ومن هذه المنشآت التي قامت فيها كانت يومئذ تعتبر من الدين يحمل عليهم غضب السلطان . فقد حدثنا المؤرخون عن أشخاص كثرين ، بعضهم من طبقة الأمراء ، قعوا إلى القدس ، وأمروا بالإقامة بالجبرية فيها . ولقد زارها الملك نفسه مراراً ، وتفقد أحواطها .

وبعد وفاته سلطن ثمانية من أولاده (١٣٤١ - ١٣٦١ م) هم : الملك المنصور أبو بكر ، والملك الأشرف كجك ، والملك الناصر أحمد ، والملك الصالح إسحاق ، والملك الكامل شعبان ، والملك المظفر حاجي ، والملك الناصر حسن ، والملك الصالح صلاح الدين . فلم يأت واحد من هؤلاء بأى عمل يذكر في القدس . وما كان الواحد منهم ليتولى الملك ، حتى يقوم آخر عليه ، أو أحد أقاربه ، فيقتله ، أو يقيمه ، أو ينفيه .

وكذلك قل عن الأيام التي انتقضت على عهد المماليك الذين سلطنوا من بعدهم (١٣٦١ - ١٣٨١ م) . وهم الملك المنصور محمد بن حاجي ، والملك الأشرف شعبان بن حسن ، والملك الصالح حاجي بن شعبان . وهو آخر من حكم هذه البلاد من دولة المماليك الأولى ويسمونها البحرية أو التركمانية .

ومن المنشآت التي وصلت إلينا أخبارها والتي أنشئت في أواخر هذه الدولة :

(المدرسة الفارسية) بين الأمينة من الشرق والملكية من الغرب . وقفها الأمير فارس الدين البكري بن الأمير قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطان في سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م .

(المدرسة الأرغونية) عند الباب الحديدي من أبواب الحرم في الناحية الغربية . شرع في إنشائها الأمير أرغون الكامل سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٧ م . وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م . يسكن جانبها منها جماعة من آل العفيفي . وفي الجامب الآخر دفن المغدور له الملك حسين بن عل الذي أُودع نار الشورة ضد الأتراك سنة ١٢٣٤ هـ - ١٩١٥ م .

(المدرسة التشمرية) بباب الناظر على مقربة من الحسينية . وقفها الأمير تشرن السيني من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد قلاون سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٧ م .

(المدرسة الطشمرية) في طريق باب السلسلة . بناها الأمير طشمر العلاني سنة ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م .

(المدرسة الخاتونية) بباب الحديد غربى الحرم وإلى الشمال من باب القطانين . وقفها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية في ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م . وأكملت عماراتها أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م . ودفن في جانب منها الأمير محمد على من أمراء الهند المسلمين ١٢٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .

(المدرسة البلدية) إلى الشمال من باب السكينة . وكانت في ما مضى تعرف بمدرسة الأمير منكلي نسبة إلى وقفها الأمير سيف الدين منكلي بن الأحمدى سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م .

(المدرسة الأسردية) على مقربة من البخاولية شمالي الحرم . بنيت حوالي سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٨ م . وقفها الخواجا مجد الدين عبد الغنى بن سيف الدين

أبي بكر بن يوسف الأسردي سنة ٧٧٠ هـ - ١٣٦٨ م . جدد عملرتها المجلس الإسلامي الأعلى في أوائل القرن العشرين ، وانخذلها داراً للكتب باسم (المسجد الأقصى) .

(دار القرآن السالمية) تجاه دار الحديث على طريق باب السلسلة . وقفها سراج الدين عمر بن أبي بكر أبو القاسم السالمي . سنة ٧٦١ هـ - ١٣٥٩ م . (المدرسة المتجمعة) إلى الشمال من باب التاظر . أنشأها الأمير سيف الدين منجك سنة ٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م . انخذلها مجلس الإسلامي حلال الربيع الأول من القرن العشرين مقراً لأعماله . وقد نصت إليها جزءاً من الدار المجاورة والمعروفة بالحسنية .

(المدرسة المذهبية) على مقربة من الوجيبة بباب الفوانمة . وقفها عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الأردبيلي سنة ٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م . ألحق جانب منها بكلية روضة المعارف الوطنية . ويقيم في الجانب الآخر جماعة من آل الشهابي (المدرسة الحسينية) على باب الأساطاط . وقفها شاهين الحسيني الطواشى في زمن الملك الناصر حسن المنقى سنة ٧٦٢ هـ - ١٣٦٠ م . وانتقلت مع الزمن إلى جماعة من النصارى .

(المدرسة الطازية) في طريق باب السلسلة من الشهاب ، تجاه قبره بركة شخان . مؤسساً الأمير طاز من مماليك السلطان محمد المنقى سنة ٧٦٣ هـ - ١٣٦٢ م . وكان يدرس فيها فطاحل العلماء المقدسيين . يسكنها الآن جماعة من آل هنابة .

(المدرسة البارودية) بباب التاظر بالقرب من الشترمية . وقفها السيدة الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين أبي بكر بن عمود المعروف بالبارودي سنة ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م .

(المدرسة الخنبالية) بباب الحديدة . وقفها الأمير ياسر نائب الشام سنة

٧٨١ - ١٣٧٩ م . يسكنها اليوم جماعة من آل القطب .
 (المدرسة اللولوية) بخظيم زيان بجوار حمام علاء الدين الأباصرى . وقفها
 الأمير لولو غازى عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسن سنة ١٣٧٩-٧٨١ م .
 ثم جاءت دولة الماليك الثانية ويسمونهم الأبراج أو الشراكسة . مؤسسها
 هو الملك الظاهر برقوق . (١٣٨٢ م) . ومن المنشآت التي قامت على عهده :
 (خان السلطان) على طريق باب السلسلة . وكان يعرف بالوكالة . (١٣٨٦ م) .
 (دار السُّتْ) في حقبة التكية بين خان الزيت وحارة الواد . يشتهر السُّتْ
 طنشق بنت عبد الله المظفرية ١٣٩٨ م . ولما توفيت دفنت فيها . ويسمى بها
 المقدسيون في يومنا هذا (تربة خاصبى سلطان) . وقد عمر الملك الظاهر
 برقوق (قناة العروب) .

(المدرسة الجهاركية) بجوار آذاوية اليونسية إلى الشمال . وقفها الأمير
 جهاركس الخليل أمير آخر الملك الظاهر برقوق سنة ١٣٨٨ م .

(المدرسة الطولونية) فوق الرواق الشهابي من أروقة الحرم إلى الغرب من
 باب الأساطط . أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصرى محمد الطولونى في زمن
 الملك الظاهر برقوق . على يد نملوكه أقبغا سنة ٨٠٠ - ١٣٩٧ م .

بعد وفاة الملك الظاهر برقوق تولى السلطة الملك الآية أباواهم . — الملك
 الناصر فرج بن برقوق ١٣٩٨ م . والملك المنصور عبد العزيز بن برقوق ١٤٠٥ م
 والملك الناصر فرج بن برقوق للمرة الثانية ١٤٠٥ م . والإمام المستعين بالله الذى
 لقب بالملك العادل وجمع بين السلطتين الروحية والسياسية ١٤١٢ م . والشيخ
 الحمودى ١٤١٢ م . وولده الملك المظفر أحمد ١٤٢١ م . والملك الظاهر ظطر
 ١٤٢١ م . والملك الصالح محمد ١٤٢٢ م .

وقامت في القدس على عهد هولاء بعض المنشآت ، نذكر منها .

(المدرسة التصبية) غربى المدرسة الأسردية فى شمال الخرم . وقفها الأمير علام الدين على بن ناصر الدين محمد نائب قلعة تصبيين . وقفها عندما كان فى نيابة القدس ١٤٠٦ - ٨٠٩ م . وأما مجبر الدين فقد أسمها (المدرسة الصبية) . أضيف جانب منها إلى الكلية المعروفة بروضة المعارف الوطنية .

(المدرسة الفزيرية) مقابل الطولونية من الشرق ، على مقربة من باب الأسباط . أنشأها شهاب الدين الطولوني وجعلها للملك الظاهر بررقوق . واشتراها رجل من الروم اسمه محمد شاه ابن الفزير الروى ، فوقفها ، ونسبت إليه سنة (٨١٥) .
(المدرسة الكاملية) بباب حطة بم Guar المدرسة الكريمية من الشمال وقفها كامل من أهل طرابلس سنة ٨١٦ - ١٤١٣ م .

وفي زمن الملك الأشرف برساوى الذى دام على سرير الملك ستة عشر عاماً (١٤٢٢ - ١٤٣٧ م) . أنشئت فى القدس منشآت عديدة ، نذكر منها :
(سبيل شعلان) من السبيل الكائنة فى ساحة الحرم بين حصن الصخرة وباب الناظر فإن هذا السبيل الذى أنشأ الملك المعظم عيسى (١٢١٦ م) . جددده الملك الأشرف برساوى (١٤٢٩ م) .

(سبيل علاء الدين البصري) غربى الحرم ١٤٣٥ م .

(المدرسة الباسطية) شهالى الحرم بالقرب من باب العتم . أنشأها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروى شيخ المدرسة الصلاحية وناظر السرمين . وماتت قبل إتمام عماراتها . فعمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر البيشوش المنصورة وعزيز المملكة سنة ٨٣٤ - ١٤٣٠ م . يسكنها جماعة من آل جار الله .

(المدرسة القادرية) بين باب حطة من الغرب ومثلثة إسرائيل من الشرق . أنشأها مصر خاتون (وف قول خديجية خاتون) زوجة الأمير ناصر الدين محمد ابن القادر في أيام السلطان الملك الأشرف برساوى سنة ٨٣٦ - ١٤٣٢ م .

يحيى عليها اليوم انحراب وتحفظ فيها نعوش الاموات .

(المدرسة الحسينية) بباب الناظر غرب الحرم فوق رباط علام الدين البصيري .

وقفها الأمير حسن الكشكيل ناظر الحرمين ونائب السلطنة في القدس سنة ٨٣٧ - ١٤٣٣ م . يقطنها الآن جماعة من آل البديري .

(المدرسة العثمانية) بباب المتوضأ تجاه سبيل قايتباي . وقفها امرأة من الروم

تسمى أصفهان شاه خاتون بنت الأمير محمد العثماني سنة ٨٤٠ - ١٤٣٧ م . يسكنها الآن جماعة من آل الفتياي .

لم يجر في القدس شيء يستحق الذكر على عهد الملك العزيز يوسف بن برساي (١٤٣٧ م) . سوى ما سمعناه عن (المدرسة الجوهريّة) التي وقفها الصيفي جوهر زمام الإدارة الشريفة سنة ٨٤٤ - ١٤٤٠ م . أنها واقعة بباب الجديد تجاه المدرسة الأرغونية . ويسكنها الآن جماعة من آل الخطيب .

وأما على عهد خلفه الملك الظاهر جقمق (١٤٣٨ م) . فقد وقعت حوادث نذكر منها أن خاصكيًّا اسمه (لينال باي) أرسل إلى القدس للكشف على الأديار ، فهدم ما استجد له بدير صهيون ، وانتزع قبر داود من يد التنصاري ، وأنخرج المستجد من دير السريان ، فصار زاوية . وهدم البناء المستجد ببيت لم . وقلع المرايزين المستجد بالقيامة ، فأخذ إلى المسجد الأقصى . وصارى القول هدم كل ما استجد في أديرة التنصاري . وأصابهم عامل (١٤٥٢ م) . كروب عظيم .

وتولى الملك ، بعد الظاهر جقمق ، ابنه الملك المنصور عثمان (١٤٥٣ م) فالمملـك الأشرف لـينـال (١٤٥٣ م) . وصل عهده حـرـ المسـجـدـ الأـقـصـىـ (١٤٦٠ م) وأنشـهـ السـبـيلـ القـائمـ بـيـنـ المـطـهـرـةـ وـسـجـدـ الصـخـرـةـ وـالـمـرـوـفـ فـيـ يـوـمـاـ هـلـاـ بـسـبـيلـ قـاـيـتـبـاـيـ .

ثم تولى الملك الملك المؤيد أحمد بن لـينـال (١٤٦٠ م) . فـالـمـلـكـ الـظـاهـرـ

خوشقدم (١٤٦٠ م) . وعلى عهده عمرت (قناة السبيل) في ١٤٦٢ م . وشرع في إنشاء المدرسة الكائنة بجوار باب السلسلة والتي سميت بعد ذلك (المدرسة الأشرفية) . ولم يحدث في القدس شيء ولا أنشئت منشآت تستحق الذكر على عهد الملك الظاهر بيbars (١٤٦٧ م) . لاولا الملك الظاهر نميرغا . وإنما حدثت على عهد خلفه الملك الأشرف قايتباي (١٤٩٥ - ١٤٦٧ م) حوادث وأنشئت منشآت تذكر منها :

(المدرسة المزهرية) بباب الخليل تجاه المدرسة المحوهرية . وقفها الزيني أبو بكر بن مزهر الانصاري ٨٨٥ - ١٤٨٠ م . يسكن في جانب منها اليوم فريق من آل الشعاعاني .

(المدرسة الزمينية) غرب الحرم فوق الإيوان الذي بباب القطائعين . أنشأها الخودجكي الشمسي محمد بن الزمرد خان سنة ٨٨٦ - ١٤٨١ م . يسكنها جماعة من آل العفيف .

(المدرسة الأشرفية) بالقرب من باب السلسلة وإلى الشمال منه . ومن أسمائها السلطانية . بناها في الأصل الأمير حسن الظاهري باسم الملك الظاهر خوشقدم (٨٧٥ - ١٤٧٠ م) وكانت تدعى السلطانية . ولما ترقى الملك الظاهر نسبت إلى الملك الأشرف قايتباي فسميت بالأشرفية . ولما زار قايتباي القدس أمر بهدمها فأعاد بناءها ٨٨٧ - ١٤٨٢ م . إنما من أجمل المدارس التي بنيت في ذلك العهد . و (السبيل) الكائن بين باب السلسلة وباب السكينة .

(وسيل قايتباي) الكائن في داخل الحرم فوق البئر مقابلة للدرج الصخرة . ذلك السبيل الذي أنشأه إينال ، ويحدد عمارته قايتباي .

وأما الحوادث التي حدثت في القدس في عهد قايتباي فكثيرة منها : أنه قام خلاف شديد بين ناظر الحرمين ونائب السلطان ، سرى إلى السكان .

وأضطرب إثر ذلك حبل الأمن . فكُررت السرقات ، وانتشر قطاع الطرق في جميع أنحاء البلاد .

وزاد الطين بلة احتباس المطر ، وغلام الأسعار وتفشي الوباء ، وهذا الطامة الكبرى . إذ قبل إن عدد الذين كانوا يلاقيون حتفهم من جراء الطاعون في اليوم الواحد زاد على المئة .

وقام خلاف شديد بين المسلمين واليهود حول دار واقعة في حارة اليهود بين كنيس اليهود ومسجد المسلمين . فكان حكم قضاة المدينة ومشايخهم في صالح اليهود . ولما رفع المسلمون أمرهم إلى السلطان بمصر ، نقض هذا حكم القضاة . ثم عاد السلطان فانصاع للإلحاح اليهود . وأصدر أمره في صالحهم . فداعت عائلة في القدس شائعات تقول إن اليهود ما كانوا لينجحوا لولا ما بذلوه من أموال وفيرة للخزانة السلطانية . فثار المسلمون ، وهدموا الكنيس . وذلك قد جعل السلطان غائباً يغضب غصباً لا مزيد عليه . فأمر بإحضار زعماء المدينة إليه . وأرسلوا مصطفدين بالأغلال . وهناك ضربوا وبحروا . ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن هدأت الفتنة .

وأنهم رجل من نصارى القدس بأنه سب الإمام علياً وزوجه ناطمة الزهراء . وهنـدـ ما ثبتـتـ الـهـمـةـ أـعـدـمـ فـيـ دـارـ الـنـيـاـةـ . وـهـنـدـ جـانـبـ مـنـ كـنـيـسـ الـقـيـاـمـةـ بـسـبـ كـثـرـ الـأـمـطـارـ . . .

ورفع سكان القدس شكواهم إلى السلطان ضد نائب في القدس خضر بك ، لأن هذا كان ظالماً وكان سباكاً للدماء . فحقن السلطان في شكواهم . ولما تأكد من صحتها استحضره إليه فضربه ، ثم أقاله .

ولم يكن خلفه (دقان) بأعدل منه ، أو أحكم . بل كان هو أيضاً ظالماً . فثار المقدسيون ضده . وظلوا يلمون على السلطان إلى أن أقاله من منصبه .

ولم يكن الوضع الدولي يومئذ بأفضل من الوضع الداخلي ، فقد ساءت علاقات

الماليك مع الحكومات المجاورة ، ولا سيما مع الأتراك العثمانيين . وراح كلا الفريقين يحشد جنده على الحدود . وقبل أن تقع الحرب بينهما توفى قايتباى (١٤٩٥ م) . فاشتغل الأمراء . وازداد الموقف سوءاً . فلا يكاد يعتلي العرش ملك ، حتى يثور شبهة ماليكه وأعوانه ، فيخلعوه ، أو يقتلوه .

ومكدا كان مصير الملك الناصر محمد بن قايتباى اللقب بأبي السعادة (١٤٩٥ م) . والملك الأشرف قنسو خمسة (١٤٩٥ م) . والملك الظاهر قنسو الثاني اللقب بأبي سعيد (١٤٩٨ م) . والملك الأشرف قنسو الثالث اللقب بجهنبلات (١٤٩٩ م) . والملك العادل سيف الدين طومان باى (١٥٠٠ م) . والملك الأشرف قنسو الرابع اللقب بالغوري (١٥٠٠ م) .

وعلى عهده ازداد الموقف سوءاً بين الماليك والأتراك العثمانيين . إذ رحب هذا بذكر كود أخى السلطان سليم بن بايزيد ، وأمده بعشرين بارجة حربية لقاتله أخيه ، وافتتاح القسطنطينية . وهذا قد أغضب السلطان سليم ، وجعله يفكر في افتتاح مصر . فسار إليها ، وحارب الماليك في (مرج دابق) على مقربة من حلب ؛ فتغلب عليهم ، وقتل سلطانهم قنصوه الغوري .

بائع الماليك ، إثر هذا الحادث ، الأمير طومان باى . وحاول هنا أن ينجد البلاد من الأتراك . إلا أنه فشل . وتمكن السلطان سليم من احتلال هذه البلاد . ثم احتل مصر (١٥١٧ م) . وشنق طومان باى .

ومكدا انتهت دولة الماليك الشراكسة . وحلت مكانها دولة الأتراك العثمانيين .

الباب الرابع

الفتح العثماني

**القدس في عهد الأتراك العثمانيين — القدس ولبراهيم باشا —
القدس والأتراك العثمانيون (للمرة الثانية) .**

القدس في عهد الأتراك العثمانيين

(من ١٥١٧ م - إلى ١٨٣١ م)

احتل السلطان سليم الملقب بياوز القدس (١٥١٧ م^(١)) بعد أن تغلب على الماليك في معركة (مرج دابق) ، وقتل سلطانهم طومان باي ، واحتل حلب وحص وحاص وسائر بلاد الشام . ومنها سار إلى مصر ، فاحتلها . وتعذر له آخر الخلفاء العباسيين ، محمد التوكيل على الله ، عن الخلافة . وسلمه مقاييس الحرمين . فأصبح الأمر الناهي في تركيا ومصر والشام . وأقام على الشام نائباً للسلطنة هو : جان بردى الغزالى^(٢) . وكانت القدس من أعماله .

عندما دخل السلطان سليم القدس زار قبور الأنبياء ورأى الأماكن المقدسة والأثار القديمة . وأثناء وهو في القدس سفير من إسبانيا يحمل رجاء مليكتها . فقبل رجاءه ، وأناخ للنصارى الحج إلى بيت المقدس على شريطة أن يؤدوا الرسم الذي كانوا يؤدونه في زمن الماليك ، وقد أولم لهم سكان المدينة ولهم أقاموها في الفناء الواسع حول الصخرة . وأتوا له وبختنه بالطعام في أوان تسمى (الهنايب) فتساءل عن السبب . فقيل له : إنما قوم فقراء . ثم بخشوا له عن تسلط العربان وسكان القرى المجاورة . فاعتزم عمارة سور . ولكن رجع إلى عاصمة ملكه القسطنطينية ، وتوفاه الله ، قبل أن يتمكن من تعميره . ولما توفى (١٥٢٠ م)

(١) هذا ما اتفق عليه أكثر المؤرخين . وأما المستر ريشموند E. T. Richmond فقد قال في كتابه The Dome of the Rock ص ٣٧ إن القدس صارت عام ١٤١٢ م.

(٢) (عثمانل تاریخ) للstorix التركى أحد رایم ص ٤٠٠ .

تبرأ العرش ولده السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني . وعلى عهده قامـت بالقدس منشآت كثيرة ، نذكر منها :

أنه هو الذي جدد حماره السور . وقد دامت حمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) . ورم القلعة (١٥٣١ م) . وأنشأ البرج الكائن على يمين الدائريـلـ من بـابـ التـليلـ (١٥٣٨ م) . وعـرـ بـرـكـةـ السـلـطـانـ عـلـ طـرـيقـ المـحـطةـ . والـسـبـيلـ الـوـاقـعـ قـبـالـةـ الـبـرـكـةـ الـمـذـكـورـةـ . والـسـبـيلـ الـكـائـنـ بـيـابـ السـلـسلـةـ أـمـامـ المـدـرـسـةـ الشـنـكـرـيـةـ ، وـقـيـ طـرـيقـ الـوـادـ ، وـقـيـ سـاحـةـ الـسـمـرـ إـلـىـ الشـمـالـ مـنـ بـابـ شـرـفـ الـأـنـيـاءـ ، وـقـيـ طـرـيقـ بـابـ النـاظـرـ ، وـبـالـقـرـبـ مـنـ بـابـ الـأـسـبـاطـ (١٥٣٦ م) . وقد عـرـ قـبـيـةـ الصـخـرـةـ (١٥٤٢ م) ، وـأـعـادـ تـبـليـطـهاـ . وـعـرـ جـدـرـانـ الـسـمـرـ وـأـبـواـهـ . وـسـدـ الـبـابـ الـذـعـيـ . مـنـ أـبـابـ الـسـمـرـ ، وـفـتـحـ الـبـابـ الـمـعـرـفـ بـيـابـ (مـسـنـاـ مـرـمـ) . وجـدـدـ الـقـاشـانـيـ الـكـائـنـ فـيـ قـبـةـ السـلـسلـةـ (١٥٦١ م) . وـعـلـ عـهـدـ أـشـتـ الشـكـيـةـ الـمـعـرـفـةـ بـتـكـيـةـ خـاصـكـيـ سـلـطـانـ فـيـ عـقـبـةـ الـمـقـىـ . أـشـأـهـاـ زـوـجـهـ الـرـوـسـيـ رـوـكـسـيـلـاـنـةـ (١٥٥٢ م) . والمـدـرـسـةـ الرـصـاصـيـةـ بـحـارـةـ الـوـادـ (١٥٤٠ م) . أـشـأـهـاـ الـأـمـيـرـ باـيرـامـ جـاوـيـشـ الـذـيـ كـانـ مـنـاظـرـاـ لـهـارـةـ السـورـ .

وـأـشـيـعـ مـسـجـدـ الطـورـ (١٥٣٧ م) فـيـ الـمـكـانـ الـذـيـ تـقـومـ عـلـيـهـ كـنيـسـةـ الصـبـودـ . وـهـوـ الـذـيـ عـهـدـ بـحـرـامـةـ الـدـرـبـ السـلـطـانـيـ بـيـنـ الـقـدـسـ وـيـافـاـ إـلـىـ آلـ آبـيـ غـوشـ ، وـأـجـازـهـ أـنـ يـحـصـلـواـ مـنـ السـيـاحـ بـعـضـ الـعـوـاـدـ (١٥٢٠ م) . وـعـلـ عـهـدـ سـكـتـ قـلـوـنـ جـدـيـدـةـ سـمـيتـ بـاسـمـهـ . وـفـرـضـتـ عـلـ الـمـجـاجـعـ الـمـسـيـحـيـنـ رـسـمـ يـدـقـوـبـاـ لـهـ وـلـوـجـهـمـ كـنيـسـةـ الـقـيـامـةـ .

وـلـقـدـ تـوـلـ السـلـطـنةـ بـعـدـ ابـتـهـ السـلـطـانـ سـلـيمـ الثـانـيـ (١٥٦٦ م) . فـالـسـلـطـانـ مرـادـ الثـالـثـ بـنـ سـلـيمـ الثـانـيـ (١٥٧٤ م) . فـالـسـلـطـانـ عـمـدـ الثـالـثـ بـنـ مرـادـ إـلـيـالـثـ (١٥٩٤ م) . فـالـسـلـطـانـ أـحـدـ الـأـوـلـ بـنـ مـحـمـدـ الثـالـثـ (١٦٠٣ م) . وـعـلـ عـهـدـ عـرـفـ النـاسـ الـبـيـغـ لـأـوـلـ مـرـةـ ، وـاستـعـملـهـ فـيـ هـلـهـ الـبـلـادـ (١٦٠٣ م) . وـحـسـرـمـ

بع الحمور في القدس وفي جميع أنحاء المملكة (١٦١٣ م).

ثم جاء السلطان مصطفى الأول بن محمد الثالث (١٦١٧ م). فالسلطان عثمان الثاني بن أحد الأول (١٦١٧ م). فالسلطان مصطفى الأول للمرة الثانية (١٦٢١ م). ولم يرد ذكر كثير للقدس في أيام مولاهم السلاطين.

وأما في زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م)، فقد كانت القدس تابعة لمصر. ولقد حدثت فيها حوادث تستحق الذكر: منها أنه حظر على الناس شرب القهوة، وتدخين التبغ (١٦٣٣ م). واحتل الأمن؛ فراح الأشقياء يقطعنون الطرق، ويختربون ينابيع المياه. وذلك قد حدا بالسلطان لإقامة قلعة سميت باسمه (قلعة مراد) عند برك سليمان على طريق الخليل. وأنشأ في داخلها مسجداً وخسین مترازاً لسكنى الجنود. وكان يقوم على حراستها دزدار، وأربعون جندياً مسلحين بالمدافع والأسلحة الكاملة.

بعد السلطان مراد الرابع تولى السلطة إبراهيم بن أحمد الأول (١٦٣٩ م). ثم تولاها ابنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ م). وحمل عهده بنيت المئذنة الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥ م). وأنشئ المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان في المحرم القديسي ١٦٥١ م.

إن أحسن وصف للقدس في ذلك العهد نجده في خطوط السائع التركي الشهير (أولياجلي). فقد زارها حوالي سنة ١٦٧٠ للعيلاض، ووصفها وصفاً جيداً. فندح خبرتها وثارتها وحضرتها. وبيدو أنها اشتهرت يومئذ بمسكها وعطرها وبخورها وباقيها التحاوية. وكان فيها ألفان وخمسة وأربعون دكاناً، وستة خانات عظيمة، ومحاسب، وأسواق، وثلاثة وأربعون ألف كرم. ورأى في وسط هذه الكروم زهاء ألف وخمسة منظرة. وكان يسكنها ستة وأربعون ألف نسمة أكثرهم عرب مسلمون. وكان فيها كنيس للأرمن، وثلاث كنائس للروم، وكنيسان للليهود، ومثنان وأربعون عمراياً للصلوة، وسع دور للحديث،

وعشر دور للقرآن ، وأربعون مدرسة للبنين . وستة حمامات ، وثمانية عشر سبيلاً يشرب الماء منها المطشان ، وتكتاباً لسبعين طريقة منها الكيلانية والبدوية والسعديّة والرقاعية والمولوية .

ويظهر مما كتبه هذا السائح وغيره من السياح الأجانب أن كل شيء في القدس كان يومئذ على خা�صة ما يرام ، خلا (الأمن) . فقد كان هذا مفقوداً ، ولا سيما خارج أسوار القدس . وكانت القدس تابعة لطرابلس الشام .

وفي عام ١٦٨٧ م تولى السلطنة السلطان سليمان الثاني بن إبراهيم . ثم تولاها أخوه السلطان أحمد الثاني (١٦٩٠ م) . فالسلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع (١٦٩٤ م) . فالسلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ م) . وعلى عهده ثار على الدولة نقيب الأشراف في القدس السيد محمد (١٧٠٥ م) فساقته عليه جيشاً من الشام وأخذت ثورته . وكانت القدس يومئذ تابعة لأيالة صيدا وحذا . ثم جاء السلطان محمود الأول بن مصطفى الثاني (١٧٣٠ م) . وعلى عهده تجدد بناء حائط الخندق (١٧٣١ م) ، وعمارة مسجد القلعة (١٧٣٨ م) . وكانت القدس يومئذ تابعة للشام . ثم جاء السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤ م) . فالسلطان مصطفى الثالث بن أحمد الثالث (١٧٥٧ م) . ثالثه السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣ م) . فالسلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث (١٧٨٨ م) . وعلى عهد هذا السلطان غزا نابوليون هذه البلاد (١٧٩٩ م)^(١) وذاقت

(١) كان نابوليون يعتقد أن من يعقل مصر لا يكون آمناً فيها إلا إذا احتل أرض الشام . إنه وإن كان قال في بيانه الذي أذاعه على السكان أنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا ليقترب المizar ، إلا أنه في الحقيقة كان يرس إلى التحالف مع الطوائف المنشورة في سوريا ضد الترك والسيطرة دون رجوع مصر للأحسان تركياً .

بعد أن احتل نابوليون هرة ورياحاً والرمليّة كان الناس يظنون أنه لا بد وأن ينزل وجهه شطر بيته القدس ليغتصبها ، حتى إن الأتراك سجنوا في كنيسة القيامة جميع الروم الأرثوذوكس . ولكنهم لم يفعلوا . بل أجابوا الذين سألوه عن أهدافه : . . . أن القدس غير مذكورة في الخطة التي دجّنها . . . إلى

من جراء حكم أحد باشا الجزار (١٧٨٦ م)^(١) وحمد باشا أبو المرق ما ذاقت . وهذا مما حل بالشريف وسادات البلاد على أن يبيعوا أولادهم في السوق بيع العبيد .

بعد السلطان سليم الثالث تولى الملك السلطان مصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول (١٨٠٧ م) فأغدوه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م) . وحمل عهده وقت ف القدس وقائع ، نذكر منها أنه هو الذي ألغى نظام (الإنكشارية) وطارد رجالها مطاردة لا هوادة فيها . حتى إنه منع الناس من ذكرهم^(٢) (١٨١٩ م) ومنع المسيحيين الأرثوذكسين (١٨٢٠ م) من تعمير معابدهم ، إذ أنه كان = لا أزيد التعرض بسكان الجبال والتلال في مازق وصعب المرور عنها ... والحقيقة أن اهتم نابوليون كان منصبًا على الواقع ذات الأهمية الحربية . وما كانت القدس يومئذ تلك الأهمية .

ومن قال إن كتب إلى أهل القدس رسائل طلب إليهم فيها أن يخضعوا لأوامره . فاجابوه أنهم قاتلوا الأپالاه حكا . لما الذي يحصل عكا ويصدر أوامره منها يخضعون لأوامره ؟ وهم لا ي يريدون أن يتصرفوا في حرب أو حرب . لأنهم يعيشون في بلد طافع بالأماكن المقدسة ، فانصرف إلى حكا ، يريد أن يعطيها . وكان الجزار قد تحسن فيها . إلا أنه لم ينجح ، ورجع إلى مصر مدموراً (١٧٩٩ م) .

(١) ولد الجزار سنة ١٧٢٠ في إحدى قرى البوسنة . و Herb وهو شاب يافع من بلاده إلى الاستاذة . ومنها إلى مصر حيث بعث إليها ببع العبيد . واستخلصه (أحد يك أبو اللعب) في قصره ، فقتلها بأعدائه ولقب بالجزار . ومهدت إليه الحكومة العثمانية بedula بولاية بيروت (١٧٧٦ م) فما كاد يسلمها حتى أعلن الثورة ضد الدولة . ويظهر أن الدولة رأت من مصلحتها أن تستعينه إلى جاليها ، فبعثته وزيراً ووسمت سلطته من الشام إلى غزة وصريش مصر . الأمر الذي انتبه له نابوليون فزعمه لفتح هذه البلاد (١٧٩٩ م) .

ولما أدرى نابوليون ، ازداد الجزار عثلاً . فعاد يمثل مظلمه ، لا غرفة في نظره بين مسلم وبسيس وبهودي .

وطلبت البلاد تلقي الأمرين من جراء خاله إلى أن مات في حكا (١٨٠٤ م) ودفن بها . (٢) ذكرنا في كتابنا المفصل عن (تاريخ القدس) الشنـ الكـبـيرـ عن (ثورة الإنـكـشارـيةـ) تلك الثورة التي وقعت في ١٨١٩ م . وما فعلته السلطات التركية من أجل إخـادـ تلكـ الثـورـةـ والنـفـضـاءـ على رجالها . ونـوـءـ أنـ للـخـصـ هـنـاكـ بـرـجـهـ التـفـصـيلـ ، فـنـقـولـ :

وحاصر رجال الإنكشارية مسلم القدس (مصطفى آغا العزيزى) في مكتبه يدار الحكومة . فطلبوا منه بتحريض من الأرنـ أن يوقف الروم عند حدم ، وأن يمنعهم من الاستقرار في عمارة الكنيـةـ . تلكـ الكـنـيـةـ الـتـيـ كانـ الأـرـنـ قدـ حـرـقـهـاـ (١٨٠٨ـ مـ) . وأـسـرـ الإنـكـشارـيـونـ عـلـ =

بكرهم ، ولا سيما من كان منهم يوناني الأصل^(١) . وسجع للاتين بناءً غرف جديدة في ديرهم ، وتعمير ما يخصهم في كنيسة القيامة . وأمر المسلمين من سكان بيت المقدس أن يخلعوا عن رؤوسهم (القاوقة) التي كانوا يلبسوها حتى ذلك التاريخ . ووضعت القدس والشام معاً تحت تصرف عبد الله باشا وإلى عكا .

ويظهر أن صلات هذا الباس مع الحكومة المركزية في القسطنطينية كانت سيئة لدرجة أنها حضرت عليه في بادئ الأمر ولاة الشام وطرابلس وحلب . ثم عادت ، ففكت عنه . ولكنها أخذت القدس منه ، فجعلتها تابعة للشام . وكان حل الشام والاسمه مصطفى باشا . وكان هذا خللاً . ففرض حل الناس ضرائب لا عهد لهم بعثتها من قبل . فقامت في القدس اضطرابات . وعقب

ـ أن يغولوا هم حاية القلعة بدلاً من الجند الذين أرسلاوا من الشام . وهدره بالقتل إذا هولم يدفع مطالبهم .

فاستغلهم المسلمون شيئاً يستثير يوسف باشا في الشام . وقبل أن يأتى الجواب راحوا يسلبون يد النهب والسرقة في الروم وديرهم . وفيما كانت الثورة التي أطلقوا نارها متاجدة كان المدد قد أتى من الشام . وعدد من المغاولة المغاربة قد وصلوا بقيادة (أبي ذريمة) . فدخلوا المدينة ليلاً منباب المعرفة بباب الأساطيل . وما كاد نجر اليوم الثالث ينبلج حتى كان معظم التواري قد وقعا في الشرك . فألقى القبض عليهم ، وتكلل بهم تحكيم . وقبل أن المسلم وحده عذق بهم ٤٨ رجلاً من رؤوس الفتنة في ليلة واحدة .

(١) ذلك لأنهم راحوا يصدرون (البروان) الذين نادوا باستقلال بلادهم من تركيا (١٨٢٠) . وقد نادى السلطان عمرو الأهمي أن يكتبوا على سدر من الروم ، وأن يتسلموا ، وأن يعرقوا كوفه يصونون أمراكم المقدس . خلص المسلمون شريراً وشبانياً . وهاجروا إلى مصر بركبة وعل رأسهم المسلم ملیحان أفندي وكان هذا من قبل عودياً ؛ فاحتوى بهم الإسلام ؛ كما كان منهم موسى بك الفرازدق رئيس البناق والأسلحة ؛ وكذلك حامية القدس . فقادت الفوضى في المدينة . وحمل بالتصاري كربلاً شديد ؛ ولا سيما الروم ؛ فقد صوررت أسلحتهم ، وأمرروا بلبس السواد ، واستخدموها بقتل المدافع من مكان إلى مكان . ورفقت الفساليب المطلوبة منهم من سبعين ألف فرش إلى مائة ألف . وكاد الرعاع يفتكونـ بتعريف المسلمينـ بجميع المسلمين ؛ لولا أن درويش باشا وإلى الشام قد تلافي الأمر . وكذلك فعل أندية القدس وأعيانهم المسلمين الذين راحوا يجهرون الشعب المائع حل المسلمين والسكنية . وأذاعوا بياناً مشتركاً أمسوه كلهم طالبين عدم تصعيد الشائنات التي يذهبها المقربون ، مستنكرين الاعداء على المسيحيين الذين جاء ذكرهم في القرآن بأنـ « هم قسيسين ورهبان » . وأنهم أقرب بودة للدين آمنوا من اليهود . ومكداً هدأت الثورة ، وعادت المياه إلى مجاريها .

الاضطرابات الفتنة (١٨٢٤ م). ورفض المقلسيون أن يدخلوا للمجاهدة الفرائض التي طلبوها منهم؛ لا، بل وطردوهم من منازلهم. وكذلك فعل الفلاحون في قرائم. ولم يستطع المسلم، ولا الأولى قمع الفتنة. ولم يكن في القدس يومئذ سوى ستين جندياً. فأرسل عليهم مصطفى باشا جيشاً قوامه خمسة آلاف رجل. وجاء هو معهم. فهبط نابلس أولاً. وقضى فيها عشرين يوماً، ثم مكث خلافاً من تحصيل جميع الأموال المتاخرة. ولما سمع أهالي جبل القدس بما جرى في نابلس هجروا قرائم، واتخذوا المغاور والكهوف، في الجبال والأودية مأوى لهم (١٨٢٥ م).

ولما وصل البشا إلى القدس، لم يخرج أحد من الأهلين لاستقباله. ولم يتقدم أحد منهم للدفع ما عليه من المال. فنفسب، وأصدر أمره للجند بمصادرة أموالهم وتخريب أملاكهم. ولكن المنازل كانت كلها خاوية. وليس فيها ما يمكن أن يصادره.

وما كاد البشا يرحل عن المدينة حتى رجع السكان إلى منازلهم، وأعلنوا الثورة من جديد، وهاجموا القلعة، فاستولوا عليها، وأسروا كل من كان فيها، وحردوهم من سلاحهم، وراحت أعلام الثائرين تتحقق فوق البرج والأسمار. ونجا المسلم بنفسه، فرحل من المدينة بعد أن سمح له الثوار بذلك. وكان بإمكانهم أن يقتلوه. وكذلك فعلوا بمحسوبي بك قائد الجيش، الذي أراد، بعد أن انتهى من حملته التأديبية في بيت المقدس، أن يدخل القدس؛ فنفعه سكانها، وأسمعواه من قوارص الكلم ما جعله ييأس وقد قفل راجعاً إلى الشام.

ليس هذا فحسب. بل جرد المقلسيون من السلاح جميع الأتراله الذين كانوا في المدينة. وبكلمة أخرى ضيقوا الخناق على كل شخص لم يكن عربياً من سكان المدينة. وعهدوا إلى التين من زعمائهم ليديروا المدينة ويحولوا دون وقوعها في شرك الفوضى وهو : يوسف عرب التمجادب وأحمد آغا الدزدار.

فعمل هذان الزعيتان على تعميق آواصر المودة بين المسلمين والمسيحيين ، وألغيا الأعشار والضرائب الأخرى التي فرضت عليهم ، وكانوا يعتبرونها حلا ثقيلا . وما كاد خبر هذه الثورة يصل إلى مسامع السلطان محمود ، حتى أصدر أمره بوجوب إخضاع المقدسيين الثائرين بأى ثمن كان . فأمر عبد الله باشا (١٨٢٦ م) أن يذهب من فوره إلى القدس ، وأن يصطحب معه كل ما لديه من جند وعتاد ، وأن يسترد ما فقدته الحكومة في هذه المدينة من هيبة ونفوذ . وقابل سكان بيت المقدس الجيش الراهن بقلوب ملؤها الإيمان . فرفضوا الإنذار الذي وجهه إليهم رسول عبد الله باشا المعروف : (الكهبا) قائلين : إنهم أقسموا ألا يعدلوا عن ثورتهم ، وألا يستسلموا للسلطان ما دام في مدinetهم أجنبى واحد . لا فرق في نظرهم بين شرق أو غرب ... وبين تركى أو ألبانى ... بين مسلم أو غير مسلم ... وإنهم لعل استعداد الموت في سبيل وطنهم .

وكانوا قبل وصول الجندي ، قد سدوا أبواب المدينة بالحجارة . ولما أشرف الجندي عليهم النار ، قابلوها بنار مثلها . لا ، بل أطلقوا من أعلى موضع في القلعة ، نيران المدافع التي كانت في حوزتهم . وظلت الحرب سجالا بينهم ، بين الجندي سبعة أيام وسبع ليال . وفي اليوم الثامن كان الجندي الذين أرسلهم عبد الله باشا مددًا لحامية القدس قد وصلوا . وكانوا مزودين بمدفع آخرى منها مدفع كبير وثقيل . فراح المقاومون تساقط في وسط الأحياء والمنازل الآهلة بالسكان . وكانت ذخائر الثائرين ومؤمن السكان بوجه عام قد نفذت . وبالجروح كاد يقضى عليهم ، وإنجوف كان قد استولى على النساء والأطفال . فقرروا الاستسلام مشترطين إلغاء الضرائب الجلدية وإعلان العفو العام ، ومنع الجندي من التدخل في شؤون المدينة . وكان لهم ما أرادوا .

ولما تسلم عبد الله باشا مقاطع القلعة أقام فيها ثلاثة جندي . وراح هؤلاء يسيطرون على المدينة كما كانوا من قبل (١٨٢٧ م) . كما راجع عبد الله باشا

يقع أواصره بوصفه والي صيدا ومصر والعرش وغزة والقدس ونابلس وجنين .
وما كادت التوره تهدأ في القدس على يد عبد الله باشا (١٨٢٧ م) حتى
أعلن محمد علي باشا والي مصر الحرب على السلطان . وأرسل مقاتلته في بر الشام
جيشاً بقيادة ولده إبراهيم باشا . فاحتل هذا القدس وسائر أعمال فلسطين
(١٨٣١ م) كما احتل سوريا وسائر بلاد الأناضول ووصل إلى كوتاهية ،
وكاد يحتل الآستانة ، لولا تدخل الدول الأوربية . ولما اصطلح الفريقيان
جعلت البلاد الواقعة بين أطنة غزة ولادية تابعة لمصر . وهذا دخلت القدس في
حوزة البيت العلوى .

القدس وإبراهيم باشا (١٨٣١ - ١٨٤١ م)

قلنا في آخر الفصل الذي سبق أن محمد علي باشا والي مصر أعلن العصيان
على تركيا في عهد السلطان محمود الثاني ، وإنه أرسل مقاتلته في بر الشام جيشاً
بقيادة ولده إبراهيم باشا ، فاحتل هذا القدس (١٨٣١ م) وسائر أعمال فلسطين .
كما احتل سوريا وسائر بلاد الأناضول ، ووصل إلى كوتاهية ، وكاد يحتل
القسطنطينية عاصمة بني عثمان ، لولا تدخل الدول الأوربية^(١) . وإن الفريقيان
بعدئذ اصطلحا (٢٥ نيسان ١٨٣١ م) واتفقا على أن تكون البلاد الواقعة بين
أطنة غزة ولادية تابعة لمصر . وهكذا دخلت القدس في حوزة البيت العلوى .

(١) (البطل الفاتح إبراهيم) للإدراود برگات ١٢٩ ، ١٤٠ .

لم يغش على وجود إبراهيم باشا في فلسطين سوى بضعة أشهر ، حتى قامت ثورة فيها ، وكانت القدس من أهم مراكز الثورة . ولقد ذهب الباحثون في تفسيرها مذاهب شتى . منها أن الأهلين كانوا ، منذ البداية ، ينظرون إلى الجيش المصري نظرة الفاصل المحتل . ومنها أن هذا الكره ما نشأ إلا عند ما أصدر محمد علي باشا أوامره لابنه إبراهيم باشا كي يجمع السلاح من الأهلين ويفرض بعض العوائد والرسوم الجديدة ، ويدعو إلى التجنيد الإجباري في البلاد . ومن رأى القاتلين بهذا القول أن إبراهيم باشا كان خالقاً لرأي أبيه في هذا الموضوع ، وأنه حذر من عواقبه ، إلا أنه اضطرب في النهاية إلى الإذعان ، ففعل ما فعل ، وبخاصة الشدة في فعاله ، مما قد أدى إلى الثورة .

كان أول عمل قام به إبراهيم باشا أن أصدر أمره إلى سكان القدس في (٢٥ نisan ١٨٣٤ م) طالباً منهم أن يتوجهوا واحداً من كل خمسة من شبابهم . وفي قول آخر واحد من كل عشرة رجال . وكذلك فعل مع باقي البلدان . فكان على مدينة القدس أن تقدم للجيش متى وصل وصل سكان القدس أن يقدموا ثلاثة آلاف رجل . وكذلك قلل عن سكان الأقضية الأخرى كنابلس والخليل .

وأمر إبراهيم باشا بجمع السلاح من أي نوع كان ومن جميع الطبقات . وعمل على نزع التفود من جميع الرعماء وأصحاب الإقطاعات . وراح ينقى من البلاد كل من حدثه نفسه بإهمال الأوامر وعدم الطاعة . فكانت نتيجة هذه التدابير أن ارتفع هلاك المسيحيين والمسيحيين ، وخضب المسلمين . واستغل الأتراك الفرصة ، فراحوا يحرضون المسلمين على الثورة ، فشاروا .

وما هي إلاّ عشية أو نصفها حتى كانت نار الثورة قد اشتعلت في نابلس والخليل وصفد وغزة وبافا والصلت وفي كل مكان . وأما في القدس نفسها فقد انعدم الأمن ، وسادت الفوضى ، واحتقى النصارى في أدبيتهم والمسيحيون في

كتائبهم . واغتنم الرجاء فرصة سفر إبراهيم باشا إلى يافا فعقدوا في ٢٨ نيسان ١٨٣٤ م اجتماعاً حضره مشايخ القرى المجاورة وقررروا إعلان الثورة .

في ٨ آيار حاصروا القدس . وفي اليوم التالي ٩ آيار ، أتّهم نجدة من نابلس والخليل فأصبح عددهم كبيراً . وقيل إن عدد الناقرين بلغ يومئذ عشرة آلاف . كلّهم مسلحون . وراح هؤلاء يقاتلون الجنود المرابطين في القلعة ، وعددهم ألف ، كان إبراهيم باشا قد تركهم هناك بقصد الحراسة . وظلوا كذلك بضعة أيام . والتالي الفريقيان ، الجنود والثوار ، في شوارع المدينة ، فاقتتلوا قتالاً عنيفاً . وكادوا يتتصرون على الجنود . لو لا أن سرت بينهم في تلك اللحظة شائعة تقول إن إبراهيم باشا في طريقه إلى القدس مصطحبًا معه جيشاً برياً . فانكسرت معنوياتهم . وراحوا يهربون ، تاركين وراءهم ستة وستين قتيلاً ، وراح الجنود بعد ذلك يهدموون الحوائط والدكاكين ، وينهبون كل ما وقعت عليه أيديهم من أمتعة السكان وأموالهم . والتالي الجنود القبض في اليوم التالي ، ١٠ آيار ، على أعيان المدينة ، وبحثتهم في القلعة . فاشتعلت النار من جديد . وركضت نابلس لنجدة أختها القدس ، فآمدتها بالآن مقاتل . فخشى الباشا على الأمر ، وأنزوى هو وجشه في القلعة . بعد أن أمر بإغلاق أبواب السور . ولكن المقدسيين الذين كانوا في داخل المدينة فتحوا الأبواب للثوار . ودخل هؤلاء المدينة . وساروا نحو القلعة . وكان يقودهم إبراهيم أبو غوش ، لفوج صدام عنيف بين الأهلين والجنود . وصب هؤلاء نيران مدفعهم من القلعة على الأهلين . ودام القتال ثلاثة أيام . فسادت الفوضى في المدينة ، وصاد معها الخوف والمرض والجروح . وكانت أخبار هذا القتال قد وصلت إلى إبراهيم باشا وهو في يافا .. فطلب في الحال من أبيه النجدة . فاتّه هذه مؤلفة من تسعة آلاف مقاتل . سار بهم غوراً إلى القدس يبغى الانتقام (٢٤ آيار ١٨٣٤ م) .

وأتصل الخبر بالثوار ، فلم يجزعوا . ولا وهن عزائمهم هل راحوا يستعدون

للاقاء إبراهيم باشا وجنته ، عند الأبواب . وفوق الأسوار . وكم له الله
الثائرون في الكهوف والجبال المطلة على الأودية ولا سيما عند باب الود ،
تقديمه . وقتلوا ألفاً وخمسين من جنته .

ولكن ، تمكّن إبراهيم باشا أخيراً ، ورغم جميع الحوائل ، من
إلى القدس . فحط رحله على جبل صهيون . وراح يرسم الخطط للقضاء
على الثورة . فخف لاستقباله اللاتين والأرمن واليهود وفريق من الروم الأرثوذكس
ولم يقابله أحد من المسلمين . إذ كان هؤلاء قد غروا من باب الأسباط مصا
معهم حائلاتهم وأمتعتهم خشية الانتقام . وبعثاً حاول إبراهيم باشا أن
بالمغودة إلى مناظرهم ، قائلاً إنه معترم العفو عنهم . فلم يلبوا نداءه .
ليس هذا فحسب . بل راحوا يوزعون التشرفات داعين إلى الثورة ،
بصراحة وجرأة أعمال الباشا . فتناولوا بعد ذلك للجتماع في مخاس ، فبحثوا
الواجب اتباعها لمواصلة القتال .

ولما علم البasha بأمرهم . ساق عليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل
هو في الطليعة فالتحق بالمحمان على مقربة من مخاس . واقتلا . فكان
حليف الجيش . وأنهزم الثوار تاركين ورائهم ثلاثة آلاف قتيل وخمسين
وساق الأسرى أمامه مكبّلين بالحديد . ولما عاد إلى القدس ودخلها
النصاري واليهود استقبال الفاتحين .

ولم يفت النصارى هذا في عضد الثوار . بل راحوا يجمعون ما تشه
شعلهم . ويتناولون للقتال . وجرت اصطدامات عديدة بينهم وبين الجند
في بيت جالا (٣١ آيار) وأخرى على مقربة من مار إلياس (٤ حزيران)
وفي الأودية والتلال الكائنة إلى الجنوب من بيت لحم ، وفي أرطاس . و
مكان . وذلك كلّه قد فتّ في عضد البasha ، فأصبح لا يدرى ماذا يفعل
ازداد حيرة عند ما أتته أنياء المدن الأخرى . فعلم منها أن نار الثورة ا

اشتعالاً في نابلس وصفد وعكا وطبريا وفي يافا واللد وفي الخليل والكرك . وأيقن أن القوة التي كانت تحت تصرفه يومئذ (١١ حزيران ١٨٣٤ م) وهي لا تزيد على ستة آلاف جندي لم تعد كافية لإطفاء تلك النار . ولهذا أرسل إلى أبيه تقريراً عن الحالة ، وراح يتنتظر تعليمه ، متزوياً في قلعة القدس .

أرسل محمد علي باشا إلى ابنه نجدة مؤلفة من ثلاث كتائب من المشاة وكتيبتين من الفرسان ، وألف من البدو . وأبخر هو من الإسكندرية إلى يافا ، حيث اجتمع به ابنه إبراهيم باشا . وبعد أن تشاور الاثنان فيما يجب عمله ليقضيا على الثورة ، عاد هو إلى مصر ، وبقي ابنه ليتم مهمته . ولما عاد إلى القدس (٢١ حزيران) كان في حبيته ثلاثون ألف جندي . وكان معه عشرة مدافع كبيرة ، وخمس من قاذفات القنابل . فاختفت في القدس نار الثورة من تلقاه نفسها ، دون أي قتال .

إنها (أي نار الثورة) وإن كانت قد ساحت في القدس إلى حين ، إلا أنها عادت فاشتعلت فيها وفي كل مكان ، ورضم أنه اعتقل اثنين من زعماء الشوار في القدس وقطع رأس أحدهما في باب العمود والثاني في سوق الحبوب ، إلا أن هذه التدابير ما كانت لتخلع روح التمرد والمعصيان والكره من أفراد الأهلين .

ولقد زاد الطين بلة ما أصابوا بالخند والأهلين من ضنك بسبب الهيبة (الكوليرا) التي انتشرت في القدس وفيسائر أنحاء فلسطين (١٨٣٨ - ١٨٣٩ م) والتي مات من جراحتها خلق كبير ، وما أصاب إبراهيم باشا وجيشه في دمشق وفي سائر أعمال الشام ؛ مما لا يدخل في نطاق بحثنا ، مما حدا به للانسحاب من هذه البلاد .

وقد انسحب منها (١٨٤١ م) بعد أن أقام فيها عشرة أعوام . عاد إلى مصر تاركاً وراءه عدداً غير قليل من المصريين الذين رافقوه في حملته . وقد استوطن هؤلاء بعض المدن والقرى الفلسطينية فصاروا منها .

الآن وقد أتيهينا من ذكر المروء والثورات التي قامت في هذه البلاد على عهد إبراهيم باشا ، نود أن نأقى ، بوجه الإيجاز ، على ذكر المنشآت التي أنشئت في القدس وفيها حوطا من الصياغ ، خلال ذلك العهد ، فنقول :

على عهده أنشئَ (١٨٣٤ م) جانب من القشلاق الكائن عند باب الخليل . وجددت عمارة السراي القديمة الكائنة على طريق الحسماية . وأنشئت (طاحون الماء) الكائنة غرب المدينة ، وهي أول طاحون يطحون فيها المقدسيون قمحهم (١٨٣٩ م) . وبنيت (الزاوية الإبراهيمية) الكائنة إلى الشمال من ضريح النبي داود على جبل صهيون . وعمرت قلعة في وادي الجوز . وأخرى بين هذا الوادي وجبل الطور . وأنشئت سلسلة من القلاع لحراسة الطريق بين يافا والقدس .

وتطورت البلاد على عهده تطوراً جديراً بالذكر إذ أنه كافع الرشوة ، واهتم بطرق المواصلات ؛ فأنشأ مسافات غير قليلة من الطرق ، وأتاح للتجار الأجانب البيع والشراء في داخل البلاد ، وألغى الفرسية التي كان حرس الكنيسة يجنبها منذ عهد صلاح الدين . كما أمر بإلغاء الخمس من الحاصلات الزراعية . وزرع البذار على الفلاحين . وشجع الناس على غرس الأشجار المثمرة . وأدخل إلى البلاد أنواعاً جديدة من الزراعة . كما أتى بعدد غير قليل من عرب الباادية وأسكنهم في القدس والسهول الخصبة .

ولقد ساوي بين المسلمين واليهود والنصارى . فأشغى النصارى واليهود من عادة التزول عن دوابهم إذا ما صادفوا مسلماً في طريقهم . والفرق الوحيد الذي رضى به أنه كلف النصارى أن يدفعوا الجزية لقاء تجنيد المسلمين .

وكذلك قل عن اليهود . فإنه وإن كان قد ساوي بينهم وبين العرب من سكان البلاد ، إلا أنه قاوم المخطط التي وضعوها للاستعمار . بذلك على ذلك ما جاء في مذكرات السير موسى حايم مونتفيوري أحد كبار اليهود الإنجليز

(١٨٣٦ م) الذي قال إنه عبّاً حاول أن يقنع إبراهيم باشا وأباه محمد على أن يوخراء أرضاً مساحتها خمسون فداناً وهي قرية من قرى فلسطين تسمى نحشين عاماً . ولقد أراد اليهود^(١) يومئذ (١٨٣٧ م) أن يسمح لهم بشراء الأموال والأراضي الزراعية وتعاطي الحرش والتروع وتعاطي البيع والشراء وبيع الأغنام والأبقار وإنشاء المصانع والمعاصر فاعتذر أعضاء مجلس القدس الشريف على هذا الطلب الذي تقدم به وكيل طائفة السكناج بالقدس ، معتبرين ذلك سابقة ليس لها مثيل . هنا فضلاً عن مخالفته لحكم الشريعة . ولما رفع الأمر إلى محمد على باشا أصدر هذا موافقته على ما جاء في قرار المجلس . أصدرها بعد أن استشار ولده إبراهيم باشا . ولم يسمح لليهود يومئذ إلا بتعاطي التجارة ، على أن لا تتعدي حدود البيع والشراء .

القدس والأتراك العثمانيون (للمرة الثانية)

(١٨٤١ م - ١٩١٧ م)

إن السنين العشر (١٨٣١ - ١٨٤١ م) التي قضتها إبراهيم باشا في هذه البلاد كانت ملائمة بالغريب والثورات . ولذا تنفس المقدسيون الصعداء عند ما جلا المصريون عن البلاد ، ورأوا أن مدینتهم عادت إلى أحضان بنى همّان . ولم يكن الشعور القوى قد نفج فيهم ، والتروع إلى الاستقلال قد نما . وكانت القدس يومئذ تابعة لأيالة صيدا . وكانت هذه ترجع في أوامرها إلى مقر الأيالة العام في بيروت ، وكان يقوم على رأس الحكم في القدس الخليفة

(١) (مجموعة الأصول المرية لتاريخ سوريا في عهد محمد على باشا) بجهة الدكتور أنه وسم أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأمريكية .

عاصمة المملكة العثمانية السلطان عبد الحميد بن السلطان محمود الثاني الذي تولى الحكم في ١٨٣٩ .

فوضع هذا أصول التجنيد الإجباري . . . ونظم المحاكم ومنع الأهلين حرية التصرف ، وأمر بالتساوی بين رعايا الدولة ورعايا الدول الأجنبية ، وطارد الرشوة . . . وكان عدد سكان القدس في ذلك الحين عشرين ألفاً منهم ألف من المسيحيين . وانتظم المسيحيون في الجندية ، مثلهم في ذلك مثل المسلمين . ولقد أنفق السلطان على عمارة الحرم القدسى عشرين ألف ليرة تركية (١٨٦٠ م) وقاد أنفق السلطان على عمارة الحرم القدسى عشرين ألف ليرة تركية (١٨٦٠ م) وقامت على عهده (١٨٥٣ م) حرب القرم بين روسيا وتركيا . قامت من أجل الأماكن المقدسة . وكان النصر فيها حليف تركيا (١٨٥٦ م) . فابتعدت القدس بذلك النصر (١) . وراحت الدول تتسابق في بسط نفوذها على البلاد ، ولا سيما إنكلترا وفرنسا اللتان وقفتا إلى جانب تركيا في حربها مع الروس . وثار سكان بيت المقدس على متصرفهم كامل باشا لأنه رضى بأن ترفع تلك الدول أعلامها على دور القناصل . وقيل لهم مزقوا العلم الفرنسي (١٨٤٣ م) وكانت الحكومة العثمانية على درجة قصوى من الضعف حتى أنها لم تستطع الفرط على يد التجار الاستغلاليين . فارتفعت الأسعار إلى درجة لا تطاق (١٨٥٣ م) .

وكان أهل القدس إلى ذلك الحين يعيشون ضمن الأسوار . ورحنا بعد ذلك التاريخ نسمع أنهم راحوا يبنون العمارات خارج سور (١٨٥٨ م) .

وتولى السلطة ، بعد عبد الحميد ، آخره السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ م) . وكانت القدس في أوائل عهده (١٨٦٠ م) متصرفية تابعة لولاية سوريا ، مرجعها الشام . ثم جعلت متصرفية مستقلة (١٨٧١ م) تفاوض الباب العالي رأساً . وعلى عهد عبد العزيز أنشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس (١٨٦٧ م) والطريق التي تربط القدس بنابلس (١٨٧٠ م) . ورفقت شوارع القدس

القديمة وأسواقها بالبلاط (١٨٦٣ م) ومنع إنشاء المساطب أمام الدكاكين . وعلى عهده أيضاً (١٨٦٦ م) عرف الأترالك وحرف معهم سكان بيت المقدس الطربوش^(١) وليسوه . وكان عدد هؤلاء السكان يومئذ ثمانية وستين ألفاً . وأنفق على عمارة المحرم وزخرفته ثلاثين ألف ليرة تركية . وبنى المسجد العمري على مقربة من كنيسة القيامة .

ولما خلع عبد العزيز أقيم مكانه السلطان مراد الخامس بن عبد الحميد ولما خلع عبد العزيز أقيم مكانه السلطان مراد الخامس بن عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) . ولكن هذا لم يمكث على العرش أكثر من بضعة أيام بسبب ضعف عقله . .

ولما خلع السلطان مراد اعتلى سدة الملك أنجوره السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) . وعلى عهده حدثت في البلاد حوادث جسام . نذكر منها ما يلى : منح السلطان شعبه ، في بداية الأمر ، دستوراً . وأمر (١٨٧٧ م) . بانتخاب برلمان أسماء (مجلس المبعوثين) . ومثل القدس في هذا المجلس رجل من رجالاتها الأبرار هو المرحوم يوسف خصا باشا الحالدى . وأكد في دستوره أنه لا يفرق بين دين ودين . وإن كان قد أعلن أن دين الدولة هو الإسلام ، ولسانها (التركي) ، والخلافة فيبني عنوان . وكل إنسان حرفي تصرفاته . ولكنه عاد فاسترد هذه المنشحة . فأغلق البرلمان ، وألغى الدستور (١٨٧٨ م) . وراح يدير البلاد وفق مشيته الخاصة . ونفي الأحرار الذين طالبوا بالدستور والحرية . وكانت الحالة في فلسطين بوجه عام وفي القدس بوجه خاص ، تسير من سيء إلى أسوأ في جميع الميادين الزراعية والاقتصادية والإدارية .

وعلى عهده قامت حرب بين روسيا وتركيا (١٨٧٧ م) . وصدر قانون (١٨٨٢ م) . يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشرامهم الأراضي فيها . ثم عدل

(١) أصله (سربيش) وهي الكلمة فارسية معناها (لباس الرأس) وقد انتقل الطربوش إلى تركيا من بلاد اليونان . وهذه أخذته من مدينة ناس من أعمال مراكش .

هذا القانون ، فسمح لليهود أن يدخلوا فلسطين بقصد العبادة شرقياً أكثر من ثلاثة أشهر وصدر قانون يمنع تجارة الرقيق (١٨٩١) وأنشئت السكة الحديدية بين يافا والقدس (١٨٩٢ م) . وأذobil البدى الكائن غربى المدينة عند الشيخ بدر (١٨٩١ م) . وأنشئ على سور فرق باب الخليل (١٩٠٩ م) . وسبيل على مقربة من الكائن في ساحة الحرم على مقربة من باب القطائع . ومنع (١٩٠٥) واستعمل اللاسلكى .

وبنيت (المدرسة الروسية) الكائنة تجاه سور عند باب الساهر وأنفق على عماره الحرم القدسى ثلاثون ألف ليرة عثمانية . ور القدس رصناً جديداً (١٨٨٥ م) هو الذى نراه فى معظم شوارعينا هذا .

وزار القدس على عهده إمبراطور الألمان غليوم (١٨٩٨) ثغرة فى سور بجانب باب الخليل . وزداد تنافس الدول الأ . ففتحت فيها قنصليات كثيرة أجنبية . ومع ذلك وبالرغم من د من الموظفين الأتراك ، فقد كانت الكلمة العليا فى القدس للعرب الأصليين ، ولا سيما المسلمين منهم . وما كان بإمكان الأجانب إلا يلاذن من المتصرف التركى وكان على هذا أن يرجع إلى (٤) المؤلف من عدد من الموظفين وآخرين من مشايخ البلاد .

ومع هذا كله عرف عهد السلطان عبد الحميد بالظلم والاستئصال أحد أن يبحث شؤون السياسة أو يطرى كلمة (الحرية) كذلك إلى أن تألفت فى البلاد جمعية أسموها (جمعية الاتحاد والتنقلاب) (١٩٠٨ م) أعلن على أثره الدستور ، واجتمع البرلمان

ستحقق القدس مثلاً فيه ثلاثة أعضاء هم : سعيد بك الحسيني وروحي بك الشحالي من القدس وحافظ بك السعيد من يافا . وحاول السلطان أن يراوغ . فأمسكوا به ، وأقاموا مقامه أخيه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨ م) . ومثل قطاع القدس في البرلمان الذي اجتمع على عهده (١٩١٤ م) كل من روحى بك الشحالي وعثمان أفندي النشاشيبي وأحمد عارف أفندي الحسيني . ثم أعيد الانتخاب ففاز بالأكثرية سعيد أفندي الحسيني وراغب أفندي النشاشيبي وفيضي أفندي العلمي .

وعلى عهد هذا السلطان أهلت الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) وخاس الأترالك خارها إلى جانب حلفائهم الألمان . وراح الجيش التركي يخوض الإنجليز وحلفاءهم الروس والفرنسيين في خمس جبهات هي : القفقاس ، والدردنيل ، والعراق ، ورومانيا ، وفلسطين . ولكنهم خسروا . فلخسروا معظم ما كان في أيديهم . ومنها القدس (١٩١٧ م) . فاحتلتها الإنجليز (٩ كانون أول ١٩١٧ م) .

قبل أن ننتقل إلى الفصل التالي من هذا الكتاب نرى لزاماً علينا أن نصف القدس في العهد التركي من النواحي الإدارية والعمانية والتجارية ، والاقتصادية والاجتماعية ، فنقول :

كانت القدس في العهد التركي مركزاً لقطعان واسع يسمى (ستحق القدس) وهو مولف من خمسة أقضية ، وهي : (١) قضاء القدس (٢) قضاء يافا (٣) قضاء الخليل (٤) قضاء غزة (٥) قضاء بئر السبع . وهناك أربع عشرة قاحية (٦) .

(١) خمس منها (أي من النواصي) تابعة للقدس ، وهي : بيت حم ، رام الله ، مطا ، جروان ، أريحا . ولناسرين تابعهان لها . وثلاث توابع تابعات لغزة . وهي : خان يونس ، المجدل ، الفالوجة . وناصرةان الخليل . وهما : بيت جبرين . وناصرةان لغير السبع . وهما : الملة . عربا . المغير .

وثلاثة وسبعين قرية^(١). وخس قبائل كبرى^(٢). ويقوم على رأس كل قضاء (قائم) وعلى رأس القطاع كله متصرف . وكان هذا يخابر وزير الداخلية في الأستانة رأساً، هذا في الشؤون السياسية ، وأما من حيث الشؤون المالية فقد كانت هذه تدار من قبل وزارة المالية. وكان قاضي القدس . على عهد الأتراك العثمانيين ، الكل في الكل^(٣) من حيث السيطرة والحكم في جميع الشؤون الإدارية والمذهبية والحقوقية والجزائية^(٤) . وكان معظم الموظفين من أبناء البلاد ، خلا المحاكم الأكبر ورؤساه بعض المصالح العمومية ؛ فقد كانوا من الأتراك . والنفوذ كله كان بيد الرعماء والأفتدية ، وذوى القطاع من مثابغ البلاد . وكان في القدس مجلس شورى (١٨٤٠ م) مؤلف من عدد من وجوه

(١) مائة وست وعشرين منها (أى من القرى) تابعة للقدس . ومثل هذا العدد من القرى ليافا . وخمس وسبعين قرية لمنطقة . واثنان وخمسون قرية لخليل .

(٢) هي (أى القبائل) : العازمة . العزابين . اليابا . الخانجية . ابقيارات .

(٣) أرجع إلى سجلات المحكمة الشرفية في القدس . ولا سيما ذوات الأرقام ١٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) فلم تكن صلاحيته (أى القاضي) منحصرة في الزواج والطلاق والتنفسة وما إلى ذلك من الأحوال الشخصية ؛ بل كانت تشمل مختلف الشؤون كالنحواف والتجارة والرهن ودعوى الزرع وضرقة الماشي وقضايا التحيل . وكان في الوقت نفسه مستولاً عن إدارة المساجد والتوكاليا والمقابر والزوايا . ومن دعوى القسمة والإفراء ، وتسهيل الوكالات والمكتالات والشركات . ووضع اليد وبيعها . ووسائل القروض والديون والأمانات . ومراقبة المواريثين والمكتاليل والمقابيس . وهو الذي كان يعين الحال التي يجوز فيها البيع والشراء ، ويحدد الأسعار . وينظر في قضايا العرض والرقة . ويراقب تجارة المشروبات الكحولية . ويأخذ بالبناء . ويتحقق في الدعاوى الحقوقية فيما تبلغ قيمتها ، والدعوى الجزائية على اختلاف أنواعها من القرب البسيط إلى السب والشتم . إلى السرقات . إلى القتل . . . ويحكم بالعقوبات من أدناها إلى أقصاها . . . حتى وبالإعدام . وهو الذي يقيل رؤساء الطوائف المختلفة من مناصبهم . . . ويعيدهم . . . ويستبدل بهم غيرهم .

ليس هنا غريب . فإن قاضي المسلمين في القدس كان يستقبل قناصل الدول الأجنبية في ديوانه . فيقرأ أوراق اعتمادهم . . . ويعرف بتشييلهم . . . ويعنفهم الإذن ب المباشرة عليهم . . . ويحيطهم . . .

المدينة وممثل الطوائف المختلفة ، كما كان فيها مجلس عمروي (١٩١١ م) مؤلف من عدد معين، من ممثلي الأقضية (القدس وبافا والخليل وغزة وبئر السبع) وكان لواء القدس يمثل في البرلمان العثماني (١٩٠٨ م) بنسبة ثلاثة نواب ، اثنان من القدس والثالث من بافا . والبرلمان مؤلف من مجلسين «مجلس للمبعوثين» ينتخبه الشعب وآخر «للأعيان» يعينهم السلطان .

وكانت القدس (بلدية) وكانت هذه عند تكوينها (١٨٦٣ م) محدودة الموارد ذات ميزانية لا تتعدى الخمسة ليرة عثمانية ، ثم انتظمت لميراداتها (١٩٠٨ م) ، وارتفعت إلى عشرة آلاف ليرة عثمانية . وكانت عند الاحتلال البريطاني (١٩١٧ م) خمسة عشر ألف ليرة . ولقد كان في مدينة القدس (١٨٧٦ م) اثنان وعشرون شرطياً كلهم مسلمون . وكان اقتناه السلاح مباحاً بجميع السكان .

وكثيراً ما كان الأمن يفقد في المدينة ، إلا أنه كان في داخلها ، وفي أغلب الأحيان مستيناً للغاية . وكان الناس في راحة وهناء بال أكثر من أي زمان مضى ، فالمساكن متوفرة ، رخيصة الأجور . وكذلك قل عن أسعار الحاجات ؛ فقد كانت هذه رخيصة ومتوفرة للجميع . وكان فاضي المسلمين بالقدس هو الذي يحدد الأسعار . ولقد رأينا أنه يحدد (سنة ١٨٦٢ م) بـ ٤٨ بارة للرطل الواحد من الزيت الممتاز ، و ٦٥ للسمن العناني و ٨ بارات للحم البقر و ٤ بارات للكنافة المفروطة و ٤ بارات للقطايف و ٦ بارات للدقيق . ويبيع الرأس الواحد للغم بقرش ونصف القرش . وبيعت دار في حارة الواد بعشرين قرشاً . كما بيعت دار مثلها في حارة النصارى بمثل هذا الثمن وهذه تشتمل على أربع غرف وساحة وصحرى يقع . وبيعت دار مؤلفة من طابقين بباب العمود بثلاثين قرشاً ، وفي باب حطة بخمسة وسبعين قرشاً (١٩١٨ م) .

وكان مهر المرأة يتراوح بين ثلاثة قروش وخمسة وستين قرشاً (١٩١٨ م) :

ثلاثة مجل وثلاثة مؤجل إلى أقرب الأجلين (الموت أو الطلاق) . وإن هذه المهر وأسعار الحاجات وإن كانت قد ارتفعت قليلا مع الزمن إلا أنها لم تصل في زمن ما إلى درجة يعجز عنها الجمود . ومع هذا ورغم انخفاض أسعار المعيشة فقد كانت هناك طبقة من الفقراء . وكانت هذه الطبقة تعيش على الصدقات ، ولها كثيراً ما سمعناه يتحدثون عن (الصرة) التي كانت ترسل من دار الخلافة والسلطنة في القدس ، وهي عبارة عن مبلغ من المال يوزع لا على الفقراء فحسب ، بل على خدام الحرم وعلى المشائخ والعلماء . وكان المسيحيون الأرثوذكس يتلقون مثل هذا العون من روسيا والدول النصرانية في أوربا الشرقية ، واللاتين من قداسة البابا ومن الأمم الكاثوليكية .

ولقد كان في القدس وفيها حوطا من الأراضي في العهد التركي مساحات واسعة من أشجار الزيتون . وكان الزيت فيها كثيراً . حتى إن سكان المدينة اضطروا في سنة من السبعين أن يكتبوا الزيت القديم ، ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية للزيت الجديد . وصناعة الصابون فيها كانت رائجة . وكان هناك عدد كبير من المصابن ، يعيش من ورائها عدد كبير من العمال والصناع . وكان الصابون المقدس يصدر إلى مصر . غير أن هذه الصناعة أخذت تتضاءل بعد سنة ١٨٧٦ م ، يوم اكتسحت البلاد أمراء كثيرة من الجناد ، وأدت على قسم كبير من أشجار الزيتون : والبقية الباقية من هذه الأشجار قضى عليها الأتراك عند ما انخرطوا في الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) . واحتاجوا إلى وقود يسيرون به قطاراتهم .

وأشهرت القدس في العهد التركي ، بصناعة العلب والأدوات المدرسية والبصائع الدينية من خشب الزيتون ، أو من الصدف ، والشمع المختلفة . وكانت هذه تباع إلى الحجاج الذين يغدون من كل حدب وصوب بقصد زيارة الأماكن المقدسة .

وكانت القدس مركزاً تجاريّاً هاماً ، يصدر القمح منها إلى إنجلترا وبعض البلاد الأوروبيّة . وكذلك قل عن السمسم والصابوون وزيت الزيتون . وأما البضائع التي هي في حاجة إليها فقد كانت تستوردها من أوروبا عن طريق مرسيليا وترستا . كالبضائع الصوفية والخزيرية ، والخمور . والرجاج ، والختب ، وما إلى ذلك من الآثار المترجل . وكانت المعاملات التجارّية كلها تجري عن طريق الأمانة والشرف والاتفاق الشفوي . فلا عقود ، ولا صكوك ، ولا سمسرة ولا تسجيل . وكان في القدس (١٨٧٦ م) ألف وثلاثمائة وعشرون دكاناً . يشتغل فيها ١٩٢٠ رجلاً يعتبرون من أرباب الحرف والصنائع والمهن : — ٨٠٧ منهم مسلمون و ٥٠١ يهود و ٣٥٧ روم أرثوذكس و ١٤٦ لاتين و ٦٩ أرمن و ٤٠ بروتستانت .

والضرائب التي يدفعها السكان ستة أنواع . هي :

(الويركوا والمسقطات) تجيء من أصحاب الأملال (١٨٨٦ م) بنسبة أربعة في الألف عن الأرضي وخمسة في الألف عن الدور المعدة للسكن إذا كانت قيمتها دون العشرين ألفاً ، وثمانية في الألف إذا كانت فوق العشرين ألفاً ، وعشرة في الألف عن الدسكاتين والدور المعدة للإيجار . ثم أضيف إلى ذلك ستة في المائة باسم التجهيزات العسكرية (١٩٠٨ م) . وبعد حرب البلقان (١٩١٢ م) أضيف خمسة في المائة على ضريبة الأرضي لتفطية العجز الذي طرأ على موازنة الدولة . ثم أضيف إليه ٢٥ % باسم الأسطول .

و (ال العشر) يجيء من أصحاب الأرضي والمزارعين بنسبة عشرة في المائة من حاصيلتهم الزراعية . ثم زيدت هذه النسبة فجعلت $\frac{1}{2} ١٢\frac{1}{2}$ في المائة . وكانت الحكومة التركية تجيء العشر بوساطة الملتمين ، وجعلهم — إن لم تقل كلهم — من أرباب الإقطاع . وكثيراً ما كانوا يظلمون .

و (ضريبة الأغذام) ضريبة قديمة العهد . تجيء عن الأغنام والبهال المعدة

للنقل بنسبة قرش ونصف عن كل رأس من الغنم . ثم زيدت هذه النسبة إلى قوشين ونصف القرش ، فللي ثلاثة قروش ؛ ثم إلى أربعة ، فخمسة . وأما عن البخل فكانت الحكومة تحصل في بادئ الأمر عشرة قروش تركية . ثم زيد هذا المبلغ فأصبح ثلاثة عشر قرشاً و ٢٠ باره . ويحصل مثل هذا الرسم عن الخنازير . وأما الخيل والخيول والثيران والسيوال المعدة للحرث ، والأغنام المولودة في بحر السنة فقد كانت معفاة من الضرائب .

و (ضريبة التصنيع) كانت تجيء من التجار وأرباب الصناعات وأصحاب المهن بنسبة أرباح كل واحد منهم . إلا أنها كانت ضئيلة للغاية . وكانت بمعدل يتراوح بين اثنين وعشرة في المائة من الدخل السنوي .

و (ضريبة العملة المكلفين) كانت تفرض على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر . وكان على المكلف أذ يدفع ستة عشر قرشاً تركياً في السنة ، أو يشتغل في تعبيد الطريق ثلاثة أيام .

و (ضريبة المعارف) تجيء بنسبة خمسة في المائة من قيم المسقفات . وكانت هذه تجيء مع الوركوة في وقت واحد .

و (المسكرية) ضريبة كان الأتراك يحصلونها من الذميين الذين لم يعتنقوا الإسلام ، ويكونون في سن الحشمة ، لقاء إعفائهم من الخدمة في الجيش . وكانت هذه تحصل بنسبة ٢٨ قرشاً عن كل شخص في السنة .

وهناك (الجزية) كانت في أوائل العهد التركي تحصل من أهل السنة . وكانت هذه تفرض على الأغنياء والمتوسطين والفقراه بدرجات مختلفة . فالغنى يدفع في السنة أحد عشر قرشاً ، والمتوسط خمسة قروش ونصف القرش ، والفقير قوشين ونصف القرش .

و (ضريبة الغفر) يدفعها الحجاج الذين يقدون إلى البلاد بقصد زيارة الأماكن المقدسة من يهود ونصاري ، يدفعونها عند وصولهم إلى ثغر يافا . وكانت

هذه عبارة عن سبعة قروش أسدية ونصف القرش عن كل شخص . نصفها للدولة والنصف الآخر للأشخاص الذين يرافقون المسجاج في طريقهم بين يافا والقدس .

ويظهر أن السلطة المركزية في القسطنطينية كانت تفرض على الزعماء وأرباب البيارات في القدس ، فضلاً عن الضرائب المتقدم ذكرها ، مبالغ يؤدونها إلى الجيش ، وقد بلغت هذه ، سنة ١٨١٣ للميلاد ، ثلاثة عشر ألفاً وعشرين قرشاً تركي أرسلت كلها للأسنانة .

وبلغت واردات سنجق القدس من الضرائب المتقدم ذكرها سنة ١٩١٠ للميلاد ثلاثة ألف ليرة تركية . صرفت كلها على القدس وقرها : رواتب للموظفين ، ونفقات للطرق والتعليم ، والصحة ، والمستشفى ، ودار الأيتام ، والزراعة ، والشؤون الأخرى . وكانت مالية سنجق القدس المستقل .

وما كان في القدس ، أثناء الحكم التركي ، أندية ولا جمعيات . ولا كان فيها من يفكّر بالسياسة . لا ، بل ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب ما كانت عليه القدس في عهد إبراهيم باشا ، ومقاومة المقدسيين له ، رغم ما قبل منه بأنه كان يرجي إلى تكوين وحدة بين الأقطار العربية .

وينقذ العرب على ما هم عليه من حب للأثراك وتمسك بالفكرة الإسلامية حتى الانقلاب العثماني (١٩٠٨م) الذي أقيم على أساس من الحرية والإخاء والمساواة بين جميع عناصر المملكة من ترك وعرب وأرمن ويونان وأكراد وألبان . ولكن سرعان ما اتقلب الآية ، فشعر العرب أن رجال (تركيا الفتاة) لا يريدون بهم خيراً ، لا بل راح هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم في تقدم العنصر التركي عملاً بروحى الفكرة القومية الطورانية .

عندئذ بادرت بوادر الخلاف العنصري بين العرب والترك ، ونما حب الاستقلال في أفئدة العرب . فتألفت في أواخر العهد العثماني جمعيات عربية عديدة في

الأسنانة وباريز والقاهرة وفي بيروت والبصرة وبغداد والشام . بعضها كان يعمل بالنهار والبعض الآخر باللغاء . وكان لبعض هذه الجمعيات فروع في القدس ، وإنضم إليها سواء في المراكز أو في الفروع عدد من أبناء بيت المقدس .

وكانت هذه الجمعيات تكتفى في بادئ الأمر بطلب الإصلاح الإداري ؛ على أن يمنع العرب بعض الامتيازات في الإدارة واللغة وفي الخدمة العسكرية . ولما رأى الزعماء العرب أن الأتراك المهيمنين على الإدارة يخاطلون ، راحوا ينادون بصرامة أنهم يبغون الاستقلال ، ولا يرضون عنه بدلاً .

فاعتزم الأتراك البطلش بهم ، وعهدوا بهذه المهمة إلى أحد قادتهم جمال باشا ، وكانتوا قد انتدبوا لقيادة الجيش الرابع في سوريا (١٩١٤م) ؛ فالف في «عالية» من أعمال جبل لبنان ديواناً عسكرياً عرف فيها بعد بديوان عالية . وساق إلى هذا الديوان معظم رجال الحركة العربية .

فعُلِّمُ هؤلاء ، وحُكِّمُ على بعضهم بالسجن أو التف ، وعلى البعض الآخر بالإعدام شنقاً . ولقد نفذ حكم الإعدام بفريق من رجالات العرب في بيروت ، وفريق آخر في الشام وفي القدس .

وكان بين الذين أعدموا أربعة من الفلسطينيين هم : حل الشاشبي (من القدس) وأحمد هارف الحسيني ولده مصطفى (من غزة) وسليم عبد الهادي (من نابلس) .

ولم يكتف جمال باشا بعد الذين شنقهم أو سجنهما وتفاهم من أحوار سوريا وفلسطين ، فقد فرض الحصار على البلاد من الناحية الاقتصادية ، فانقطع القمح عنها ، كما انقطع معظم المواد الغذائية التي كانت ترد إليها من الخارج ، ولم بالبلاد كلها ولا سيما بلبنان ، كرب شديد من جراء هذا الحصار ، ثُمَّات على إثره خلق كثير .

ولما كان الظلم مرصده وخيم . وكان الضغط يولد الانفجار ، ظهر ما فعله

الأتراك بالعرب أدى إلى قيام الثورة ، وقد أودى ثارها الشريف حسين بن علي (١٩١٥ م) . وما كاد هذا يطلق الرصاصية الأولى حتى لجى نداءه العرب في مختلف أقطارهم ، وكان بينهم عدد كبير من الفلسطينيين فروا من ملتهم ومن الجيش التركي الذي كانوا قد انتسبوا إليه بعد الحرب . فريق منهم التحق بجيش الشريف رأساً ، وفريق التحق بالجيش الإنجليزي المخالف له . وكانت المخابرات قد انتهت بين الشريف حسين وبين مكماهون ، وحصل الشريف بموجها على مهود رسمية من الإنجليز باستغلال بلاد العرب إذا انتهت الحرب بنصرهم .

وكانت النتيجة أن خسر الأتراك الحرب وانتقلت القدس من أيديهم إلى أيدي الإنجليز . وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر كانون الأول « ديسمبر » سنة ١٩١٧ م ، كما ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب .

الباب الخامس

الاحتلال البريطاني

حملة قناة السويس وأحتلال القدس — الإدارة العسكرية — الإدارة
المدنية — المندوبون السامون — الضرائب في عهد الاحتلال البريطاني

القدس والاحتلال البريطاني

(P 192V - 193V)

احتل الجيش البريطاني القدس في 9 كانون الأول 1917 م. دخلها عنوة وكان يقوده السر إدموند التنجي Sir Edmund Allenby فانقلت القدس بهذا الحدث التاريخي من يد الأتراك إلى يد الإنجليز بعد أن مكنت في حوزة الأولين أربعة قرون صاح .

ولكى أعطيك أيها القارئ ، فكرة صحيحة عن الأسباب التي أدت إلى احتلال القدس أرى من المفيد أن أرجع بذلك ثلاثة أعوام إلى الوراء ، مستعرضاً الحوادث التي جرت بين الفريقين في هذه الجهة من جبهات القتال التي تكونت خلال الحرب الكونية الأولى (۱۹۱۴ - ۱۹۱۷ م) . فأقول :

عند ما نشبت الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) ووقف الإنجليز وأعداؤهم الأتراك وجهاً لوجه ، رأى الأتراك من مصلحتهم أن يقفوا إلى جانب الألمان ، لأن يهدروا الإنجليز . وقد وضعوا نصب أعينهم ، وبذرياع من حلفائهم الألمان ، سر . لا يقصدون احتلالها . وإنما هم يقصدون شغل الإنجليز المرابطين فيها (١) . هذا فضلاً عن أنهم كانوا يعتقدون أن المصريين لا بد وأن يثوروا على الإنجليز بمجرد اقتراب الكتاب التركية من قناة السويس ، فتعرقل بثورتهم وبرابطه الأتراك على ضفاف القناة وسائلن القتل بين بريطانيا والهند .

وَهُذَا ساقوا إِلَيْهَا ثلَاثاً مِنْ فرَقَهُمُ النَّظَامِيَّةِ وَعَدْدًا كَبِيرًا مِنَ الْمَطْوُهِينَ .

ولقد زود الآثارك فرقهم بعدد من المدافع الثقيلة والرشاشات والبنادق سريعة

(١) (فلسطين جبهة س) لوزارة الحرب التركية .

الطلقات . كما زودوها بعدد من الحيوانات بينها ٩٦٨ حصاناً و ٣٢٨ ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء ، و ٧,٠٠٠ جمل لنقل الذخائر والمؤن . ووضعت الحملة كلها^(١) تحت إمرة جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع . يساعدته ضابط ألماني كبير هو رئيس الأركان الرعيم قرس فون فرستشتاين .

شرعت كتائب الأتراك في الزحف في مطلع شهر كانون أول ١٩١٤ . غيرت الحدود . عند رفع . واجتازت مصراء سيناء دون أن تلقى أية مقاومة من الإنجليز . ذلك لأن هؤلاء كانوا قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية للقناة ، بقصد الدفاع عنها . ولم يتمكن الأتراك من عبور القناة . وهكذا انتهت حملتهم الأولى بالفشل . فارتدوا تاركين ورائهم ألفاً وثلاثة قتيل ، وعددًا كبيراً من الإبل التي نفقت بسبب المعر والتعب .

وكذلك قل عن الحملة الثانية التي قاموا بها في شهر نيسان ١٩١٦ م . والتي كانت مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ جندي وكانت خسائر الأتراك في هذه المرة ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير .

وانقلب الوضع ، بعد هذه الحملة ، فبعد أن كان الأتراك مهاجمين أصبحوا مدافعين . وراح الإنجليز يتأنبون لغزو فلسطين^(٢) . وأحدوا لذلك جيشاً قبل إنه كان مؤلفاً من ٧٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائد كبير هو السير أرشيبالد موري Sir Archibald Murray .

وكان أول عمل قام به هذا القائد ، أن مد سكة حديدية عبر الصحراء ، وجر مياه النيل في أنابيب حديدية إلى ميادين القتال .

فانسحب الأتراك من العريش (٢٠ كانون أول ١٩١٦ م) إلى غزة . وأخذوا يتأنبون للدفاع عنها . فمحصنتها تحصيناً تاماً . ولقد قامت فيها معركتان :

(١) بلغ مجموع أفراد الفوج التي زحفت نحو قناة السويس في بدء القتال ١٢٦٤٢ جندياً .

"The Palestine Campaign" by Colonel A. P. Wavell. (٢)

الأولى في ٢٧ ذار ١٩١٧ والثانية ، في ١٩ نيسان ١٩١٧ . واتهت كلتاها بفشل الإنجليز فخسروا في الأولى ٢,٧٠٠ قتيل و ٢,٩٣٢ جريحاً . وفي الثانية ٢,٠٨٥ قتيلًا و ٤,٣٥٩ جريحاً . وأما خسائر الأتراك فكانت في المعركتين ١,٧٥٠ بين قتيل وجريح .

استبدل الإنجليز ، إثر هذا الفشل ، بعض قادتهم . وعهدوا بالقيادة العامة (حزيران ١٩١٧ م) إلى السر إدموند الثاني . وطلب هذا منحه سلطات واسعة ، فأعطى كل ما طلب . وأعاد الثاني تنظيم القوات التي وضعت تحت إمرته بشكل يضمن له النصر . وبلغت هذه مئة ألف مقاتل .

ولم يكن الأتراك بغافلين عما يفعله الإنجليز . إذ أنهم ، عند ما أتيهم أيام الاستعدادات الإنجليزية ، تبادلوا . فعقلوا في حلب (٢٧ حزيران ١٩١٧ م) مجلساً حربياً حضره أكبر القواد نله كر منهم : القائد العام أنور باشا ، وقائد جيش القفقاس أحمد عزة باشا ، وقائد الجيش الثامن مصطفى كمال باشا ، وقائد الجيش السادس خليل باشا ، وقائد الجيش الرابع جمال باشا . الذي عهد إليه بتنفيذ الخطة المرسومة . وهي تقضى بإخضاعة الجيشين السابع والثامن من جيوش الصاعقة إلى الجيش الرابع الذي كانت على أكتافه تقوم حملة فلسطين إلى ذلك الحين .

ولكن حالة الجيش التركي لم تكن ، رغم هذه التدابير ، لترضى المطلعين على حقائق الأمور . فقد كانت أرزاقه قليلة ، ووسائل نقله ضعيفة . وفتك الأمراض بالجندي فتكاً ذريعاً ، إلى درجة أن عدمه كان يتناقص يوماً ليوماً . ولقد صودرت السجوب المعدة للزراعة . وذلك قد أدى إلى حدوث مجاعة في البلاد . أخفف إلى ذلك أن فكرة الاستقلال كانت قد انتشرت بين عرب فلسطين والبلاد العربية الأخرى ، وكانت أخبار ثورة الحسين قد وصلتهم عن طريق المنشير التي أذاعها الحسين بن علي شريف مكة ، وكانت الجمعيات

العربية القومية دائمة على حض العرب على مقاومة الأتراك والانضمام إلى الثورة، وكان الاستياء قد عمّ البلاد العربية بسبب التدابير القاسية التي اتخذها جمال باشا ضد رحالات العرب الذين شنق منهم من شنق في بيروت والقدس والشام . وراح الشبان يفرون من الجيش التركي ، والتتحقق فريق منهم بالجيش البريطاني ، وأخرون بالجيش الذي كان يقوده الأمير فيصل بن الحسين . وكان أبوه الملك حسين بن علي شريف مكة ، قد أعلن الثورة على الترك .

وكان اللورد اللنبي قد أتم استعداداته ، وحشد جيشه فأمر بالزحف نحو القدس . فاستولى ، بادي ذي بدء ، على بُر السبع (١٣ تشرين أول ١٩١٧م) ثم على غزة (٧ تشرين ثاني ١٩١٧م) والرملة ويافا (١٦ تشرين ثاني ١٩١٧م) ومن الرملة سار في الطريق نفسها التي سلكها من قبله الأشوريون والرومانيون والمصليبيون نحو الجبال في طرق وحرة الملك . . .

فأدت بعض كتاباته على طريق (الطرون — باب الواد) في اتجاه سريس وقرية العنب ، وبعض الآخر على طريق الطرون — رام الله ، في اتجاه لقبا وبيت حور . وهناك كتاب أمرت بأن ترابط على طريق بُر السبع — انطليط لبابية الطوارى في ذلك القطاع .

أما سريس فقد احتلها الإنكليز في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م . وكذلك كل من قرية العنب التي دخلوها في اليوم الذي تلاه . وما هو إلا يوم أو بعشر يوم حتى كانت إحدى الكتاب قد احتلت قرية النبي صمويل . تلك القرية المسقطة على قطاع القدس ، بسبب ارتفاعها و蔓اعة موقعها . وكانت هذه القرية ، وما بربت إلى يومنا هذا ، في نظر المسكرين بمنابع (مفتاح القدس) . ولكن الإنجليز لم يستطيعوا أن يتقدموا بعد ذلك شبراً واحداً ، بسبب عتاد الأتراك في هذا القطاع ، وتغليمهم على فرقة من الفرسان الإنجليز كانت تحاول شق طريقها إلى بيروت . وقد أرتدت هذه الفرقة إلى بيت حور الفوقا . ثم هاجرت

فارتدت هي والفرق الأخرى إلى الوراء . فأصدر اللورد النبي أوامره في ٢٤ تشرين الثاني بعدم القيام بأى هجوم ، ريثما تأتيه النجدية . وكان الأتراك من القوة في هذا القطاع ، بحيث لا يمكن زحزحهم . وهكذا غسل المجموع الذي شنه الإنجليز على القدس عن هذه الطريق ، وهو المجموع الأول .

وكذلك قل عن المجموع الثاني الذي قاموا به في ٢٧ تشرين الثاني رغم القوات الجديدة التي كانت قد وصلت .

عندئذ غير الإنجليز الخطة التي كانوا قد رسموها للقتال . فقووا ككتائبهم المرابطة في النبي صمويل . كما قووا ككتائبهم المرابطة في طريق العتب — القدس ، وفي وادي الصرار ، وحمل الطريق بين بُر السبع — الخليل . . .

واقترف الأتراك خطأ كبيراً خلال الأيام العشرة الأخيرة التي سبقت احتلال القدس . إذ أنهم بدلاً من الثبات في خنادقهم ورد الغارات التي كان يشنها الإنجليز عليهم ، راحوا يقرون بهجمات مضادة أنهكت الجزء الأعظم من قواهم . رغم أن عدد الجيش التركي المرابط في قطاع القدس كان يومئذ قد بلغ ١٥٠٠٠ مقاتل ، معظمهم كان مشغلاً بتحصين التلال الواقعة غربي القدس . إلا أن اليأس كان قد دب في صفوفهم بسبب البرد والبرد وقلة الطعام والماء . فاحتل الإنجليز الفرصة السانحة . وأتوا بدفعه وتجددات جديدة فتمكنوا من احتلال بيت أكسا والتلال الكائنة حولها ، كما يمكننا من احتلال دير يسرين ، وكانوا قد استولوا على مواقع استراتيجية أخرى إلى الشرق من وادي الصرار . وكانت بعض ككتائبهم قد وصلت إلى قطاع بيت لحم ، واحتلت عين كارم . وراحت مدافعهم تضرب القدس من جهاتها الثلاث : الشمال والغرب والجنوب . فلأيقن الأتراك حيثما أنهم خسروا المعركة ، وأن القدس لا عالة واقعة بيد الإنجليز .

عندئذ نادى المتصرف التركي عزة بك عدداً من أهيان المدينة ووجوهها

إليه ، فأنبئهم بحقيقة الأمر . وحلهم الرسالة التالية :

إلى القيادة الإنجليزية

منذ يومين والقناصل تساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة . فالحكومة العثمانية - مخافة على الأماكن المقدسة الدينية من الخراب - قد سحب عساكرها من المدينة وأقامت موظفين ليحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى . وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم أيضاً على هذا الوجه ، فإلى أبعث بهذه الورقة مع حسين بك الحسيني رئيس بلدية القدس بالوكالة سيدى .

٣٣٣/١٢/٨

وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة . فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وأخرون ولدوا وجوههم شطر نابلس . وكانت السماء ماطرة . وكان يجتمع على المدينة سبب قاتمة من الرهبة والسكون . فدخلتها الإنجليز (الأحد ٩ كانون أول « ديسمبر » ١٩١٧ م) . دخلوها عن طريق الشيخ بدر ، الذي الكائن إلى الغرب من المدينة .

وبعد يومين دخل اللورد اللنبي المدينة من بابها المعروف بباب الخليل وأذاع من فوره على سكانها ، ومن على درج القلعة ، البيان التالي :

«إن انهزام الأتراك أمام الجنود الذين أقودها أدى إلى احتلال مدينتكم وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا الشأن أعلن الأحكام العرفية . وسيبقى هذه تأفة المفعول ما دام ثمة ضرورة حربية . ولنلا ينالكم الجروح ، كما نالكم على يد الأتراك ، أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله ، وفقاً للقانون دون أن يخشى أى تدخل من أى شخص كان .

«إن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى . وتراها مقدس في نظر الحجاج والمعبددين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ

قرن وأجيال وأود أن أحبطكم علماً بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستchan وفقاً لامتنانات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التي تملكها .

وكان أول عمل قام به الإنجليز ، بعد احتلالهم المدينة . أن نصبوا عند مدخلها من الغرب . ذلك المدخل الذي دخلوها منه . وهو المعروف بجى الشيخ بدر . نصباً من الرخام الأبيض تذكراً لفتحهم . نقشوا عليه اسم الورد النبي والتاريخ الذي فتحت فيه المدينة على يده . وأنشأوا حول النصب حديقة . وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليباً . إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود . ووضعوا الصليب بشكل لا يراه الناظر من بعيد .

الإدارة العسكرية

أدار الإنكليز القدس ، بادئ ذي بدء ، إدارة عسكرية . وأقاموا عليها حاكماً عسكرياً هو الجنرال بيل بورتون Gen. Bill Burton . واستقال هذا بعد أسبوعين لأسباب صحية . فخلفه في الإدارة السرالكونستلر بيرد Sir Alexander Baird ثم جاء السر رونالد ستورس . وكان هذا ، قبل مجئه للقدس ، السكرتير الشرقي لدار المندوب السامي في القاهرة . ومكث في القدس عدداً من السنين . وكان في القدس ، بالإضافة إلى حاكها الإداري ، موظف عسكري كبير مسؤول عن إدارة فلسطين يأبهها لقبه (المدير العام لبلاد العدو المحتلة الخنزيرية) .

كان أولهم البريجadier كلابتون ١٩١٧ والميجور جنرال السر مول ١٩١٨ والميجور جنرال السر وطن ١٩١٩ والميجور جنرال السر بولز ١٩٢٠ . وفيها كان سكان البلاد يتوقعون أن يمهد إليهم بإدارة بلادهم رأوا ، وبما هم مارأوا ، أن هذه البلاد راحت ، حتى بعد إعلان الحكم المدني ، تدار بأيدٍ إنجليزية . وراح الإنجليز يفرضون على الشعب من الضرائب ويسنون من القوانين ما يشاءون لا ما يشاء الشعب نفسه وما تفرض به مصلحته .

وما لبث الشعب العربي أن سمع بوعد بلفور . ذلك الوعد الذي منحه الإنجليز على لسان وزير خارجيهم اللورد بلفور إلى اليهود بوساطة زعيمهم روشيلد . إذ أرسل إليه كتاباً قال فيه :

عززي اللورد روشيلد .

يسري جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قوي للشعب اليهودي في فلسطين وتبدل الجهد في سبيل ذلك . على أن لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من المدن .

والغريب في الأمر أن هذا الوعد الذي أعطى بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بقى في طي النفاء ، فلم يدع إلا بعد أن احتل الإنجليز القدس في ٩ كانون أول ١٩١٧ ووضعت الحرب أوزارها ، ولم يعد الإنجليز في حاجة لرضا العرب سكان البلاد .

فراح هؤلاء يتساءلون : أين هذا من الوعد الذي قطعه إنجلترا للملك حسين يوم طلب منها مكافأة لقيامه ضد الأتراك . وأن تعرف باستقلال البلاد العربية من مرسين حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرةجنوباً ، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غرباً(١)... لا بل أين هو من الثورة نفسها التي أعطاها

(١) رضي الملك حسين في المقابلات التي جرت بينه وبين السر هنري مكاوهون المندوب البريطاني في مصر ، بين ٢٤ تموز ١٩١٥ و ١٠ آذار ١٩١٦ م ، باستثناء عدن وأملاة ومرسين ، وإخراج هذه المدن من نطاق البلاد العربية التي طالب باستقلالها . ووافق على إرجاع البحث في أمر العراق على أن ينت هذه تحت الإدارة الإنجليزية لمدة تeshire . وأسر الإنجليز كما يفهم من المقابلات المنسوبة إليها على استثناء لبيان الكبير والاعتراف بما حلليتهم فروا من معالج في ذلك المجزء من البلاد . وطلبو أن يعترف بما لم من مركز عاصق في ولائي بغداد والبصرة . ولم يرد في تلك المقابلات ما يشير إلى أن الإنجليز استثروا فلسطين من ودهم أو أنهم ينورون إنشاء وطن قوي للهود فيها أو أنهم يريدون إدارتها مباشرة .

الحسين بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩١٦ والتي قال عنها اللورد الانجلي في تقريره الذي رفعه إلى وزارة الحربية فور انتهاء القتال : «إنها ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب».

وما كادت أنباء وعد بلغور والوطن القومي اليهودي تذاع في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين ، حتى راح الناس يعلنون خطفهم واستنكارهم . وترعرعت ثقفهم ببريطانيا . فقامت في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية مظاهرات صارخة . وتحولت هذه المظاهرات في بعض الأماكن إلى اضطرابات دموية . وعقدت الجمعيات الإسلامية المسيحية في يافا مؤتمراً (١٢ شباط ١٩١٩م) . قررت فيه الانضمام إلى سوريا .

وحيطت البلاد في ١٠ حزيران ١٩١٩ بلجنة أميركية بعث بها مجلس الحلفاء الأعلى لاستفتاء السكان ، وكان من المقرر أن تشارك كل من بريطانيا وفرنسا في عملية الاستفتاء هذه عملاً بالقرار الذي أصدره مؤتمر الصلح في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ ، وذلك تنفيذاً للمادة ٢٢ من ميثاق حصة الأمم . إلا أنها لم تشارك في الاستفتاء . لأن مبدأ الاستفتاء يتعارض ومعاهدة سايكس - بيكر ، تلك المعاهدة السرية التي اقسمت هاتان السلطان بموجبها بلاد العرب . وكانت نتيجة الاستفتاء ، كما جاء في تقرير هذه اللجنة ، أن اتفق المسلمين والمسيحيون على مقاومة الحركة الصهيونية ، فرفضوا الانتداب البريطاني ، وطلبوا إلغاء وعد بلغور كما طلبوا الاستقلال التام ضمن الوحدة السورية . وإذا كان لا بد من الانتداب ، فلتكن الدولة المتقدمة أميركا وليس بريطانيا التي منحت اليهود

نعم شاء التفصيل فعليه أن يرجع إلى المآشيرات التي جرى بين الملك حسين والرسنيري مكاسبه بين ٢٤ تموز ١٩١٥ و ١٠ آذار ١٩١٦ وهي ذكرها في معظم المقارير والمؤلفات التي نشرت بعد الحرب .

وعداً بإقامة وطن قوي لهم في فلسطين . وقد أكدوا اللجنة أن إقامة مثل هذا الوطن ستؤدي في النتيجة إلى تهديد البلاد .

وأيدت اللجنة في تقريرها مخاوف العرب قائلة إنها اقتضت من أصحابها مع مثل اليهود أن الصهيونيين يتوقعون أن يجعلوا السكان غير اليهود عن فلسطين . وأضافت إلى ذلك قولها إن الشعور ضد الصهيونية بلغ أشدّه ، وإن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة ، وإن هذه القوة يجب أن لا تقل عن خمسين ألف جندي ، وإن مطالب الصهيونيين مبنية على كونهم احتلوها قبل ألف سنة ، وهذه دعوى لا تستحق الاعتراض .

وأوصت اللجنة في ختام تقريرها بتحديد المجرة إلى فلسطين ، والعدول بتاتاً عن النقطة التي ترى إلى جعل فلسطين دولة يهودية .
هذا ويحضر بنا أن نذكر هنا أن موقف بريطانيا وفرنسا حيال هذه اللجنة كان موقفاً عدائياً .

فترزعت ثقة الناس ببريطانيا وتتوالت المظاهرات ، وتحولت هذه في ربيع عام ١٩٢٠ إلى اضطرابات كان أشدّها ذلك الاضطراب الذي حدث في القدس ، في ٤ نيسان ١٩٢٠ م . فقتل من جرائه ٩ من اليهود و ٤ من العرب . وخرج ٢٥٠ يهودياً و ٤١ عربياً . فأعلنت على أثره الأحكام العرفية . واعتقلت السلطة عدداً من الزعماء والشبان ، فجزتهم في أعماق السجون . وتألفت محكمة عسكرية بعدها حكمت عليهم بالسجن مدة تتراوح بين الشهر والخمسة الأعوام . وكان نصيب كاتب هذه السطور ورفيقه الحاج أمين الحسيني أن حكم عليهم أولاً بالإعدام ، ثم خفض الحكم إلى السجن عشر سنين .

وفي اليوم الأول من شهر تموز ١٩٢٠ استبدل بالحكم العسكري إدارة مدينة ونصب على رأس هذه الإدارة أول مندوب سام للملك جورج الخامس وهو السر هربرت صمويل P.C.G.B R . Sir Herbert Samuel P.C.G.B R .

ولقد هبط هذا مدينة القدس تحرسه الطائرات والدبابات خشية أن يقتاله العرب ، إذ أنه يهودي إنجليزي . وهو من أقطاب الحركة الصهيونية ، وإن قال في كثير من المناسبات ، إنه يقف على الحدود بين العرب واليهود ، وإنه لا يعني سوى خير الفريقين . ولكن يقترب من العرب عفواً عن الحكم عليهم كلهم خلا عارف العارف والخاج أمين . فإنه كما قال في بيانه الذي أذاعه على الجمهور يوم هبط البلاد رأى أن لا يغفر عنهم إلا إذا سلما نفسهم للعدالة البريطانية . وكانا بعيدين عن متناول السلطة فلم يأبهما لقوله . ولم يستسلموا . لا بل راحا يضاهيان من جهودهما لخدمة قومهما وبلامهما . ثم عاد ، فعفا عنهم دون قيد أو شرط .

ولقد ازداد التوتر في البلاد ، فحدثت في يافا اضطرابات أدت إلى اقتتال العرب واليهود ، فأقتلت المدينة . وسادت الفوضى ، وأمتدت لمبادلة اضطرابات إلى المستعمرات اليهودية . فقتل من جراء ذلك ٩٥ قتيلاً (٤٨ من العرب و٤٧ من اليهود) وجروح ٢١٩ شخصاً (٧٣ من العرب و١٤٦ من اليهود) وتألفت بلجنة برئاسة قاضي القضاة السر توماس هيكرافت للتحقيق في أسباب هذه الاضطرابات . فقالت هذه في تقريرها إنها ناشئة عن الشعور السائد في البلاد ضد اليهود . وهذا ناشيء عن خطة الحكومة فيها يتعلق بالوطن القوي .

ومع ذلك فقد مضت السلطة المنتدبة في تدابيرها القاسية لأحمد من الشعور الوطني ولتوطيد دعائم الوطن القوي اليهودي لا في يافا أو في القدس وحدهما ، وإنما في فلسطين كلها . من ذلك أنها في الوقت الذي راحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح وتذرّعهم على القتال ، حضرت على الأهلين حل السلاح واستعماله ، وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والإعدام .

وجعلت اللغات الثلاث ، العربية والعبرية والإنجليزية ، لغات البلاد الرسمية . وفتحت باب الهجرة لليهود . فدخل فلسطين منهم في السنوات الخمس الأولى خسون ألفاً . ويعني ذلك أن عددهم تضاعف في عهد المنصب السامي

الأول فأصبحوا مئة ألف . وانختار معظمهم الإقامة في بيت المقدس . وبحل اليهود بشراء الأراضي كييفا يشامون ، فتضاعفت ممتلكاتهم . وأصبحت بنسبة ٦ إلى ٧ % من مجموع مساحة الأراضي الفلسطينية . وازدادت مساحة الأراضي التي تحملوها في القدس .

وحل عهد هذا المنصب ، عقد في القدس مؤتمر كبير (٢٥ حزيران ١٩٢١) . وقرر المؤتمرون رفض الانتداب وإلغاء وعد بلفور وطالبوا باستقلال فلسطين ، وإقامة حكم نيابي ديمقراطي فيها على أن تتحدد مع البلاد العربية الأخرى . وسافر وفد منهم إلى الغرب حاملاً معه هذه القرارات . ولم يترك الوفد في إنجلترا في سائر أنحاء أوروبا باباً إلا طرقه . ولكنّه وجد الأبواب كلها موصدة .

ولكي يلهي الشعب العربي عن فلسطين هدفه الأصيل راح يضرب الأحزاب الفلسطينية بعضها بالبعض الآخر . ولا سيما في القدس . فقد أقال موسى كاظم باشا الحسيني من رئاسة البلدية ووضع مكانه راغب بك الشاشبي . ووضع (١٩٢١ م) الحاج أمين الحسيني على رأس (المجلس الإسلامي الأعلى) وراحت هاتان الأسرتان وهذا من الأسر المعرفة بفلسطين تتنافسان من أجل الزعامة والتغود وسرى الانقسام إلى سائر الأمر والأحزاب . فانقسم الفلسطينيون بوجه عام والمقدسيون بوجه خاص إلى شطرين : شطر يقوده هذا ، وآخر يعتقد ذاك .

واهتب الإنجليز الفرصة ، فراحوا يقوون وسائل استعمارهم ، كما اعتبلاها اليهود ، وراسوا يوطدون دعائم وطنهم القوى الذي كانوا يهدّون من ورائه إلى امتلاك البلاد كلها ، لا القدس وحدها .

وفيما كان العرب في حيرة من أمرهم ماذا يفعلون ، أتتهم أنباء تقول إن عصبة الأمم (٢٤ تموز ١٩٢٢ م) فرضت على فلسطين نوحاً من الحكم أسمه (الانتداب) . ووجهت إلى بريطانيا إدارتها نيابة عنها ، على أن يبدأ هذا في

٢٩ أيلول ١٩٢٣ . وجاء في ديباجة صك الانتداب «أن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م بأن ينشأ في فلسطين وطن قوي للشعب اليهودي على شريطة أن لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ، ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى .»

ومنحت المادة الأولى منه «السلطة العامة للدولة المنتدبة في التشريع والإدارة إلا حيث أقيمت لها حادثة في تضمين صك الانتداب هذا» .

ونصت المادة الثانية من الصك نفسه على أن « تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القوي اليهودي وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان » .

عند ذلك أبى الفلسطينيون أن إنجلترا صديقة العرب خاتتهم ، وأن الاستقلال الذي كانوا ينشدونه والذي لواه ما خرجوا على الترك ولا انضموا لثورة المحسين ، دونه خرطه القباد .

ولقد عرضت الحكومة ، بعد ذلك ، مشروعها يقضي بإنشاء (مجلس تشريعي) على أن يؤلف هذا من ثلاثة وعشرين عضواً : أحد عشر منهم من موظفي الحكومة واثني عشر من الأهلين (عشرة من العرب واثنان من اليهود) ، وأن يرأسه المندوب السامي . فرفض العرب هذا المشروع (١ أيلول ١٩٢٢ م) لأن المجلس التشريعي المقترن لا يملك سلطة تنفيذية ، وليس له أن ينظر إلى آية تقطعة تعارض مبدأ الوطن القوي اليهودي ، ولأن قرارات المجلس « يتوقف تنفيذها على إرادة المندوب » .

ولما فشل مشروع المجلس التشريعي عرضت الحكومة على العرب (١٣)
(١٠)

تشرين الأول ١٩٢٣) مشروع آخر يقضي بتأليف وكالة عربية يكون لها ما للوكالة اليهودية من الحقوق والمزايا . إلا أنهم رفضوا هذا المشروع أيضاً ، لأنه لا يحقق الأمانة الوطنية .

ومضت السلطة البريطانية في تنفيذ التدابير التي رسمتها لتهويد فلسطين ، يترأسها اثنان من أقدر رجال اليهود هنا المندوب السامي السر هيربرت صمويل والمستشار القضائي للأرضيون نورمان بنتوبيش . فكان الثاني يسن الأنظمة والقوانين ، وكان الأول يوقع عليها ويأمر بتنفيذها .

وبفضل هذين الاثنين تمكّن اليهود من استغلال مراقبة البلاد . فألف بنحاس روتنبرغ ، وهو مهندس يهودي روسي ، شركة أسماها (شركة كهرباء فلسطين) . ونالت هذه الشركة (في ٢١ أيلول ١٩٢١) امتيازاً منحت بموجبه حق استغلال نهر الأردن واليرموك وروافدهما ، لتوليد القوى الكهربائية وإضاءة فلسطين (خلا القدس وقطاعها) بالكهرباء .

وأما القدس وقطاعها (رام الله وبيت لحم وبيت جالا) فقد ابتعاثت شركة إنجليزية يهودية أخرى حق إضاءتها بالكهرباء من رجل يوناني كان قد حصل على هذا الامتياز في العهد التركي .

وقصاري القول لم تدق القدس ، على عهد هذا المندوب ، طم الراحة . ولم تمر ، خلال السنوات الخمس التي قضتها في البلاد ، من الإصلاح والعمارة سوى ما قامت به (جمعية عبي القدس Pro-Jerusalem Society) . تلك الجمعية التي وضع أساسها في أيلول ١٩١٨ وقالت إنها تهدف إلى تحسين هذه المدينة المقدسة من الناحيتين العمرانية والأثرية ، والاحتفاظ بمحكماتها التاريخية . وكان رئيسها حاكم القدس في ذلك الحين ، السر رونالد ستورس ، وأعضاؤها خطيط من العرب واليهود والإنجليز . وهدمت هذه الجمعية معظم العمارت الملاصقة للسور بين باب العمود وباب الجديد ، وحضرت إنشاء العمارت على

مقررة من السور في أي مكان . وربطت الحكومة ، بإيمان من هذه الجماعة ،
شون البناء والتعهير بنظام .

وجاء بعد السر هربرت صمويل الفيلد مارشال بارون بلومر .

Field-Marshal Baron Plumer, G.C.P., G.C.M., G.C.G.V.O., G.B.E.

وكان ذلك في ١ آب ١٩٢٥ م .

فلم يختلف هنا بالشعب . وكان همه الوحيد توطيد الأمن والنظام في البلاد .
فأداتها إدارة عسكرية أكثر مما هي مدنية . وأكثر من توظيف الإنجليز في
 مختلف مصالح الحكومة ودوارتها . وطفي سبل الهجرة على عهده ، وحصل
 اليهود على امتياز لاستغلال البحر الميت .

ومن الحوادث التي حدثت في القدس على عهد هذا المنصب أن اشتاد
 الخلاف بين المسلمين واليهود (في شهر أيلول ١٩٢٥ م) حول البراق . إذ ادعى
 اليهود أن لهم الحق في جلب الكراسي والمقاعد والستائر معهم واستعمال هذه
 الأدوات أثناء تعبدهم هناك . وعارضهم المسلمون في ذلك فقالوا إن هذا المكان
 وقف إسلامي ، وأنهاء صلاح الدين لنفعة المسلمين . وكاد الخلاف يؤدي إلى
 قتال لو لا أن تدخلت الحكومة . فبحثت الخلاف من جميع وجوهه ، وأصدرت
 قرارها مؤيدة فيه الوضع الراهن . محظرة على اليهود أن يخلبوا معهم أي شيء
 يدعون .

وبعد الفيلد مارشال بلومر جاء السر جون تشانسلور

Lieut-Colonel Sir John Chancellor, G.C.M.G., G.C.V.O., D.S.O.

وعلى عهده تجددت حركة البراق . فلراد اليهود أن يتحلوا أمر الحكومة في
 المحافظة على الوضع الراهن ، فأتوا معهم في يوم عيد الغفران بعض الأدوات .
 فاعتبر الموظف المسؤول ذلك من المحدثات ، ورفعها بالقوة . وراح اليهود والمسلمون
 بعدها يتشاركون . وتندى المسلمين ، ففقدوا مؤتمراً إسلامياً في القدس (١ تشرين

الثاني ١٩٢٨). وقرر المؤمرون ، فيها قرروا ، الاحتجاج على أي عمل أو محاولة ترى إلى إحداث أي حق لا يhood في مكان البراق . وأرسل وزير المستعمرات البريطانية للقدس بخطبة أسمها (خطبة البراق) . وبعد تحقيق دام شهراً رفعت اللجنة تقريرًا^(١) يقول بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن . ولم يرض اليهود عن هذا القرار . لا ، بل راحوا يتحدونه . كما راحوا يتحدون العرب .

وأقعوا وكلاء الناج في لندن فحصلوا على امتياز لاستئجار البحر الميت واستخراج البوتاسي وسائر الأملال المعدينة فيه . وقد أنهى هذا الاتفاق في شهر حزيران ١٩٢٩ . والذي أمضاه وكلاء الناج بالنيابة عن حكومة فلسطين وشرق الأردن ، واثنان من أصحاب الأعمال اليهود هما نوسمكى وتولوخ ، باسم (شركة البوتاسي الفلسطينية) . وازداد عدد المهاجرين إلى فلسطين بمحنة وجود أعمال ، ونشط اليهود في شراء الأراضي .

وقامت في القدس ونابلس وبافا والخليل وفي مائر أنحاء فلسطين على إثر ذلك (في شهر آب ١٩٢٩) ثورة ضد الحكومة ، ضد الوطن القوى اليهودي مما . فاصطدم الفريقيان حيثما التقى . وقتل من اليهود ١٣٣ ومن العرب ٩١ (سبعة وثمانون منهم مسلمون وأربعة مسيحيون) وجروح من اليهود ٣٣٩ ومن العرب ١٨١ . وكانت أكثر إصابات العرب من الجند . ودمرت ست مستعمرات يهودية تدميراً تاماً .

وأدانت المحاكم ٧٩٢ عريباً بسبب هذه الثورة فحكمت على ٢٠ منهم بالإعدام . وخفض مجلس الملك الخاص حكم الإعدام ، فيما يتعلق بسبعة عشر عريباً ، إلى السجن المؤبد . وأعدم ثلاثة وهم عطا أحد الزير ، ومحمد خطيب جحروم ، وفؤاد حسن حجازي . واليهودي الوحيدة الذي حكم عليه بالإعدام بسبب قتلته أسرة عربية ، وهو موظف في قوة البوليس ، خفض حكمه إلى السجن

(١) الكتاب الأبيض رقم ٢٢٢٩ تاريخ تشرين الثاني ١٩٢٨

خمس عشرة سنة . ثم عُنِّ عنه . هذا من ٩٢ يهودياً صدرت بحقهم أحكام مختلفة .

وأرسلت الحكومة لجنة للتحقيق برئاسة السر والتر شو Sir Walter Shaw وثلاثة من الأعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة ، وبعثت اللجنة مدينة القدس . وبعد أن درست المشكلة الفلسطينية والأسباب التي أدت إلى الفتنة أصدرت قرارها في شهر آذار ١٩٣٠ (رقم Cmd. ٣٥٣٠) وقد جاء معظمها في صالح العرب . وإليك ملخصه :

١ - الفتنة نتيجة حتمية لخاتمة الهجرة . ومخالفتهم ناجة عن اعتقادهم بأن السياسة المتبعة بشأن الهجرة والأراء في ستودى حتى إلى إخضاع العرب الشام ، وإنحرافهم من بلادهم . كما أنها ستحرمهم يوماً من وسائل معيشتهم .
٢ - أن هذا الخوف وذاك الاعتقاد سيكونان سبباً في اضطرابات أخرى لا بد أن تقع في المستقبل .

٣ - أن الأزمة التي وقعت في سنتي ١٩٢٧ - ١٩٢٨ نشأت في الواقع بسبب قدم عدد من المهاجرين إلى البلاد أكثر مما تستطيع أن تستوعبه . وهذا ما قاله السر جون كامبل ، أحد الخبراء في مسائل الاستثمار الذين عينتهم لجنة الأبحاث العامة المشتركة . تلك اللجنة التي ألفتها الجمعية الصهيونية بالاشراك مع الرعاء اليهود غير الصهيونيين في أمريكا سنة ١٩٢٧ .

٤ - إذا أجبت اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال ٢٥,٠٠٠ مهاجر في السنة ، فلن يتم بضمير أكثرية في سنة ١٩٤٨ .

٥ - يتوقع اليهود إلى إيجاد دولة يهودية في فلسطين ، سواء في ذلك المتطرفون والمعتدلون . وإن اختلفوا في الطريق التي يجب السير عليها توصلـاً لهذه الغاية .

٦ - يجب أن تكون الهجرة إلى فلسطين متناسبة مع مقدرة البلاد الاقتصادية بحيث لا يصبح المهاجرون عبئاً على أهالي فلسطين - ويجب أن يؤخذ رأى

المؤسسات غير اليهودية في مسائل الهجرة .

٧ — أن التدابير التي اتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ، ومنها قوانين النقل الأراضي في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، لم تأت بالغاية المتمناة . فقد بقى عدد كبير من المزارعين ، بسبب انتقال مساحات واسعة من الأراضي العربية إلى أيدي يهودية ، بلا أرض يعيشون منها . وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

٨ — منحت بريطانيا العراق والأردن الحكم الذاتي ، وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بالغور . وهذا ما جعل العرب يعتقدون أن وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق أماناتهم القومية — وهم يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الوعد الذي قطعه مكتاهمون بالاستقلال يشمل فلسطين .

٩ — وقصاري القول أن الشعب العربي في فلسطين يطالب بحكومة ذاتية ، وهو متعدد في طبيته هذا . وأن شعور الأستياء الذي يسوده ناشيء عن حرمانه من حق الحكم الذاتي . وأن هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة . إذاً يجب على الحكومة أن لا تتجاهل ذلك عند ما تبحث في التدابير الواجب اتخاذها لاجتناب وقوع مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

هذا هو ملخص التقرير الذي رفعته بلجنة شو إلى الحكومة البريطانية . وبناء على توصية هذه اللجنة هبط القدس بعد قليل (أيار ١٩٣٠) السرجون هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الأراضي . وبعد أن درس الوضع درساً دقيقاً رفع إلى حكومته تقريراً ، جاء فيه :

- ١ — أن الأراضي التي يields العرب لا تكفي لسد حاجتهم .
- ٢ — أن الأسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج إلى ١٣٠ دونماً من الأرض لتمكن من القيام بأودها ، وهي لا تملك الآن سوى ٩٠ دونماً .
- ٣ — أن الأراضي التي يields اليهود تزيد على حاجتهم .

٤ - أن الأرض التي يشتريها اليهود من العرب ترقى بأيديهم إلى الأبد ، فلا يسعونها ، ولا يؤذرونها إلا إلى اليهود . وعندها تؤجر إلى يهودي يشرط عليه أن لا يستخدم أى عربي فيها .

٥ - يدخل البلاد سنوياً ، بالإضافة إلى المهاجرين الشرعيين ، عدد كبير من المهاجرين بطرق التهريب . وهذا يزيد مشكلة الأراضي سوءاً . وما كاد هذان التقريران يصلان إلى لندن ، ويدرسان فيها ، حتى أصدرت الحكومة الإنجليزية بياناً أوضحت فيه واجباتها ، والخطوة التي ت يريد أن تسير عليها في إدارة فلسطين وفقاً لصلك الانتداب . وقد أسمته (الكتاب الأبيض) ونشرته في عدد ممتاز من الجريدة الفلسطينية بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٣٠ وقد جاء فيه :

١ - المقصود من (الوطن القوي اليهودي) في فلسطين زيادة رق الطائفة اليهودية ، وليس معناه فرض الجنسية اليهودية على فلسطين إجمالاً .

٢ - من العبث أن يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بالهجرة والأراضي حسب أمانى المتطرفين من الصهيونيين . فإنها إذا ما فعلت ذلك ، تكون قد أخلت بوابتها إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين .

٣ - لا يمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

٤ - أن لاركالة اليهودية ، بموجب المادة ٤ من صك الانتداب ، حق النصح والمعونة ، وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .

٥ - يجب ، في الوقت نفسه ، إيجاد الوسائل التي تنهي بحسب السكان غير اليهود صيانة كاملة ، وأن يباح لدول مجلس الـ(٥٠) ^{International League of Nations} _{ترجمة من the Alessandria Library} كان أيضاً الفرصة لتقديم المشورة لحكومة فلسطين فيما يتعلق بثلاث المصانع .

٦ - أن الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقيين متقاربة .

- ٧ - إن حكومة جلالته ترى أن الوقت قد حان للسير في مسألة منع فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي . وبناء على ذلك فهي تتوى أن تشكل مجلساً تشريعياً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الاجتماعية والاقتصادية أمام الحكومة بوسائل دستورية .
- ٨ - ليس لي فلسطين في الوقت الحاضر أية أرض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد . ومساحة الأراضي الخلوة التي تحملها الحكومة ليست بما يعتقد بها .
- ٩ - أن السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيها يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتأجيرها لا تتفق مع التصريح الذي أدلى به المؤتمر الصهيوني في سنة ١٩٢١ بأن الشعب اليهودي يرغب في أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين .
- ١٠ - دخل البلاد كثير من الأشخاص دون أن يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) الالزمة لدخولهم . كما دخلها وبقى فيها كثيرون من سمح لهم بالإقامة الموقتة فقط . ذلك لأن الحكومة لا تراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .
- ١١ - يتحتم على الدولة المتدينة إما أن تخفض المهاجرة ، أو أن تقفها في الحالات الضرورية . ذلك لأن المهاجرة غير المحددة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لعيشهم .
- ١٢ - ليس ثمة أمل في تحسن العلاقات المتبادلة بين الشعرين ؛ لا ؛ ولا في تحقيق الوطن القوبي اليهودي ، إلا إذا توطدت الطمأنينة والرفاهية ؛ وبذلك يسود الرخاء والسلام في فلسطين .
- هذا ما جاء في الكتاب الأبيض ، ذكرناه بوجه الإيجاز . ولقد ركبت على أثره (وبعبارة أخرى إثر ثورة العرب في ١٩٢٩ م) المركبة الصهيونية . وبهبط عدد المهاجرين اليهود إلى المضييفين . لا ، بل نزح عن البلاد عدد كبير

من اليهود الذين جاجوا إليها بعد الاحتلال . ونشطت الميليشيات الوطنية العربية للمطالبة بالحكم الذاتي . فراحت تنادي يلقاء الاندماج ، ومقاومة الوطن القوى اليهودي . وراح العرب يقاطعون اليهود ، ويقاطعون بضائعهم ومنتجاتهم . وكانت القدس مركزاً لتحركات الوطنية ، يجمع الوانها .

ولكن الحكومة البريطانية ما لبثت أن نكصت على عقبها . إذ أصدر رئيسها آنذاك المستر رمزي مكدونالد بياناً (١٣ شباط ١٩٣١) عا فيه بحرة القلم ما جاء في الكتاب الأبيض . وذلك قد جعل العرب يعتقدون أنه لا خير يرجى من الإنجليز . وأن النصال يجب أن يوجه ضدهم قبل اليهود . واستقال المنذوب السامي السر جون شانسلور من عمله (٢١ آب ١٩٣١) إثر هذا التكoscus .

فخلمه المنذوب الرابع الفتنانت جنرال السر أرنور غرفيل واكمبوب

Lieut - General Sir Arthur Grenfell Wauchope, K.C.B. C.M.G. C.I.E.
D.S.O.

ولما هبط هذا القدس في أول أيلول ١٩٣٠ رأى أمامه بلاداً تintel على جر الثورات والقلائل ، وشعباً متقللاً بالفراش ، واستثناءً يشمل جميع الطبقات . فأبدى ، أول ما أبدى ، اهتماماً بال فلاحين ، فخفق عنهم الفراش ، وراح يمدّم بالفروع الزراعية . لما لبث هؤلاء أن لقوه ؛ (صديق الفلاح) . ولو دروا أن سياساته ستشوه حتى يلفظونهم وإفناه بلادهم لما فعلوا . إذ أنه في الوقت الذي كان يمد فيه يده اليمنى إلى الفلاحين ، كان يمد اليسرى إلى اليهود^(١) . فسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ودخلها منهم في السنوات الخمس التي قضاها في هذه البلاد مئتان وخمسون ألفاً . ونشط اليهود ، على عهده ، لشراء الأراضي . وهذا كله أغضب سكان البلاد . فراحوا يتنادون . وعقدوا في جوار الحرم

(كانون الأول ١٩٣١) مؤتمراً إسلامياً حضره عدد كبير من المسلمين : من فلسطين والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، واليمن ، والعراق ، ومصر ، والجزائر ، ومن تونس ، وبرقة ، وغارس ، والجزائر . والمغرب الأقصى ، ومن تركيا ، وتركستان الصينية ، والهند ، والقوقاس ، حتى ومن يوغسلافيا ، ونيجيريا ، وجاما ، وسيلان .

وقرر المؤتمرون ، فيها قرروا ، لإيجاد كتلة عربية إسلامية تقف سداً منيعاً أمام مطامع اليهود في الأرض المقدسة ، ومقاطعة جميع المنتجات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلامية ، وتنبيه العالم الإسلامي إلى الخطر الكامن وراء الصهيونية ، وصد تيار الهجرة اليهودية ، ومقاومة بيع الأراضي لليهود ، ودعوة العلم الإسلامي لشرائها ، واستئثار الاستعمار بجميع ألوانه في أي قطر من الأقطار الإسلامية ، وأعتبر قضاية العرب الأرثوذكس جزءاً من القضية العربية .

وكان هؤلاء (أى العرب الأرثوذكس) قد عقدوا في يافا وقبل ذلك ببضعة أيام (تشرين الثاني ١٩٣١) مؤتمراً أيدوا فيه المطالب الوطنية . وقرروا ، فيها قرروا ، أن يكون البطريرك عربياً لا يونانيّاً أجنبيّاً كما هي الحال . وأن لا يعترفوا بأى بطريرك لا يشارك الشعب في انتخابه .

وعقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعاً (١٩٣٣) درست فيه الموقف . وقررت أن تقام في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين مظاهرات يعبر فيها الشعب عن سخطه واستنكاره للسياسة القائمة . وما كادت الحكومة تناقل الخبر حتى أصدرت بلاغاً منعت فيه قيام المظاهرات . إلا أن اللجنة التنفيذية ثبتت في قرارها . لا ، بل إنها راحت تسير في مقدمة المتظاهرين في القدس . واشترك النساء مع الرجال في هذه المظاهرة . وجاء الإنجليز بهراهم ودباباتهم ، ففرقوا المتظاهرين ؛ بعد أن جرحاً منهم خمسة وتلائين ، وجرح خمسة من رجال البوليس وكذلك قل عن المظاهرة التي قامت في يافا بعد ذلك ببضعة أيام . تلك المظاهرة

التي فرقها الإنجليز بالقوة ، بعد أن قتلوا ٣٠ عربياً وجرحوا ذهاء مثنين .
 وتکهرب الجو ، في أواخر عام ١٩٣٥ ، بسبب بهم الأراضي وتغلغل
 الفود اليهودي في أداة الحكم ، ولا سبباً تيار الهجرة الذي لم يتقطع . وقد دخل
 البلاد في ذلك العام وحده خمسون ألف يهودي ، فقامت البلاد قوة رجل واحد ،
 طالب الحكومة بقصد ذلك التيار ، وشعر الجميع بالخطر ؛ فاتحدت الأحزاب ،
 واتفقت كلها على المطالبة بالحكم الذاتي ، ووقف تيار الهجرة الذي طعى على
 البلاد . ولما تلب الحكومة طلبها أعلنت الإضراب العام . ودام الإضراب الذي
 بدأ في ٢٥ نيسان ١٩٣٦ ستة أشهر كاملة . ووقفت الأعمال خلاها في جميع
 المؤسسات العربية . في المتاجر ، والصانع ، والمكاتب ، والمدارس ، وفي ميناء
 يافا ، وفي كل مكان . وقد شمل الإضراب وسائل النقل على اختلاف أنواعها ..
 في المدن والقرى .. فلم يذهب العمال إلى أعمالهم والتجار إلى متاجرهم . والطلاب
 والمعلمون إلى مدارسهم .. وامتنع الماء ون عن ارتباد دور المحاكم وعن المرافعات
 والمحاكم ، إلا إذا دعاهم الواجب الإنقاذ عربي من مخالب السلطة وسلم
 الخانير أختتمهم إلى السلطة ممتدين عن ثديه دعوتها أو الإجابة عن أسئلتها ..
 كما امتنع القرويون بوجه عام عن ارتياض الأسواق وعن بيع منتجاتهم ونحضرهم ..
 وأضررت البلديات عن كل عمل ، خلا أعمال التنظيف والتغوير وإصال المياه
 إلى المنازل . حتى السجناء ، فقد أضرروا عن العمل .. كما أضرر رجال
 البوليس العرب ، فراحوا يطالبون السلطة أن تساويمهم بزملاهم البريطانيين من
 حيث الدرجات والامتيازات ، وفضلتهم عنهم بالمرة من حيث الأمر والنهي ..
 ورایع رجال الدين يعظون الناس في مساجدهم وكنايسهم إلى ما فيه خيرهم
 وصلاحهم .

وقد صارى القول شامل الإضراب جميع مرافق البلاد ، فلم يستثن منه صری
 المطاحن والأفران والمستشفيات والعيادات الطبية والصيدليات .

ولما الصحف فقد اكتملت بالإضراب ثلاثة أيام . ثم عادت إلى الظهور كي ترشد الأمة إلى خيرها ، ونظمتها على ما يعتور سبيلها من عثرات . وكذلك قل عن الموظفين العرب من الدرجة العليا ؛ فقد كتبوا إلى الحكومة مذكرة قالوا فيها إنهم يشاطرون أمتهن في شعورها ، ويطالبون بإعطائهم حقوقها . وبعثا حاولت الحكومة أن تقنع زعماء الأحزاب كي يعدلوا عن الإضراب ، وينسحروا الناس بالعودة إلى أعمالهم .

وأتحدت الأحزاب العربية الفلسطينية كلها : حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في ٤ آب ١٩٣٢ وزعيمه الحامى عوفى عبد الهادى . . . وحزب الدفاع الوطني الذي تأسس في ٢ كانون الأول ١٩٣٤ وزعيمه راغب الناشيشى . . . والحزب العربي الفلسطيني الذي تأسس في ٢٤ نيسان ١٩٣٥ وزعيمه جمال الحسينى . . . وحزب الإصلاح الذي تأسس في ١٨ حزيران ١٩٣٥ وزعيمه الدكتور حسين الخري انخلالى . . . وحزب الكتلة الوطنية الذي تأسس في ٤ تشرين الأول ١٩٣٥ وزعيمه الحامى عبد الطيف صلاح . والأحزاب الأخرى الأولى تأسست في القدس ، وجعلت مقرها الرئيسى فيها . وأما حزب الكتلة فقد تأسس في نابلس ، واتخذها مركزاً لأعماله . وبجميع هذه الأحزاب كانت تستهدف خير البلاد . وجاء فى برامجها أنها تطلب استقلال البلاد ضمن بحدة حربية كبيرة ، وتقاوم فكرة الوطن القومى اليهودى ؛ وإن كان بعضها مختلف عن البعض الآخر فى بعض الأشكال ووسائل التنفيذ .

ولما جد الجد وأيمن الجميع أن الحكومة الإنجليزية لا تتوى بهم خيراً وأن فلسطين ضائعة لا محالة إذا لم يتحدون ، وأعلن الإضراب العام ، انحدروا ، فألقوا بلحنة أسموها (اللجنة العربية العليا) . ألقواها من السادة : الحاج أمين الحسينى ، راغب الناشيشى ، أحد حامى عبد البالى . الدكتور حسين انخلالى ، يعقوب فراج ، العبد روك ، عوفى عبد الهادى . عبد الطيف صلاح ، الحاج يعقوب

القصرين ، جمال الحسيني . وانتخبت هذه اللجنة لرياستها الحاج أمين ، وأمينة لماها أحد حلمى عبد الباقى ، وأمينة لسرها عونى عبد المادى .

وفي الجلسة الأولى التي عقدتها بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٦ أصدرت قرارها بالاستمرار على الإضراب حتى تجاحب البلاد إلى مطالبتها . ونخصت هذه المطالب بمنع الهجرة اليهودية منعاً تاماً ، ومنع انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود ، وإنشاء حكمة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابى .

وبدعت اللجنة العليا الشعب بمختلف طبقاته إلى مؤتمر عام ، عقد فى القدس بتاريخ ٧ آيار ١٩٣٦ . فأيد المؤتمرون قرار الإضراب ، مضيفين إليه قراراً آخر ، هو الامتناع عن الفرائض . وقد امتنع الناس عن الدفع اعتباراً من ١٥ آيار . فأعلنت الحكومة قانون الطوارئ . واعتقلت عدداً من خيرة شبان البلاد ورجالاتها ، ففرجت بعضهم في معتقل أقامته في عوجا الخفير قريباً من التخوم المصرية . وببعض الآخر في صرفند على مقر بقمن الرملة . وزادت قواها التي كانت ترابط في البلاد ، فراح يعسكر فيها عشرة آلاف جندي . وازداد هذا العدد ، بعد قليل ، فبلغ العشرين ألفاً ، تعززهم الطائرات والدبابات ومختلف أنواع الأسلحة والمعدات .

وبعد أن كانت المقاومة العربية منحصرة في الإضراب ، انقلب في شهرها الثاني إلى ثورة علنية . إذ راح الأهلون يصطدمون بالجندي حيثما يتلقون . فقطعت أسلاك البرق والهاتف ، وهو جدت القطارات الحديدية ، ونسفت الجسور ، ودمرت أنابيب البترول ، كما دمرت المباني الحكومية ، وأطلق الرصاص على الجنود واليهود ، وسدت الشوارع بالحجارة ، ورشت الطريق بالمسامير عرقلاً لوسائل النقل ، وهو جدت المستعمرات اليهودية في الليل والنهار . وقد أخلت معظم هذه المستعمرات من سكانها . وما كان اليهود ليستطيعوا السير والتنقل من مكان إلى مكان إلا في سيارات مصفحة بالفولاذ .

ولم تقف الحكومة حيال ثورة العرب هذه وقفة المتفرج . بل إنها أمرت جيشها بالنزول إلى الميدان ، وكان عدده قد ازداد — كما سبق وقلنا — فأصبح مؤلفاً من عشرين ألف مقاتل . وقام هؤلاء بتنفيذ الأوامر التي أعطيت لهم ، ففتحوا العرب في مدنهم وقراهem ، ونسفوا دورهم ومنازلهم ، وحصلوا كل ما وقعت عليه أيديهم في تلك المنازل من آلات وأدوات ومن مواد خلائقية . وقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً من الأهلين : لا فرق في نظرهم بين مدني وقروي . بين سالم وثائر . . . وذلك قد حدأ بالقرويين لمجر قراهم ، ومعظم الناس لمجر منازلهم وهؤلاء الذين هجروا قراهم ومنازلهم قد انتصروا بالسيوال . فزادوا النار حبّاً . وما كاد يمرّ مئة يوم على بدء الإضراب حتى كانت نيران الثورة قد ازدادت اضطراماً ، وراح الثوار يتحدون الجند في كل مكان .

فازداد الموقف حرجاً . وبعثاً حاول المصلحون الذين توسعوا بين الطرفين كي يغسلوا المياه إلى مجاريها . . . ومن هؤلاء الأمير عبد الله بن الحسين أمير الأردن ، والمستر دانيال أوليفر وهو رجل إنجليزي من طائفة الفرنكز ، ونوري باشا السعيد وزير خارجية العراق . وقد أكد هذا أنه يمثل في وساطته الحكومات العربية الثلاث : العراق والمملكة العربية السعودية واليمن . ولكن، هذه الوساطات ذهبت أدراج الرياح . إذ أصرّ الفريقان على عندهما : الإنجليز وكانتوا واقعين تحت تأثير اليهود . فلم يشأوا الانصياع لإرادة الوطنيين . والمؤمنون ليسوا بمحققين بتزامن الإنجليز وإخلاصهم . ولقد أدى الإنجليز بینجدات جديدة وضعوها تحت إدارة قائد من رجالهم العسكريين . ألا وهو الفتانت جنرال ديل . وكان قبل ذلك مديرًا للعمليات العسكرية في وزارة الحرب البريطانية . ودخل البلاد في الوقت نفسه ، خمسة مقاتل ينتسبون إلى الأقطار العربية أخباورة ، يقودهم فوزى القاوقجي ، وهكذا اكتسبت الثورة شكلًا منظماً . ووقد، الفريقان العرب والإنجليز وجهما لوجه .

ولقد فرض الإنجليز الأحكام العرفية ، ووضعوا نظام الدفاع موضع التنفيذ ، ومنحوا النزوب السامي حق التوقيف والاعتقال والنفي والإبعاد ، كما منحوه حق السيطرة على الصحف والمواصلات وبجميع أنواع المخابرات وفرض الغرامات ومصادرة الأموال والأملاك وسن القوانين والأنظمة التي يراها كافية لإعادة المدورة والسكنية .

ولكن هذه التدابير ، على شدتها ، لم ترعب الثوار . بل راسعوا يعملون بجهد ونشاط وقد اقتتلوا مع الجند حبيبا كانوا يلتقطون . ووقعت معارك شديدة كانت أشدّها تلك التي وقعت في شمال فلسطين ، وفي قطاع الخليل . وأبدى قتيلان فلسطينيين من البطولة والتضحية ما لا يتسع لذكره هذا الموجز . وسنذكره ، ونذكر أسماء الشهداء الأبرار في كتابنا المفصل إن شاء الله . وفريد أن نكتفي هنا بالقول إن المعارك ظلت مستمرة بين الجنود البريطانيين والثوار الفلسطينيين إلى أن توسط ملوك العرب : الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية ، والملك غازي ملك العراق ، والأمير عبد الله بن الحسين أمير الأردن . وقبلت اللجنة العربية العليا وساطتهم . فأعلنت إنتهاء الإضراب والاضطراب اعتباراً من يوم الإثنين الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ .

وهكذا يكون الإضراب قد دام مئة وستة وسبعين يوماً . وبلغت ضحاياه ٣١٥ قتيلاً (١٩٣ من العرب والباقيون من اليهود والجيش) و١٣٤ جريحاً (٨٠٣ من العرب والباقيون من اليهود والجيش) .

ولقد كان ربيع العرب ، رغم خسارتهم في الأرواح ، عظيماً ، إذ أنهم كانوا قبل ذلك مختلفين ، ولما جد الجند اتحدوا . وأيقنت الحكومة ، واليهود معها ، أنه ليس من السهل إخضاعهم .

وانتدبّت الحكومة ، بعد ذلك بقليل ، لجنة ملوكية ، مهمتها التثبت من أسباب الاضطرابات التي حدّثت في فلسطين ، والتحقيق في كيفية تنفيذ صanc

الانتداب ، ورفع التواصى الى تراها مناسبة لازالة الظلamas ومنع تكرار الاضطرابات .

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٣٦ جاءت اللجنة يرأسها الاورد بيل . ولكن العرب قاطعواها في بادئ الأمر فلم يخروا لاستقبالها . إذ كانوا قد استاءوا من البيان الذي أصدره وزير المستعمرات المستر أوروسى غور ، قبل وصولها بستة أيام ، والذي قال فيه : إنه ليس هناك أسباب تبرر توقيف الهجرة . ولكنهم عادوا فأصاغوا لتصح ملوكهم ، وعدلوا عن مقاطعتهم . فاتصلوا بها . وأدلو بآرائهم أمامها كما أدلى بآرائهم اليهود ، والحكومة . وكانت النتيجة أن اعترفت اللجنة بحق العرب ، وعلم إمكان عيش الفريقين ، العرب واليهود ، في صعيد واحد ، وبضرورة العمل على حل المشكلة عن طريق التقسيم .

ولقد انقضى عهد هذا المندوب (أي واكروب) ، كما ترى ، في صراع وقلق لم تدق البلاد فيه طعم الراحة ؛ رغم ما فعلته الحكومة أو حاولت أن تفعله من أجل إنعاش الفلاحين وإعفائهم من الضرائب .

ولقد قسمت فلسطين ، على عهده ، إلى ثلاثة ألوية (١٩٣١) وهي :

- ١ - لواء القدس ، مؤلف من أقضية القدس ، رام الله ، أريحا ، بيت لحم .
- ٢ - اللواء الشمالي ، مؤلف من أقضية حيفا ، عكا ، الناصرة ، طبريا ، حيفا ، نابلس ، جنين ، طولكرم ، بيسان .
- ٣ - اللواء الجنوبي ، مؤلف من أقضية يافا ، الرملة ، غزة ، بئر السبع ، صورا الخير .

وبناءً بعد السر واكروب ، السر هارولد الفرد مالك مايكيل Sir Harold Alfred Mac Michael, K.C.M.G., D.S.O.

تم جاءه القائد مارشال فيكونت غورت V.C., G.C.B., C.B.E.D.S.O., M.V.O , M.C., Field—Marshal Viscount Gort V.C., G.C.B., C.B.E.D.S.O., M.V.O , M.C.,

تم جاء اللقنان جنرال السير ألن غوردن كمسفهام حامل الصليب الأكبر لوسام الحمام الرفيع التأذن من رتبة فارس . ووسام الخدمة الممتازة من رتبة رفيق D.S.O. . ووسام الصليب العسكري C.M.G. . جاء في ٣١ تشرين الثاني ١٩٤٥ . ولكن أحداً من هؤلاء لم يستطع تهدئة الحال .

إذ لم يأل الشعب العربي بفلسطين جهداً عن المطالبة بالحكم الدستوري . وإلغاء الانتداب ، ومقاومة الوطن الغوى اليهودي . على عهد المسؤولين المتقدم ذكرهم . لا . بل وطيلة عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧ م) ولكن جميع الجهود التي بذلت في هذا السبيل ، ذهبت هباءً مثراً . لأن السلطة المتقدمة ، وبعبارة أوضح ، الحكومة الفلسطينية . وهي حكومة إنجلizerية بخت ، كانت ضالعة إلى أبعد حدود التحiz مع اليهود ، وقيادتها لهم في مشروعاتهم وأعمالهم الرامية إلى تهويد فلسطين .

وقد كان لها ، رغم ، ما أرادوا . وسنذكر ذلك بوجه التفصيل في الجزء الأخير لكتابنا (تاريخ القدس) . ذلك الجزء الذي خصصناه لنكبة بيت المقدس والفردوس المفقود . فليرجع إليه من شاء .

الضرائب في عهد الاحتلال

وإليك بوجه الإجمال ، بعض المعلومات التي فرضت على السكان في عهد الانتداب (١) .

(١) يحسن الرجوع إلى ما كتبناه عن الضرائب في العهد التركي ، قبل فراغة هذا الفصل ، لتصبح المقارنة من هذه الناحية ، بين العهدين .

ثُبِّتَ الإنجليز ، عَنْدَ احْتِلَامِ الْبَلَاد ، الْفَرَائِبُ الَّتِي كَانَتْ الْحُكُومَةُ العُمَانِيَّةُ تَجْبِيُّهَا قَبْلَ إِعْلَانِ الْحَرْب . وَذَلِكَ بِبَيَانٍ أَذْاعُوهُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَئِذٍ . وَبِدَأُوا بِجَهَابِيَّةِ الْفَرَائِبِ عَلَى الطَّرِيقَةِ وَبِالنَّسْبَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَبَعَةً مِنْ قَبْلٍ ، اعْتَباً مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ آذَارِ ١٩١٨ . هَذَا بَعْدَ أَنْ أَغْوا^(١) جَمِيعَ الْبَقَايَا عَنْ جَمِيعِ الْفَرَائِبِ الَّتِي اسْتَحْقَتْ لِلْخَرِيْنَةِ قَبْلَ ذَلِكَ التَّارِيخِ . وَقَدْ اسْتَشْنَوْا مِنْ هَذَا الإِلْغَاءِ الْفَرَائِبِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَهْدِ الْتُّرْكِيِّ تَحْصُلُ بِاسْمِ الْدِيُونِ الْعُمُومِيَّةِ . وَقَدْ أَغْوا إِلْغَاءً تَامًا — خَرِيْرَةَ صَيْدِ الْأَسْمَاك ، وَبَدْلِ التَّقْنَع ، وَبَدْلِ الْعَسْكَرِيَّة ، وَبَدْلِ السُّخْرَة ، أَيْ تَشْغِيلِ الشَّبَابِ الْمَكْلَفِينَ بِإِلْشَاءِ الْطَّرِقَ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ .

وَاسْتَبْدَلَ الإنجليز خَرِيْرَةَ الْوَيْرَكُو وَالْمَسْقَفَاتِ ، تَلَكَ الْخَرِيْرَةُ الْتُّرْكِيَّةُ ، بِخَرِيْرَةِ الْأَمْلَاكِ عَلَى الْمَدَنِ (١٩٢٨) وَرَاسَحُوا بِمَحْصُولِهَا بِنَسْبَةِ ١٠٪ مِنْ قِيمَةِ الْإِيجَارِ الصَّافِي السَّنَويِّ لِلْأَمْلَاكِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمَدَنِ . كَمَا اسْتَبْدَلُوا خَرِيْرَةَ الْعَشْرِ الَّتِي كَانَتْ تَجْبِيُّهَا مِنَ الْمَزَارِعِينَ عَنْ حَاصِلَاتِهِمُ الزَّرَاعِيَّةِ بِخَرِيْرَةِ الْأَمْلَاكِ فِي الْقُرَى (١٩٣٥) . وَهَذِهِ الْخَرِيْرَةُ فَرَضَتْ عَلَى الْأَرْضِيَّ حَسْبَ جُودَتِهَا وَأَصْنَافِهَا وَالْغَایِيَّةِ الزَّرَاعِيَّةِ الَّتِي خَصَّتْ مِنْ أَجْلِهَا . وَلَقَدْ صَنَّفَتِ الْأَرْضِيَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَصْنَافًا مُخْتَلِفةً . وَفَرَضَ عَلَى كُلِّ صَنْفٍ مِبْلَغٌ مُعِينٌ . فَالْأَرْضُ مِنَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ ، مَثَلًا ، وَهِيَ الْخَصُوصَةُ لِزَرَاعَةِ الْبَرْقَالِ وَالْبَيْمُونِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَمْضَيَّاتِ ، فَرَضَ عَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يَدْفَعَ عَنْ كُلِّ دُونِمٍ مِنْهَا ٨٢٥ مَلًا . وَالْمُوزُ ٥٦٠ مَلًا . وَالْأَرْضِيَّ الْوَاقِعَةُ تَحْتَ المَاءِ ١٦٠ مَلًا (؟) وَهَكُذا تَسِيرُ النَّسْبَةُ الْمُقْرَرَةُ فِي انْخِفَاضِ حَسْبِ نَوْعِ الْأَرْضِ مِنْ ٤٠ إِلَى ٣٥ مَلًا . ٣٠ وَ٢٥ وَ٢٠ وَ١٨ وَ١٥ وَ١٢ وَ٨ مَلَاتِ . وَهُنَاكَ أَنْوَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ لَا تَسْتَغْلِلُ إِلَّا قَلِيلًا . فَمَدْ أَعْقَبَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَرِيْرَةِ إِعْفَاءً تَامًا .

وَأَعْلَنَ الإنجليز فِي أَوَّلِ احْتِلَامِ هَذِهِ الْبَلَادِ (١٩٢١) الْمَسْكُوكَاتِ

(١) (النَّظَامُ الْاِقْتَصَادِيُّ فِي الْمُسْلِمِينَ) لِلْأَسْتَاذِ سَعِيدِ حَادِهِ ص ٦٧٨ .

أوراق النقد المصرية تقدماً قانونياً . كما أعلنا الميرة الإنجليزية الذهب أيضاً تقدماً قانونياً . وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٢٧ حيث استبدل النقد المصري بـ نقد فلسطيني وضررت في لندن عملة فلسطينية .

وبلغت ضريبة الأملك التي جمعت من مدينة القدس في آخر سنة من سني الاحتلال (١٩٤٧) ثلاثة عشر ألف جنيه فلسطيني ، وأما ضريبة الأملك التي جمعت من قراها فقد بلغت في تلك السنة سبعة عشر ألف جنيه .

وبالإضافة إلى الموعين المتقدمين من الفرائب المباشرة ضريبة ثلاثة ، تسمى ضريبة الحيوانات ، فقد فرض الإنجليز على كل رأس من الغنم والماعز ٤٨ ملا ومن الجمال ١٢٠ ملا ومن الخنازير ٩٠ ملا .

ومن تلك الفرائب غير المباشرة كالرسوم الجمركية ، ورسم القفة (الطوابع) ورسم المكس . وهذا يفرض على عيدان الكبريت ، والملح ، والتبيغ ، والثمر .

ومن تلك أيضاً الرسوم التي تجبي عن الشخص – كالشخص الذي تعطى لتعاطي المهن ورخص النقل على الطرق ، وكذلك قل عن رسوم المحاكم ، ورسوم تسجيل الأراضي ومساحتها ، ورسوم الجوازات . وما إلى ذلك من الرسوم التي لم نر لزوماً لذكرها بالتفصيل في موجزنا هذا . وإن كنا قد ذكرناها مطرولة في كتابنا المفصل ، فليرجع إليه من يشاء .

الباب التاسع

أخبار عن القدس في مختلف العصور .

أسماء القدس — أسوار القدس — زلازل القدس — مياه القدس

أسماء القدس

للقلس عدة أسماء ، سميت بها على مر الدهور ، تبعاً للأئم والشعوب التي استوطنتها . ومن هذه الأسماء :

(بيوس) نسبة لليوسين . فقد ورد هذا الاسم في سجلات الفراعنة مكتنا (يايسي) . وأسمها الكنعانيون (أورسالم) أي مدينة السلام . وعرفها الفراعنة بهذا الاسم أيضاً . وهذا يعتقد الكثيرون أنها كنعانية الأصل .

وقيل إن (أورو - سالم) بابلية الأصل آرامية^(١) وسواء كان أصل هذا الاسم كنعانياً أو آشوريأً أو بابلياً منحدراً عن الآرامية ، فإن التسمية العبرية التي عرفت فيها بعد وهي (أورشليم) مشتقة عنها . وأن القول بأن هذا الاسم هبراني زعم باطل . .

ذكرها الفيروز آبادى فقال إن شلم ، شليم ، شلم . اسم البيت المقدس . وقال ياقوت إن شاعراً من شعراء الخالقية أسمها « أورسلمو » . ولكن لم نعثر على هذا الاسم في الكتاب ، لا ، ولا قرأتنا الشعر الذى ذكره في هذا الصدد ومن أسمائها (مدينة داود) و (صهيون) . وأسمها اليونانيون (يروساليم) . وأضيق عليها المؤرخ اليهودي يوسيفوس حالة هيلينية ، فأسمها (هيروسالما) . وكانت في أوائل الفتح الروماني تدعى (هيروسالما) . ثم صارت (هيروسالما) . ومن هنا أخذت الأمم الأوروبية اسمها المعروف (جيروسالم) . وعندما حاصرها بيطس (٧٠ م) كان الرومان يسمونها (سوليموس) . وفي عام (١٧٥ م)

سماعها ينادوها (سولينا) . وسماعها المكابيون (يروسولينا) . وفي سنة ١٣٩ م أسمها الإمبراطور أدريانوس (إيليا كايتولينا) . وظلت تعرف بهذا الاسم (إيليا) حتى أوائل الفتح الإسلامي . وكذلك سميت في العهدة العمرية . قال يعقوب^(١) : إن (إيلياء) و (الياء) اسم لبيت المقدس . ومعناه بيت الله .

قال الفرزدق :

وبيتان : بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف
وقال صاحب مثير الغرام إن من أسمائها : إيليا ، إلايا ، إيليء .
وحاء في إتحاف الأحصاء أن من أسمائها : (بيت ليل) ومعناه بيت الرب .
ومن أسمائها^(٢) (القرية) ، وإلى ذلك تشير الآية :
(ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغداً ، وادخلوا الباب سجداً ،
وقولوا حطة نضر لكم خطاياكم) . ومنها (الأرض المباركة) وإلى ذلك تشير
الآية : (ونجيناهم ولوطأ إلى الأرض التي باركتها فيها للعالمين) . ومنها (الساهرة)
جاء في الآية : (فإذا هم بالساهرة) .
ومن أسمائها : (بيت المقدس)^(٣) و (البيت المقدس)^(٤) و (الأرض
المقدسة) .

روى أن مروان بن الحكم قال يوماً للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إيمها مجنورة والحق بمحكمة أو ببيت المقدس

(١) (نعم البلدان) من ٤٢٤ .

(٢) (إندف الأحصاء بمقاييس المسجد الأقصى) للسيوطى ١٢ - ٢٠ .

(٣) (التاريخ الكبير) لابن سماكر من ٤٥ .

(٤) ابن سجر المستقل . والأ Sage عيسى إسكندر المعرف في (مجلة المقتبس) ج ٨

وذكر ابن حجر العسقلاني في البيت المقدس في شعره فقال :

إلى البيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نلا من كرم
قطعتنا في مسافته عقاباً وما بعد العقاب سوى النعيم
ومن آسماتها : (المسجد الأقصى) وفي ذلك نزلت الآية الكريمة :
(سبحان الذي أسرى بيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي
باركنا حوله) . ومنها : (الزيتون) . وفي ذلك نزلت الآية (والثين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الأمين) . قال ابن عساكر نقلاً عن ابن حباس :
«إن الثين بلاد الشام ، والزيتون بلاد القدس ، وطور سينين الجليل الذي كلّم
الله موسى عليه . وهذا البلد الأمين مكة» .

ومن آسماتها : (القدس) قال الأستاذ عيسى إسكندر الملعوف في الجزء
الثاني من مجلة المقتبس ما يلي : «ولعل أقدم من ذكرها بهذا الاسم المطران
سليمان الغري أسفف غزة والشام حوالي القرن الرابع عشر للميلاد . إذ قال :
أيد عولة للقدس الخيال الذي يسرى فهل لك في تركك الزيارة من عمر .
وأما أنا فماقول : إن المؤلفين العرب ذكروا (القدس) في مؤلفاتهم قبل ذلك
التاريخ بزمن طويل . فقد ذكرها أبو العلاء المعري في شعره (١٠٥٧ هـ ١٤٩)
يا شاكى التوب انهم طالباً حلباً نهوض مضى لحسن الداء ملتمس
وانخلع حداته إذا حاذتها ورعاً كفعل موسى كلّم الله في القدس
والعماد الأصفهاني كتاب اسمه (الفتح القوى في الفتح القدسى)
١٢٠٠ م . ولأبي الفرج التميمي المعروف بابن الجوزى كتاب اسمه (فضائل
القدس) ١٢٠٠ م . وللقاضى أمين الدين بن هبة الله الشافعى (الأنس فى
فضائل القدس) ١٢٠٦ م . ولشهاب الدين بن سرور المقدسى (مثير الغرام
إلى زيارة القدس والشام) ١٣٦٣ م . ولمحمد بن إبرهيم القدسى كتاب اسمه
(تاريخ القدس) ١٣٧٤ م .

هذه وغيرها من الكتب تدلنا على أن اسم القدس كان معروفاً منذ أوائل الحكم الإسلامي في هذه البلاد . وقد احفظ الأتراء في يادى الأمر باسم (القدس) . ثم أضافوا إليها وصف الشرف فراحت تعرف باسم (القدس الشريف) . وعرفت بذلك طيلة وجودهم في البلاد (١٩١٧ - ١٥١٧ م) . وبهذا قيل في أحصاها ، فإنها تستحق القول الذي قاله فيها أمير الشعراء شوق :

بلد على أرض المسى وسماه المجد حائطه ورأس بنائه
بلد بتسوه الأكرمون قبورهم وقصورهم وقف على نزلاته

أسوار القدس

هناك سور حول القدس القديمة ، له تاريخ شاينق وقدم . وقد لا نعلو الحقيقة إذا قلنا إنه قام حول القدس ، وصل من الأجيال ، عدة أسوار لا سور واحد^(١) . فما من أمة دخلتها إلا فكرت في تحصينها ، وإقامة الأسوار حولها . ذلك لأنها كانت ، على مر العصور ، محطة أنظار الجيوش والغزاة الفاتحين . ولقد حدثنا التاريخ أن أول من فكر في بناء السور حول المدينة هم (اليوسسيون) . فقد كان ذلك حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ولا صحة للقول بأن السور الأول من صنع داود ، أو من صنع ولده سليمان . وكل ما فعله داود وسليمان أنهما ر بما الجزع الذي كان اليوسسيون قد بنوه من قبلهما . وكان عليه يومئذ ستون برجاً . وكان يمتد من الأحياء الغربية في البلدة القديمة (باب الخليل وهي الأدنى والنبي داود) حتى التلال الواقعة شرق الحرم .

هذا هو السور الأول :

ولقد خرب جائياً منه (يهوآش بن يهوآحاز) ملك إسرائيل ، يوم تغلب هذا على أمصيا ملك يهودا سنة ٧٩٠ ق . م .

وأما السور الثاني فقد بناه الملك (منسه) أثناء الاحتلال الأشوري (٦٤٤ ق . م) ولقد ضم هذا السور الأحياء التي أنشئت بعد العهد اليوسفي ، وبها الموضع الذي تقوم عليها الآن حارة التصارى والواد . وكان عليها أربعة عشر برجاً . ويظهر أن هذا هو السور الذي كان حول القدس عندما احتلها نبوخذنصر فهدمه (٥٨٦ ق . م)

ولقد استغل نحاما الفرصة في زمن الفرس ، فيني (٤٤٠ ق . م) ما تهدم من السور . وكان يومئذ يحيط بجبل صهيون وبجبل موريا من الشرق حيث يقوم المترم الآن . بناء ليلاً وفي حذر شديد . ذلك لأن سكان البلاد المجاورة^(١) من حوروشين وعموسيين وغيرهم ما كانوا راضين عن عمله ، ولقد قاوموا مشروع نحاما من حيث تعمير السور . وكان اليهود يخشون بطعمهم . ولو لا حرب الفرس التي كانت تحمى اليهود لما تم بناء السور في ذلك الحين .

وعندما احتل بطليموس الأول القدس ذلك جائياً من سورها (٣٢٠ ق . م) وعندما احتلها أنطونيوس إيفانوس ذلك جائياً آخر منه (١٦٨ ق . م) وأن القاتح الروماني بومبيوس (٦٣ ق . م) على ما تيقن منه . وفي قول إن بعض أجزاء السور الذي بناه نحاما ظلت قائمة حتى زمن هيرودس الملك . فأضاف إليها هذا بعض الأبراج ليق بها قصره ، وكان يقوم في البقعة التي تقوم عليها الآن كنيسة المسيح ونكتة البوليس ودير مار يعقوب .

وأما السور الثالث فقد شرع اليهود في بنائه في العهد الروماني في زمن

(١) (ميكل سليمان) تريف المحاج ص ١٤٨ .

الحاكم هيرودس أغريبا (٣٧ - ٤٤ للميلاد) . غير أن إمبراطور الرومان قلوديوس منهم من متابعة العمل يومئذ . فأنمو بناه أثناء حصار تيطس (٧٠ م) . ولقد ضم هذا السور ، بالإضافة إلى الأحياء التي ذكرناها في السطور precedingة ، الأحياء التي تحيط بمدارس الفرير عند الباب الخديد وقبور السلاطين وباب الساهرة وما يلي ذلك وكان له تسعون برجاً . ودر جانب من هذا السور من لدن تيطس (٧٠ م) وبالجانب الآخر من لدن أدريانوس (١٣٥ م) . وإنك لترى في يومنا هذا بقاياه في مواضع مختلفة على مقربة من مدرسة المطران على طريق نابلس ، ومن بقاياه أيضاً الباب ذو القوس المدفون عند باب العمود .

وأقامت الملكة أندوكسيا ، زوجة الملك تيودوسيوس (٤٣٨ - ٤٤٣ م) سوراً جديداً حول المدينة . وقيل إن هذه الملكة أدخلت قرية سلوان في السور الذي بنته . ولقد دك الفرس هذا السور عندما احتلوا القدس (٦١٤ م) . وقيل أن سقط هذه في يد الصليبيين أربع السور إلى ما كان عليه في زمن أدريانوس . وعمره الصليبيون حوالي القرن الثاني للميلاد . كما عمره صلاح الدين عندما فتح المدينة (١١٨٧ م) . وجدد أبراجاً حربية من باب العمود إلى باب الملليل ، ويحفر خندقاً حوله : وكان يشرف على العمل بنفسه وكثيراً ما حل الحجارة على كتفه . وقد استخدم في تعمير السور عدداً من أسرى الفرنجة^(١) . وفي سنة (١٢١٩ م) هدم الملك المعظم عيسى جزءاً كبيراً من السور . كما خرب الأبراج كلها خشية أن يستولى الفرنج عليها . ولما دارت مفاوضات الهدنة بين المسلمين والصليبيين (١٢٢١ م) اشترط الصليبيون أن يدفع المسلمون خمسة ألف دينار ليعمروا بها السور ، فرفض المسلمون ذلك ، ورجع القتال .

(١) (الأس الملليل) للقاضي عمير الدين ج ١ ص ٢٢٨ .

ولما عقدت المذكرة بين الملك الكامل والإمبراطور فرديريك (١٢٢٨ م) ، وكان من شروطها تسليم القدس إلى الفرنج ، اشترط الملك ألا يعمروا سور الذي بخرقه الملك المعظم عيسى .

ولقد رم السور في بعض نواحيه في أيام الملك العادل زين الدين (١٢٩٥ م) . وفي زمن الملك المنصور قلاون (١٣٣٠ م) . والسور الذي نراه في يومنا هذا هو الذي جدده سليمان القانوني ، ودامته عماراته خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) . وأضاف إليه عدداً من الأبراج . وهناك فوق الأبواب كتابات منقوشة على الجدران تشير إلى ذلك .

وما يؤثّر عن السلطان سليمان الخبر الذي يتناقله الأبناء عن الآباء من أنه (أى السلطان سليمان) أمر بقطع رأس المهندس الذي حفر السور ، لأنّه لم يدخل فيه مقام النبي داود . وأخذ بعض كتاب الفرنجية عنهم هذه الأسطورة . فذكروها في مؤلفاتهم .

ويظهر أن جدران الخندق الذي بناه صلاح الدين ، تهدمت مع الزمن فجدد بناءها (١٧٣١ م) السلطان محمود بن السلطان مصطفى خان من آل عثمان .

وعلى ذكر السور نقول إن له في يومنا هذا أربعة وثلاثين برجاً وبعشرة أبواب هي :

باب الأسپاط (من الشرق) . باب الساهرة وباب العمود (من الشمال) .
باب البهديد (من الشمال الغربي) . باب الخليل (من الغرب) . باب النبي داود وباب المغاربة (من الجنوب) . وكانت هذه الأبواب حتى أواسط القرن التاسع عشر تغلق عند غروب الشمس ، وتفتح مع الفجر . ولما شرع الناس في بناء المنازل خارج السور (وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٨ للميلاد) فتحت

لأبواب . وراح الناس يفسنها ليلاً ونهاراً .
إنه يرضعه الحال متين للغاية . محيطه ميلان ونصف الميل ، طوله من
الشمال ٣٩٣٠ قدمًا ومن الشرق ٢٧٥٤ قدمًا ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدمًا ومن
الغرب ٢٠٨٦ قدمًا وأما ارتفاعه فيتراوح بين ٣٨ قدمًا و ٤٠ قدمًا .

زلزال القدس

نزلت بالقدس ، من جراء قدسيتها ونكاية الأمم على امتلاكها ، نكبات
وحروب كثيرة . وكان تلك النكبات والحروب ما كانت تكنى لازماً أرواح
سكانها ، فقد حبّتها الطبيعة أيضًا بعطفها ، فصبت عليها الزلزال مراراً عديدة .
وكانت هذه في بعض الأحيان تأتي شديدة ، فتدكها دكًا ، وتجعل عاليها
سافلها . كالزلزال الذي حدث عام ٧٨٠ قبل الميلاد . وللذى ذكره يوسفوس
فقال إنه شق الجبل فغارت الطرق ، وأندكَت الأبنية^(١) .

والزلزال الذي حدث عام ٣١ ق م على عهد هيرودس الملك . فقد ذكره
جورج آدم سميث^(٢) فقال إن هذا الزلزال أتى على عدد كبير من الماشي
والأبقار . ومات تحت الأنفاس قرابة عشرة آلاف شخص .

وكذلك قل عن الزلزال الذي حدث بعد الميلاد في ٤١٩ - ٣٦٢ -
٦٣١ - ٦٥٨ - ٧١٢ - ٧٤٦ - ٧٥٥ - ٧٧٥ - ٨٤٧ - ٨٥٦ - ٨٥٩ -
٩٦٥ - ١٠١٦ - ١٠٣٤ - ١٠٤٢ - ١٠٦٧ - ١٠٩٩ - ١٠٩٧ -

..

"The Antiquities of the Jews" by Josephus. (١)

"The Historical Geography of the Holy-Land" by George Adam Smith. (٢)

— ١٠٩١ — ١١٢٩ — ١١٣٧ — ١١٣٨ — ١١٤٧ — ١١٥٧ —
 — ١١٨٢ — ١٢٠٠ — ١٢٠٣ — ١٢١١ — ١٢٠٢ — ١٣٤٣ —
 — ١٤٩٦ — ١٤٩٧ — ١٤٩٩ — ١٥٤٥ — ١٦٠١ — ١٧٤٢ — ١٨٣٤ —
 — ١٩٢٧ .

وأهم هذه الزلزال هو الذي حدث عام ٧١٢ م . إذ دام في القدس وفي
 سائر أنحاء الشام زهاء أربعين يوماً . وأما الزلزال الذي حدث عام ١١٣٨ م ،
 فقد شمل معظم الكرة الأرضية ، وليس القدس وحدها . وتكررت الزلزال
 في تلك الفترة من الزمن بشكل عنيف قرأتنا عنه الشيء الكثير في (مرآة الزمان)
 وفي (النجوم الظاهرة) . وفي كتب التاريخ^(١) .

وأما الزلزال الذي حدث عام ١٢٢٠ م ، فقد عم بلاد الشرقيين الأوسط
 والأدنى ، وخراب ما لا يحصى من المور . وقتل من جرائه زهاء مليون ومئة ألف
 نسمة . وكذلك قل عن الزلزال الذي حدث في عام ١٤٩٦ م . فقد ذكره
 غير الدين فقال إنه لم يترك بيته علوياماً في بيت المقدس إلا هدمه .

وحدث في القدس عام ١٧٥٩ م زلزال تهدم من جرائه معظم ما فيها
 من منازل وعدد كبير من القرى والقلاع . ويدرك أبناء الجليل الحاضر ،
 ولا شك ، الزلزال الذي حدث في عام ١٩٢٧ والذي قتل من جرائه خلق
 كبير وخراب أملاتك واسعة . وتبرع سكان بيت المقدس بأحد عشر ألف
 جنيه للفقراء وأصحاب الأملال الذين تخربت منازلهم . وكذلك قل عن الزلزال
 الذي حدث بعد ذلك بعشرين سنة : ١٩٣٧ .

(١) (مرآة الزمان) لسيط بن الجوزي و (النجوم الظاهرة) لابن الحasan تعرى بروى
 (وكشف العلامة عن وصف الزلزلة) للشيخ جلال الدين السيوطي و (الأنس الجليل) للقاضي
 غير الدين الخليل .

مياه القدس

عرفت القدس منذ القدم بسلرة ماءها . وكان تزويدها بالماء ، على مر العصور ، أمراً إلدياً . ذلك لأنها قائمة على تلال مرتفعة لا ينبع الماء فيها . وكان جل اعتيادها في العصور الغابرة على مياه الأمطار وعلى الينابيع الفضيلة الواقعة في سلوان (١) .

ومن هذه الينابيع :

(عين أم الدرج) . ذكرها أبو العلاء المعري في شعره فقال (٢) :
ويبعد سلوان إلى قديسها طم يوهم أنه من زمزم .
ونها : (بركة سلوان) إلى الجنوب من عين أم الدرج . و (البركة
الثحانية) إلى الجنوب الشرقي من بركة سلوان ويسمونها البركة الحمراء .
و (بئر أبوب) على بعد ألف قدم من البركة الحمراء . منها يتغير الماء
في فصل الشتاء .

ونها : (عين اللوزة) على بعد خمسة متراً من بئر أبوب إلى الجنوب .
وفي القدس صهاريج كثيرة ، لأنكاد تحصى ، تتجمع فيها مياه الأمطار .
وفيها برك كبيرة أيضاً حفراها الأقدمون لهذه الغاية .

ومن هذه البرك : بركة ماما . وبركة السلطان . وبركة حزقيا . وبركة
لإسرائيل .

(١) قرية واقعة إلى الشرق الجنوبي من القدس ، وهل قيد بعض خطوات منها . لا ، بل أنها تكاد تعتبر التيرم حياً من أحياها .

(٢) من مقال للأستاذ المرحوم إسحاق الشاشي في العدد ١٤ من جريدة (الوحدة) بتاريخ ١ شوال ١٣٩٤ هـ (١٩٧٥ م) .

أما (بركة ماملا) فلأنها أقدم هذه البرك عهداً وأكبرها حجماً وأكثرها شهرة . إنها واقعة غرب المدينة . ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة في جميع أدوارها . إنها تعنى (ماء ميلو) . وميلو اسم الحى الذى نصب فيه سليمان ملكاً (١٠٩٥ ق . م) وهو المكان الذى عسكر فيه ستحاريب ملك الأشوريين عندما هبط القدس (٧١٠ ق . م) وهو المكان الذى ألقى فيه القرس يحيى المسيحين الذين قتلواهم عند احتلالهم المدينة (٦١٤ م) . وفي هذا المكان دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين الذين أشتركوا في الفتحين : العمرى (٦٣٦ م) والصلاحى (١١٨٧ م) .

وأما (بركة السلطان) فلأنها واقعة بين الخليل ومحطة السكة الحديدية ، على طريق بيت لحم ، وعلى بعد بضع مئات من الأمتار من سور المدينة . لا نعرف متى أنشئت ؟ أو من الذى أنشأها ؟ وإنما نعلم أنها عمرت في زمن الملك الظاهر برقوق (١٣٩٨ م) وفي زمن السلطان سليمان القانوني (١٥٣٨ م) .

وأما (بركة حزقيا) فلأنها واقعة بين سويفه علون وحارة النصارى ، على بعد مشيٍّ مترٍ من القلعة إلى الشمال الشرقى . وتسمى أيضاً بركة البطرىك وبركة حارة النصارى . سميت كذلك لأن الذى أنشأها هو الملك حزقيا . أنشأها داخل سور عام (٧٠١ ق م) ليتمكن من مقاومة الأشوريين الذين جاجعوا فحاصروا المدينة بقيادة ستحاريب . وهي الآن وقف على الحانقة الصلاحية (١) . ومنها (بركة إسرائيل) بين باب الأساطاط وباب حطة ، وكانت قد بُنيَّت تدلى بركة الصحن ، أو بركة الغنم .

ولقد اهتم الرومان بمشروع المياه . وهم أول من فكر في تزويد القدس بماء العرب . فأنشأوا القناة الرومانية المعروفة . ولقد تم ذلك على عهد هيرودس (٣٠ ق م) إذ جر هذا ماء العرب إلى برك سليمان عبر قناة حجرية شفها

(١) (الأنس الخليل) لمير الدين . ص ٤٠٩ .

بين الصخور . وللت بهذه القناة مع الزمن عوامل التهاب . فأراد الولي الروماني بيلاطس بونتيوس أن يعمرها (٢٦ - ٣٦ ق. م) فلما من اليهود ما لاق من الصعب في سبيل تنفيذ مشروعه^(١) . فقاتلهم . وقمع ثورتهم بشدة . ووضع يده على أموال هبكلهم ، وبهذا تمك من تعمير القناة . وهناك من يقول^(٢) إن بيلاطس هذا هو المنشئ الأول لهذه القناة .

وهناك قناة أخرى أنشأها الرومان في أواخر القرن الثاني للميلاد (١٩٥ م) . أنشأها الإمبراطور سبيطيوس سفيروس . وهي قناة حجرية قطرها ٣٨ سنتيمتراً . وخررت القناتان الرومانيتان مع الزمن . ولا سيما عندما هجرت القدس بعد تخريبها من لدن تيطس (٧٠ م) وأدريانوس (١٣٥ م) .

ولا استعادت القدس أهميتها في الفتح الإسلامي ، راح المسلمون يهتمون بأمر تزويدها بالماء . ويقول المستر بودزي مدير مصلحة الأشغال العامة بحكومة فلسطين في تقريره ذي الرقم ١٨٠ بتاريخ حزيران ١٩٣٨ م : إن مشروع الماء على عهدهم كان متيناً إلى درجة أن الصليبيين عندما حاصرواها قاسوا أشد العذاب من جراء العطش وقلة الماء بينما كان سكان القدس أنفسهم في مأمن من هذه الناحية . وكانت لديهم في داخل المدينة مقادير وافية من الماء .

ظلت القدس بعد ذلك تستقي الماء من برك سليمان بوساطة قناة عرفت بقناة السبيل . ولقد عمرت هذه القناة مراراً على يد الملوك . فذكرها المقدسى (٩٨٥ م) وناصرى خسرو (١٠٤٧ م) . وقد اهتم بترميمها السلطان الملك العادل (١٢٠٢ م) . والملك الظاهر بيبرس (١٢٦٦ م) . والأمير تنكر الناصرى^(٣) (١٣٢٦ م) . والملك الظاهر برقوق (١٣٨٢ م) . والملك الظاهر

(١) رسائل بيلاطس من ٩٥ - ١٠٤ .

(٢) "Guide to Beithlehem" by R.W. Hamilton. PP. 94-95.

(٣) (السلوك في معرق دوك الملك) المقتبس من ٢ ج ٢ ص ٣٠٢ .

خوشقدم (١٤٦٠ م) . والملك الأشرف قايتباى (١٤٨٣ م) . ولقد أغار الأتراك العثمانيون مشكلة الماء عنابة خاصة ، فعمروا القناة المتقدم ذكرها في زمن السلطان سليمان (١٥٣٧ م) ، وهو الذي أنشأ معظم السبيل الكائنة في المدينة وفي أطراف الخرم . والسلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) ، وعلى عهده جددت عماره (سبيل شعلان) ، وبنى القلعة الواقعة على طريق الخليل يقصد حماية برك سليمان وتأمين وصول الماء إلى القدس .

و عمرت قناة الماء أيضاً على يد متسلم القدس كنج أحـد أغـا (١٨١٢ م) . وعلى يد منتصـرـها كـامل باشا (١٨٥٦ م) . وـفـريا باشا (١٨٦٠ م) . وفي عام ١٨٩٩ احتـفل بـوصـول مـياه أـرـطـاسـ إلى بـرـكـةـ السـلـطـانـ في حـفلـ حـضـرـهـ كـبارـ رجالـ الحـكـومـةـ وـجـهـرـةـ من رـؤـسـاءـ الشـعـبـ .

يـقـيـنـ أـنـ نـعـلـمـ أـيـنـ تـبـعـ المـيـاهـ التـىـ تـحـمـلـهـ إـلـيـنـاـ هـذـهـ القـنـاةـ .ـ هـنـاكـ (ـوـادـىـ العـرـوبـ)ـ وـقـدـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ .ـ إـنـهـ وـاقـعـ بـيـنـ الـخـلـلـ وـالـقـدـسـ وـعـلـىـ بـعـدـ ٢٢ـ كـيـلوـ مـتـرـاـ مـنـ الـأـخـيـرـةـ .ـ يـبـعـ المـاءـ فـيـهـ مـنـ عـدـةـ عـيـونـ هـىـ :ـ (١)ـ فـرـيـديـسـ (٢)ـ عـدـ الـمـزـرـعـةـ (٣)ـ الـفـوارـ (٤)ـ عـيـنـ الـبـصـ (٥)ـ عـيـنـ الـبـرـادـةـ (٦)ـ عـيـنـ الدـلـلـةـ (٧)ـ عـيـنـ قـوـزـيـاـ .ـ وـهـنـاكـ (ـوـادـىـ الـبـيـارـ)ـ إـنـهـ عـنـدـ الـكـيـلوـ ١٨ـ عـلـىـ طـرـيقـ الـخـلـلـ .ـ فـيـهـ خـمـسـةـ يـنـابـيعـ هـىـ :ـ (١)ـ رـجـمـ السـبـيطـ (٢)ـ رـأسـ الـعـدـ (٣)ـ عـيـنـ فـاغـورـ (٤)ـ خـربـةـ الـقطـ (٥)ـ عـيـنـ الـعـصـافـيرـ .ـ

وـهـنـاكـ أـيـضاـ (ـبـالـوـعـ)ـ إـنـهـ فـيـ السـهـلـ الـوـاقـعـ شـرـقـ الـخـضـرـ عـنـدـ الـكـيـلوـ ١٣ـ عـلـىـ طـرـيقـ الـخـلـلـ .ـ وـهـنـاكـ (ـعـيـنـ أـرـطـاسـ)ـ وـهـىـ أـرـبـعـةـ :

(١)ـ عـيـنـ عـطـنـ (٢)ـ عـيـنـ الـفـروـجـةـ (٣)ـ عـيـنـ صـالـحـ (٤)ـ عـيـنـ الـبـرـكـ .ـ إـنـ الـمـيـاهـ التـىـ تـفـجـرـ مـنـ هـذـهـ عـيـونـ تـنـصـبـ فـيـ (ـبـرـكـ سـلـيـانـ)ـ .ـ خـلاـ عـيـنـ عـطـانـ فـيـهـ لـاـ تـنـصـبـ فـيـ الـبـرـكـ بلـ تـسـيلـ فـيـ الـقـنـاةـ رـأـسـاـ .ـ وـعـدـ هـذـهـ الـبـرـكـ ثـلـاثـ .ـ وـيـدـفـعـ الـمـاءـ مـنـهـ بـمـضـخـاتـ وـآـلـاتـ حـدـيـةـ ،ـ وـيـسـيلـ فـيـ آـنـابـيبـ ،ـ بـعـضـهاـ

حجرية والبعض الآخر حديدية ، فيصل إلى القدس .

ظلت القدس تستقي الماء عن طريق برك سليمان حتى عام ١٩٢٦ م . ولما كثُر عدد السكان ، راحت الحكومة تبحث عن ينابيع جديدة ، ووجدت ضاللتها في (عين فارة) على بعد ١٤ كيلو متراً من القدس إلى الشمال الشرقي . فجرت مياهها للقدس ، وفي عام ١٩٣١ م حزرته بالماء من (عين الفوار) على بعد ستة كيلو مترات من عين فارة إلى الشرق . وفي عام ١٩٣٥ م راحت تستقي الماء من (عين القلط) . ورغم أن مقدار المياه التي كانت تصل إلى القدس من هذه العيون بلغت في عام ١٩٣٥ م (٩٣,٠٠٠,٠٠٠ غالوناً) فإن القدس لم تخلص من ذل العطش بسبب ازدياد عدد سكانها واسع العمran . ولهذا فكرت الحكومة أن تحل المشكلة عن طريق (رأس العين) وبذلك ينبع هذا المشروع بالكلمات الآتية :

(رأس العين) تبعد عن القدس ٣٧ ميلاً وهي إلى الشمال الغربي منها . إنها أعلى من سطح البحر بعشرين متراً وأقل انخفاضاً من القدس بـ ٢,٧٥٠ متراً . فيها نبع غزير ، ينبع منه ألف غالون من الماء في الساعة الواحدة . وما زالت سطحه ثابتاً . ولقد تمكنت الحكومة من جر الماء من هذه العين إلى القدس سنة ١٩٣٥ م . وذلك في أنابيب طولها ستون كيلو متراً ، وقطارها ١٨ بوصة ، بعضها فولاذي والبعض الآخر حديدي . وهناك بين رأس النبع ومدينة القدس أربع محطات ، في كل واحدة منها ثلاثة مضخات ضخمة لدفع الماء : الأولى عند (رأس العين) والثانية في (اللطرون) والثالثة عند (باب الواد) والرابعة في (قرية ساريس) . ولقد أتفققت الحكومة على هذا المشروع ٣٦٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني . وكانت هي المسؤولة عن إدارته من رأس النبع حتى مدخل المدينة ، وفي مدخلها تسلم البلدية المشروع ، وتتصبّع مسؤولية عنه وعن إيصال المياه إلى منازل السكان . وكانت المدينة تستهلك

من ماء رأس العين ١,٦٥٠,٠٠٠ غالون في اليوم الواحد عام (١٩٤٥) ومع هذا فإنه لا غنى للقدس عن مياه الأمطار.

وعلى ذكر الأمطار نقول : إن في القدس ثمانية عشر مرصدًا لتسجيل الأمطار. وأثبتت الأرقام التي تم تسجيلها في خمسون مائة السنة الأخيرة أن المعدل السنوي للأمطار التي هطلت على مدينة القدس بلغ ٥٨٣ مليمترًا.

الباب السابع

القدس كما رأيتها في أواخر عهد الانتداب البريطاني (١٩٤٧)

إداراتها	طرقها	* أهميتها التاريخية
أنماطها	مجاريها	* موقعها الجغرافي
مستوى المعيشة فيها	أمراضها ومستشفياتها	طبقتها
موارد رزقها	تجارتها	جياعها
السياحة	أوزانها ومقاييسها	مياهها وأمطارها
الموظفون	صناعاتها	مساحة أراضيها
المهن الحرة	شركاتها	سكانها
الزراعة	بنوكها ومصارفها	مدارسها
التجارة	جمعياتها ونواديها	مكتابتها
السجارة	بريدها	متاحفها
أعمال البناء	بلديتها	حدائقها

أهميةها التاريخية

لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ . إنها وإن لم تكن من المدن التجارية الحامة ، لا ، ولا من المدن الزراعية أو الصناعية ، رغم وقوعها بين الباادية من الشرق والبحر من الغرب ، إلا أنها كانت ، على مر النهور ، مطمع أنظار الغزاة والقاتجين . فحوضت براراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت ، وأعيد بناؤها ثانية عشرة مرّة في التاريخ . ولكنها ، بالرغم من هذا كله ، ظلت قائمة في هذا الوجود ، وظل اسمها مذكورة في طبيعة المدن والبلدان . ذلك لأنّها مقدسة في نظر جميع الأديان . وإننا لا نتعذر الحق إذا قلنا إن قدسيتها هذه كانت ، في أغلب الأحيين ، السبب في شقاوتها ، وفيها أصحابها من رذلياً ومحن . وهذا قد يتباهى بوضوح في الفصول السابقة .

وكما إننا حرصنا ، في تلك الفصول ، على وصف الحالة التي كانت عليها القدس في العهود الغابرة ، فإننا لأنّي بدأ من وصف الحالة التي هي عليها اليوم ، والقين من أن وصفنا هذا سيصبح ، في يوم من الأيام ، تاريخاً للأجيال القادمة .

موقعها الجغرافي

إنها واقعة بين البحر الميت من الشرق ، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب ، تبعد عن الأول ١٨ ميلاً وعن الثاني ٣٢ ميلاً . وهي مرتفعة نحو ٣٨٠٠ قدم عن سطح البحر الميت و ٢,٥٠٠ قدم عن سطح البحر الأبيض المتوسط .

طقسها

طقسها جميل . وجوها صاف وموالها عليل يهب عليها من البحر نسيم بليل ، فيلطف حرها في أشهر الصيف ، ويبرد هواها في الليل . ويكثر فيها الندى حتى ليتبال به وجه الأرض وتقتصر الأشجار .

الربيع فيها معتدل . وكذلك قل عن الخريف . وأما في الصيف فتتراجع درجة الحرارة بين ٧٧ و ٨٦ بميزان فارنهایت . وقد ترتفع في بعض الأحيان إلى المئة فتصبحها رياح جافة من الشرق والجنوب .

ولا تهب الرياح فيها من الشمال . وألطاف الرياح هي التي تهب من الشمال الغربي . وأما الرياح الغربية فلنها كثيرة المبوب في فصل الشتاء ، وكثيراً ما يعقبها أمطار .

وفصل الشتاء يسود في أغلب السنين من شهر كانون أول (ديسمبر) حتى شهر آذار (مارس) وهو بارد ، ويهطل الثلج في بعض السنين ، ولكنه لا يسود طويلاً .

جباهها

القدس مدينة جبلية ؛ وكانوا فيها مضى يقولون إنها قاعدة على خمسة تلال : (موريا) وهي الأكمة التي يقوم عليها الحرم القدس . (أوفل) وهو السفح المطل على قرية سلوان من ناحية الحرم . (صهiron) وهو التل المطل على بركة السلطان من الغرب وقرية سلوان من الشرق ، ويقوم عليه حي النبي داود . (عكرة) حيث تقوم حارة النصارى في الوقت الحاضر . (بيزريتا) وهو التل المتند من باب حطة إلى باب العامود وما جاورهما .

وأما اليوم ، وقد اتسعت المدينة من جميع نواحيها ، فقد أصبح أمراً لازماً أن يضاف إلى تلك التلال ، تلال وآكام أخرى ؛ منها وأهمها : (جبل الزيتون) و (جبل المشارف) و (القلطمون) و (المكبر) . ومعظم هذه الجبال جرداً ، لا أشجار فيها ولا غابات . وإنما تقوم عليها مبان ، تعتبر اليوم من أجمل مباني المدينة .

أما (جبل الزيتون) فإنه واقع شرق المدينة . وإن تاريخه متصل بتاريخها . وهو لها ، من الناحية الحربية ، بمثابة الروح من الجسد . . فيه خطت جيوش الرومان رحلتها على عهد تيطس (٧٠ ق.م) . . وكذلك فعلت معظم الأمم التي هبّت هذه الديار من قبل ومن بعد . فإن داود الملك عندما غادر أورشليم بسبب الثورة التي أوقده نارها ولده أبسالوم (١٠٤٩ ق.م) أم جبل الزيتون ؛ ومنه ألقى على أورشليم نظرة الوداع ، فراح يبكي .

وكذلك فعل السيد المسيح (٣٠ م) . فإنه كثيراً ما كان يتردد إلى هذا الجبل . وصنلما شعر بأن اليهود عازمون على الغدر به ، راح يتنقل من مكان

إلى مكان في سفوحه . ولا بد أن القارئ الكريم يذكر أنه (أي السيد المسيح) التفت في المرة الأخيرة ، وهو سائر صعداً في سفحه الغربي ، إلى أورشليم ، ومخاطبها قائلاً : « يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء ورابة المسلمين ، كم مرة أردت أن أجمع أبنائك كما تجمع التجاجة أفرانخها . . . ولكن لم يربدوا . . . » والاعتقاد سائد بين المسيحيين بأن السيد المسيح صعد من على هذا الجبل إلى السماء . وللنقاري هنا عدد من الكتاكيش والأديكار .

وهو مقلس في نظر المسلمين . فقد ورد ذكره في القرآن الكريم :

« والذين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين (١) » . ولقد عسكرت جيوش المسلمين فيه على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٦٣٦ م) وعلى عهد صلاح الدين (١١٨٧ م) . وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتحين العرمي والصلاحي .

وأما (جبل المشارف) فإنه في شمال المدينة ومتصل بجبل الزيتون . ويسميه المقدسون بالمشهد . والفرنجة باسكوبس . منه أطل القاتح المقدوني العظيم المعروف باسكندر ذى القرنين على المدينة عندما جاء لفتحها (٣٣٢ ق . م) وعليه تقوم الآن أجمل منازل المدينة ، والجامعة العربية والمستشفي اليهودى المعروف بهداسا ، ومقدمة أقامها الإنجليز لوتاهم الدين لاقوا حتفهم في معارك بيت المقدس أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) .

وأما (القطمون) فإنه واقع جنوب المدينة من الغرب . عليه دير قديم للروم يعرف بدير سمعان . بينه وبين محطة السكة الحديدية من الشرق سهل فسيح يعرف بالبقعة .

وأما (جبل المكبر) فإنه كائن قبل المدينة وإلى الشرق من محطة السكة الحديدية . يفصل بينه وبين جبل الزيتون واد يعرف بواadi سلوان ، وبينه

(١) سورة التين .

وين حبل صهيون واد يعرف بوادي الريابة .

كانت فيها ماضى يسمونه (جبل المذكرة) و (جبل المشورة الفاسدة).
ويعتقد البعض أنه كانت تقوم عليه دار المجتمع المعروف بالستيريم . تلك
الدار التي قابل فيها يهودا الأشعريوطى الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي ؛
وتأمر بهم على تسلیم السيد المسيح وصلبه .

وعلی جانب من هذا الجبل هضبة يقوم عليها ضريح المجاحد الإسلامي المعروف بـ (أبي ثور). ومن هنا جاء اسم الجبل الذي يقوم فوق هذه الهضبة : حتى أبي ثور. ومن أعماله جبل الثوري . و (أبو ثور) هذا^(١) هو لقب الشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن جمال الدين بن عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالقرشي . وهو من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين . وكان يركب ثوراً.

وعلى جانب آخر من هذا الجبل كان يقوم ، في أواخر العهد التركي وأوائل الاحتلال البريطاني ، حتى يهودي عرف : (بني يوسف) . ولكن اليهود راحوا يتزحرون عنه في أوائل القرن العشرين لبعده عن الأحياء اليهودية الأخرى . ثم هجروه بالمرة إثر الثورة التي قامت في البلاد عام ١٩٢٩ . فاشتراه سليم العرب سكان النبي في يومنا هذا .

سیاهها و مطرارها

مياهها قليلة ، لا نهر فيها ، ولا ينبع . وإنما هناك آبار تتجمع فيها مياه الأمطار في فصل الشتاء . ويبلغ معدل الأمطار التي هطلت خلال قرن

(١) (الأئم الجليل) لغير الدين من ٤١٠ و (عبر الأنساب في الديار القدسية) للسيد حل المركضي من ٧٠ و (سوانح الأئم في رحلتي لواادي القدس) للرحاولة ممعلق المقسي خطوطه، من ١٧٦.

واحد (١٨٤٥ - ١٩٤٥ م) ٦٢٠ مليمتراً.

ولقد قاست القدس على مر الدهور ، ما قاست من جراء قلة الماء . وأما في يومنا هذا فلها تشرب من الصهاريج التي تجمع منها مياه الأمطار ومن ثلاثة ينابيع كبيرة . أما الصهاريج ففي استطاعتنا أن نقول إنه ليس ثمة منزل من منازل القدس إلا وفيه صهريج من هذا القبيل . وأما الينابيع فواحد منها في (عين فارة) . وهي واقعة إلى الشمال الشرقي من المدينة وعلى بعد ثمانية أميال منها . والثاني عند (رأس العين) . وهي واقعة إلى الشمال الغربي منها وعلى بعد ٣٧ ميلاً . وأن الماء الذي يأتيها من النبع الثاني لا يغدر من الأول . وهناك أيضاً (برك سليمان) والينابيع التي حولها . و (وادي العروب) ، مما قد فصلناه في غير هذا الموضوع من الكتاب . فليرجع إليه من شاء . وما نريد أن نقوله هنا هو أن القدس تشرب الماء في يومنا هذا بكثرة والنظام أكثر من أي وقت سبق .

مساحة أراضيها

٢٠,١٩٩ دونماً - منها ٨٦٨ دونماً في المدينة القديمة داخل السور ، و ١٩,٣٣١ دونماً في المدينة الجديدة خارجه . يملأ العرب منها في المدينة القديمة ٧٦٨ (أي ٨٨,٤٪) واليهود ١٠٠ (١١,٥٪) وأما في المدينة الجديدة فالعرب ١٠,٤١١ (٥٣,٨٪) واليهود ٥,٠٥٠ (٢٦,١٪) والحكومة ٥٦٠ (٢,٨٪) ، وهناك ٣,٣١٠ دونمات (١٧,١٪) عبارة عن طرق ومبادرات عامة وسكة حديدية وما إلى ذلك مما يشترك الجميع في ملكيته . ويمكننا تلخيص الأرقام المتقدم ذكرها ، من حيث الملكية في المدينة كلها داخل الأسوار وخارجها ، كما يلى :

اللُّرَب	<u>دُوْنٌ</u>	
	<u>١١,١٧٩</u>	أى ٥٥,٣٤ % (يدخل في هذا الرقم أراضي الطوائف المسيحية)
لليهود	٪ ٢٥,٦٦	٥,١٥٠
للحكومة	٪ ٢,٧٧	٥٦٠
طرق ومبادين عامة	٪ ١٦,٣٤	٣,٣١٠
	<u>٪ ١٠٠</u>	<u>٢٠,١٩٩</u>

هذه الأرقام اقتبسناها من مصلحة تسوية الأراضي (فرع الفرائض) التابع لحكومة فلسطين . والدونم عبارة عن ألف متراً مربع .

سُكَانُهَا

كان عدد سكان مدينة القدس في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، مئة وأربعة وستين ألفاً وخمسة ، موزعين كما يلى :

جُمُع	يهودي	عَرَبٌ	
٣٦,٠٠٠	٢,٤٠٠	٣٣,٦٠٠	فِي الْبَلَدَةِ الْقَدِيمَةِ دَاخِلِ السُّورِ
٣٩,٠٠٠	٩,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	فِي الْجُزْءِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْبَلَدَةِ الْبَلْدِيَّةِ
٨٩,٥٠٠	٨٨,٠٠٠	١,٥٠٠	فِي الْجُزْءِ الْيَهُودِيِّ مِنَ الْبَلَدَةِ الْبَلْدِيَّةِ
<u>١٦٤,٥٠٠</u>	<u>٩٩,٤٠٠</u>	<u>٦٥,١٠٠</u>	

وهذه الأرقام اقتبسناها من تقرير رفعه المستر جون مارتن المستشار البريطاني للنوابي إنجلترا في هيئة الأمم المتحدة بليليك مكبس . وإتنا لا نرى بدأ من الرجوع إلى السنتين الفائتة لترى كم كان حد :

الطوائف المختلفة التي كانت تعيش فيها ، وعدد كل طائفة منها بالنسبة للطوائف الأخرى فنقول :

كان المسلمين فيها مرضى كثرة والسيحيون قلة في المدينة . وظلوا كذلك من الفتح العموي حتى الفتح الصلاحي . فقد أشار إلى هذه الحقيقة سبط بن الجوزي في كتابه (مرآة الزمان) . إذ قال إنه كان في القدس عندما احتلها الصليبيون (١٠٩٩ م) مائتا ألف نسمة . وفي اعتقادى أن نصف هذا العدد جدير بأن يعتبر من سكان المدينة الأصليين والنصف الآخر من سكان المدن والقرى المجاورة جاءوا ليشركوا مع سكانها في الدفاع عنها . ولم يكن فيها يومئذ يهودي واحد .

ولما احتلها صلاح الدين (١١٨٧ م) غادرها معظم المسيحيين من استطاعوا دفع الجزية التي فرضها عليهم . ومن لم يستطع منهم دفع الجزية بقي فيها . وعدد هؤلاء كما ذكر المؤرخون كان يومئذ خمسة عشر ألفاً . وأما عدد سكان المدينة كلها فكان يومئذ أربعة وأربعين ألفاً . وقال السائح اليهودي بناحيا الذي زار القدس عام ١٨٠٠ م إنه لم يكن فيها سوى يهودي واحد . وأحصى سكان المدينة على عهد السلطان محمد الرابع (١٦٧٠ م) . فكانوا ستة وأربعين ألف نسمة . منهم ١٥٠ يهودياً . ولا نعلم شيئاً عن عدد المسيحيين في ذلك الحين .

وذكر سركيس في كتابه (السير السليم في تاريخ أورشليم) أن عدد سكان القدس كان في عام ١٨٩٠ كالتالي :

مسلمون	٧,٦٠٠	% ١٦,٨٨
سيحيون	٧,٢٠٠	% ١٦,٠١
يهود	٣٠,٢٠٠	% ٦٧,١١
	٤٥,٠٠٠	% ١٠٠

وأزداد عدد السكان بعد ستة أعوام (١٨٩٦م) ليبلغ خمسين ألفاً .
وعندما زارها إمبراطور ألمانيا (١٨٩٨م) كان فيها تمانون ألفاً .
وبلغ عدد سكانها قبيل الحرب الكونية الأولى (١٩١٣م) تسعين ألفاً .
وانخفض هذا العدد بسبب الحرب فأصبح في نهايتها (١٩١٧م)
خمسين ألفاً .

ثم عاد ، فارتفع في أوائل الاحتلال البريطاني (١٩٢٠م) إلى واحد
وستين ألفاً مقسماً كما يلي :

مسلمون	١٦,٠٠٠	% ٢٦,٢٢
مسيحيون	١٥,٠٠٠	% ٢٤,٥٩
يهود	٣٠,٠٠٠	% ٤٩,١٩
	٦١,٠٠٠	% ١٠٠

وفي نهاية عام ١٩٤٤ ارتفع عدد السكان إلى ١٥٧,٠٨١ مقسماً كما يلي :

مسلمون	٣٢,١٢٨	% ٢٠,٤٥
مسيحيون	٢٨,١٤٦	% ١٧,٩١
يهود	٩٤,٩٤٢	% ٦٠,٤٤
آخرون	١,٨٦٥	% ١,٢٠
	١٥٧,٠٨١	% ١٠٠

وهي اليوم (١٩٤٧) ، كما ذكرنا في أول هذه السطور ١٦٤,٥٠٠ نسمة .

مدارسها

في القدس مصلحة حكومية للتعليم يقوم على رأسها (١٩١٤ - ١٩٤٧ م) مدير إنجليزي يساعدته خمسة من رجال الإنجليز . ويعمل تحت إمرته في الإدارة العامةاثنان وعشرون موظفاً فلسطينياً : اثنا عشر منهم عرب مسلمون ، وستة عرب مسيحيون ، وأربعة يهود . وهذه الآلة الحكومية مسؤولة عن شؤون التعليم في فلسطين كلها ، وليس في القدس وحدها .

وأما القدس نفسها فإن فيها متين وخمس مدارس هي ملك مختلف الأجناس والعناصر والأديان . وفيها يلقي أسماء هذه المدارس وعدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات من كل طائفة ، كما اقتبستها من سجلات مصلحة المعارف (١٩٤٥ م) (١)

فهناك سبع مدارس إسلامية خصوصية وهي :

١ - كلية روضة المعارف الوطنية . ٢ - الكلية الإبراهيمية . ٣ - المدرسة الحمدانية . ٤ - مدرسة الفلاح . ٥ - مدرسة الحكمة . ٦ - مدرسة البناء الإسلامية . ٧ - دار الأيتام الإسلامية .

واحدى عشرة مدرسة حكومية للعرب من مسلمين ومسيحيين هي :

١ - الكلية العربية . ٢ - دار المعلمات . ٣ - المدرسة البكرية . ٤ - المدرسة العمرية . ٥ - مدرسة المصراة . ٦ - مدرسة الشيخ جراح . ٧ - الكلية الرشيدية . ٨ - المدرسة العلوية . ٩ - مدرسة البقعة . ١٠ - المأمونية

(١) وفي كتابي المحصل عن (تاريخ القدس) ذكرت موقع كل مدرسة والتاريخ الذي أنشئت فيه كما ذكرت اسم مؤسساها ، وعدد الطالب والطالبات والمعلمين والمعلمات ، ومستوى التعليم في كل واحدة منها . ظل يرجع إليه من شاء التفصيل .

القديمة . ١١ — الأمونية الجديدة .

والتعليم في المدارس الحكومية ليس يلتجئ إلى (من الصف الأول إلى الخامس) بالجانب . وأما في الصنوف العليا فيدفع الطالب في الصنفين السادس والسابع (ابتدائي) ٥٠٠ ملا في السنة . وفي الصنفين الأول والثاني (ثانوي) جنيهًا واحداً ، وفي الثالث والرابع جنيهين . وأما المدارس الخصوصية فلكل منها لقنة خاصة ، لا تتدخل الحكومة في تعبيتها .

وسبعين وثلاثون مدرسة مسيحية خصوصية هي :

- ١ — مدرسة الروم الأرثوذكس . ٢ — المدرسة الأرثوذك司ية للبنات .
- ٣ — مدرسة السريان الأرثوذكس . ٤ — مدرسة الأرمن الابتدائية . ٥ — كلية اللاهوت الأرمنية . ٦ — مدرسة ترا سانطة للبنين . ٧ — مدرسة ترا سانطة للبنات .
- ٨ — ميم ترا سانطة للبنين . ٩ — ميم ترا سانطة للبنات . ١٠ — كلية ترا سانطة . ١١ — كلية الفريير ١٢ — مدرسة الفريير للبنين . ١٣ — مدرسة مار يوسف . ١٤ — مدرسة نوتردام دو سيون . ١٥ — ميم نوتردام دو سيون .
- ١٦ — مدرسة مار قasan . ١٧ — مدرسة ماريير دو سيون . ١٨ — مدرسة الإرسالية الفرنسية . ١٩ — المدرسة الساليرية . ٢٠ — مدرسة سان جورج الإنجليزية . ٢١ — كلية شميدt الألمانية للبنات . ٢٢ — كلية البنات الإنجليزية .
- ٢٣ — مدرسة صهيون . ٢٤ — مدرسة كنيسة يسوع للبنات . ٢٥ — المدرسة السويدية . ٢٦ — مدرسة الأرمن البروتستانت . ٢٧ — بستان لأطفال الروم .
- ٢٨ — المدرسة الأرثوذك司ية الوطنية للبنين . ٢٩ — مدرسة الأرمن الكاثوليك . ٣٠ — مدرسة سيدة صهيون الإنجليزية . ٣١ — مدرسة البخالية الإنجليزية .
- ٣٢ — مدرسة الأمة . ٣٣ — كلية النهضة . ٣٤ — مدرسة الشفقة . ٣٥ — المدرسة الأسقفية . ٣٦ — دار الأيتام السورية (شنلر) . ٣٧ — الصلاحية .

وهناك تسع وتسعم مدرسة يهودية ، بين عمومية وخصوصية . أما العمومية فإنها تدار بأموال خصوصيتها حكومة فلسطين لليهود من خزانة الدولة . وأما الخصوصية فإنها تدار بأموال تبرع بها بعض المؤسسات اليهودية وعدد من أثرياء اليهود .

· ومن المدارس العمومية اليهودية :

تسعة بساتين للأطفال في زكرون موسى ، ومذكرة موسى ، وعين موسى ، وبحنة يهودا ، وشعون صادق ، وسبعات شامول ، وبيت هايلد ، وكرن إبراهام .

وبستان لأطفال العمال ، ومدرسة ابتدائية للعمال أنفسهم .

وتشمل مدارس ابتدائية في رحافيا ، وتل بيروت ، وصوفيف ، وشقول ، وروحاما ، وتحكوف ، وغيره ، وبيت مناحيم ، وكرن إبراهام .

وعدد من الكتائب للمزارعين ، والسفراديم ، وأبناء اليمن
وآخر للبنات المزارعيات

وثلات مدارس ثانوية في بيت هاكلير ، وبفروت ، وعمل
ومدرسة رفقا صوماخ ، ودورش صهيون ، وبصاليل الجديدة .

ودار للتربيّة ، ودار لتعليم العبرية ، ودار للمعلمين المزارعين ، ودار
للعلماء المزارعيات .

· ومن المدارس الخصوصية اليهودية :

أربعة وثلاثون بستان للأطفال

وتشمل عشرة مدرسة ابتدائية

وست مدارس ثانوية ، وثلاث وثلاثون مدرسة لتعليم التلمود ، وست دور
للأيتام ، ودار للفنون ، ومدرسة تجارية للبنين ، وأخرى للبنات ، وثلاث
دور للمعلمات ، ومدرسة زراعية .

ومنك (الجامعة العربية) على جبل الزيتون . وهي الجامعات الوحيدة لا في القدس وحدها وإنما في فلسطين .
ويتلخص عدد الطلاب والطالبات والمعلمون والمعلمات في المدارس المتقدم ذكرها كما يلي :

	العدد	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المدارس الإسلامية الخصوصية	١٤	٤٦	٢٨٠	١١٠١	٧
المدارس العربية الحكومية					
إسلامية ويسوعية	٥٧	٦٨	١٨٦١	١٩٠٠	١١
المدارس المسيحية الخصوصية	٢٦٩	١٩٣	٣٨٥٣	٤٣١١	٣٧
المدارس اليهودية العمومية	٢٠٣	٢٧٧	٥١٨٨	٤٠٤٣	٣٠
المدارس اليهودية الخصوصية	٣٠٧	٣٦٢	٥٣٩٥	٦٦٣٠	٦٩
	<hr/>	<hr/>	<hr/>	<hr/>	<hr/>
	٨٥٠	٩٤٦	١٦٢٧٧	١٧٩٨٥	١٥٤

وبعبارة أخرى :

	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المسلمون	٣٥٠٢	٢٣٠٧	١٠٧	٥٣
المسيحيون	٣٤١٦	٣٠٩٨	٢٠٠	٢٨٧
اليهود	١١٠٦٧	١٠٨٧٢	٦٣٩	٥١٠
	<hr/>	<hr/>	<hr/>	<hr/>
	١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وإنه بحدير بالذكر أن اليهود تمكنوا في عهد الانتداب من الحصول على حصتهم من الأموال التي خصصت للتعليم ، فأنفقوها كما يشأون ، وأنشأوا من المدارس ما هم في حاجة إليه ، وساروا في إدارة مدارسهم على مناهج وضعوا أنسها بآرائهم ، فلم يتسلل الإنجليز في شروذهم من هذه الناحية .

على التقىض من الخطأ التي ساروا عليها في إدارة المدارس العربية الحكومية .
فقد كانوا (أي الإنجليز) يديرونها كما يشاءون ، ويرسمون متجهها كما
يرغبون .

دور الكتب

وفي القدس نسع وأربعون مكتبة ، تنشئها الجماهير في أي وقت شاءت .
ولأننا لذا كررها فيما يلي حسب تاريخ تأسيسها :

- | | |
|------|--|
| ١٥٥٨ | ١ - مكتبة القديس المخلص |
| ١٧٢٥ | ٢ - مكتبة الخليل |
| ١٨٦٥ | ٣ - مكتبة البطريركية الأرثوذك司ية |
| ١٨٩٠ | ٤ - مكتبة كنسية القديس جورج |
| ١٨٩٠ | ٥ - المكتبة الإنجيلية الأثرية الفرنسية |
| ١٨٩٢ | ٦ - مكتبة الجامعة العبرية |
| ١٨٩٥ | ٧ - مكتبة الجمعية الروسية الأرثوذك司ية |
| ١٩٠٠ | ٨ - المكتبة الخالدية |
| ١٩٠١ | ٩ - مكتبة المدرسة الأميركية للبحث عن الآثار
الشرقية |
| ١٩٠٢ | ١٠ - مكتبة المعهد الألماني الإنجيل |
| ١٩١٦ | ١١ - مكتبة بصاليل الصناعية |
| ١٩٢٠ | ١٢ - مكتبة الكلية العربية |

- ١٣ - مكتبة مدرسة الآثار البريطانية ١٩٢٠
- ١٤ - مكتبة مصلحة الزراعة بحكومة فلسطين ١٩٢٠
- ١٥ - مكتبة مصلحة المعارف بحكومة فلسطين ١٩٢٠
- ١٦ - مكتبة القوانين في محكمة العدل العليا ١٩٢٥
- ١٧ - مكتبة المسجد الأقصى ١٩٢٧
- ١٨ - مكتبة الآباء اليسوعيين ١٩٢٧
- ١٩ - مكتبة المتحف الفلسطيني ١٩٢٨
- ٢٠ - مكتبة مدرسة نيون للإرساليات ١٩٢٨
- ٢١ - مكتبة غولينجيان الأرمنية ١٩٢٩
- ٢٢ - مكتبة الدراسات الإنجيلية الفرنسية ١٩٢٩
- ٢٣ - مكتبة بني بريت في أورشليم ١٩٣٠
- ٢٤ - مكتبة جمعية الشبان المسيحيين ١٩٣٣
- ٢٥ - مكتبة دار التوين للشؤون الاجتماعية ١٩٣٤
- ٢٦ - مكتبة شوتز ١٩٣٥
- ٢٧ - مكتبة مصلحة الإحصاءات بحكومة فلسطين ١٩٣٦
- ٢٨ - مكتبة معهد الأبحاث الاقتصادية بالوكالة اليهودية ١٩٣٦
- ٢٩ - مكتبة مصلحة الإذاعة بحكومة فلسطين ١٩٣٦
- ٣٠ - مكتبة المعهد الثقافي الفرنسي ١٩٣٧
- ٣١ - مكتبة يشارون ١٩٣٩
- ٣٢ - مكتبة العمال ١٩٤٠
- ٣٣ - مكتبة المعهد البريطاني ١٩٤٤
- ٣٤ - مكتبة قلم المطبوعات بحكومة فلسطين ١٩٤٤

وهنالك مكتبات لا نعرف تاريخ إنشائها : كمكتبة دير الصليب الأثوذكسي ، ومكتبة الآباء الفرنسيسين ، والمكتبة الكائنة في دير الدومينican .

ومكتبات خصوصية ، يملكونها بعض الأشخاص والأسر : كالمكتبة التي أنشأها الشيخ خليل التحالبي ، وعبد الله مخلص ، وإنصاف الشاشبي ، وإحق موسى الحسيني ، وخليل السكافيني ، ومؤلف هذا الكتاب ، وغيرهم كثيرون .

ومكتبات عائلية كالمكتبة الحسينية ، والمكتبة الودادية ، والمكتبة الفخرية آل أبي السعود ، ومكتبة آل جار الله ، ومكتبة آل قطينة ، ومكتبة آل البديري ، ومكتبة آل الإمام ، ومكتبة الترجمان .

متاحفها والجمعيات التي تبحث عن آثارها

في القدس متاحف كثيرة : نذكر منها : (المتحف الحكومي) وهو في طليعتها . ولقد أنشئ هذا المتحف بمال وهبته الرئيسي الأميركي المعروف روكيهيلر J.D. Rockefeller فقد رصد هذا (١٩٢٧ م) مشروع المتحف مليونين من الدولارات . صرف منها نصف مليون للبناء ، ونصف مليون للأثاث والكتب ، واحتفلت في بنك إنجلترا بـ مليون دولار ليصرف ريعها على إدارة المتحف . وتولى عمارة كبير المهندسين الحكوميين في ذلك الحين المستر هاريسون B. Harrison . وفتح المتحف أبوابه للجمهور سنة ١٩٣٨

إنه كائن تجاه الزاوية الشمالية الشرقية للسور ، وعلى بعد بضعة أمتار منه ، بين باب الساهرة والباب المعروف ببادى الجوز . فيه مجموعة قيمة من الآثار الفلسطينية وفيه مكتبة قيمة .

وهناك (التحف الإسلامي) أُسسه المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٣ . وهو كائن في بناء من أحجية الحرم ، على مقربة من المسجد الأقصى . فيه مجموعة قيمة من الخزف والبلاط الفاشاني النقيس ، ومجموعة من التقوش القديمة ، والكتابات العربية المكتوبة بالخط الكوف ، والتواقد القديمة المرصعة بالفسيفساء وجموعة من المصاحف الشريفة والتقويد التي سكت في العهود الإسلامية الأولى في القدس جمعيات عديدة تبحث عن الآثار ؛ منها : المدرسة البريطانية للبحث عن الآثار The Pale. Exploration Fund. Brit. School of Archeology وجمعية البحث عن الآثار الفلسطينية ؛ والمدرسة الفرنسية للبحث عن التوراة والأثار القديمة Ecole Biblique et Archeologique Francaise والمهد الشرقي بالجامعة شيكاغو The Oriental Institute of the University of Chicago وبالجامعة العبرية ، والجمعية اليهودية للبحث عن الآثار الفلسطينية . والمهد الشرقي الألماني . والمهد الإنجيلي الألماني للبحث عن آثار القرون الوسطى في البلاد المقدسة والمدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية . American School of Oriental Research

حدائقها

في القدس ، من الحدائق والميادين العامة ، أربع عشرة حديقة وميداناً . بمجموع مساحتها سبعة وسبعون دونماً ، كلها خارج السور . وليس بداخل السور حديقة واحدة ، أو ميدان يتجمع الناس فيه خلا ساحة الحرم القدس . هذا عن الحدائق العامة ، وأما الحدائق الخاصة ، فإنها كثيرة ، ولا سيما خارج السور ، يكاد لا يخلو منها منزل واحد .

طرقها

بلغت طرق المدينة التي تصل بين الأحياء ويطرقها بالجمهور من الطول ، عام ١٩٤٧ م ، مائة وستة وأربعين كيلو متراً . منها ٩٦ كيلومتراً معبد ومرصوف بالأسفلت . والباقي غير معبد ، ولا مرصوف .

وهناك طرق معبدة ومرصوفة رصفاً متقدماً تربط القدس بالبلاد المجاورة . منها : (طريق القدس - ياغا) أنشئت لأول مرة سنة ١٢٨٤ للهجرة وعبدت في أوائل القرن العشرين . إنها أقدم طريق معبدة . طولها ٦٣ كيلومتراً . و (طريق القدس - نابلس) بدأ الأتراك في إنشائها سنة ١٩٠٣ م . وأتموها في سنة ١٩٠٧ م . وطولها ٦٥ كيلو متراً . وقد رصفت بالأسفلت في أوائل الاحتلال البريطاني . و (طريق القدس - أريحا - جسر النبي) طولها ٤٦ كيلو متراً ونصف الكيلو متراً . و (طريق القدس - الخليل - بئر السبع) . طولها ٩٨ كيلومتراً . وهي أول طريق عبدها الإنجليز بعد الاحتلال .

وفيها محطة للسكة الحديدية ، وهي واقعة في جنوب المدينة ، منع امتياز هذا الخط ، بادىء ذي بدء ، إلى يوسف نافون أفندي سنة ١٨٨٨ م . وكانت مدته ٧١ سنة . ثم باع صاحب الامتياز امتيازه هذا سنة ١٨٨٩ إلى شركة الخطوط الحديدية العثمانية لليافا - القدس ، وهي شركة فرنسية . فباشرت هذه عملها في السنة نفسها وأنتهت في شهر أيلول سنة ١٨٩٢ م . فربطت القدس بليافا بسكة حديدية .

إن خط ضيق عرضه متراً واحداً وطوله ٨٧ كيلومتراً . يجتاز في طريقه ١٧٦ جسراً . سبعة منها حديدية ، والباقي من حجر .

مجاريها

في القدس مجرى لنصرىف الأقدار ، يتبع في معظم اتجاهاته المجرى الرومانى القديم^(١). وهذا المجرى يقطع المدينة القديمة من الشمال إلى الجنوب . فيبدأ عند باب العمود ، ثم يمر محارة الواد وباب السلسلة وحارة المغاربة ، إلى أن ينتهى عند القرية المعروفة بسلوان قبل المدينة ، ولقد نفع هذا المجرى المدينة قرابة خمسة عشر قرناً . وظهر من الحجارة المتنوعة التي استعملت في بنائه أنه رمم مراراً وتكراراً بعد الفتحين : العموى والصلاحى ، وفي زمن المماليك والأترابك . هذا هو المجرى الأساسى في المدينة القديمة . وله مجاري فرعية تصل بيته وبين أحياه المدينة الأخرى داخل السور .

وأما في الأحياء الجديدة ، خارج السور ، تلك الأحياء التي ظهرت في أواسط القرن التاسع عشر ، فإن كل ما نعرفه عن مجاريها ، أن الأتراب ربطوا في أواخر عهدهم بهذه البلاد القطاع الكائن بين باب العمود والمصراة والكرم المعروف بسعد وسعيد بالجرى الرومانى المتقدم ذكره .

وأنشأت حكومة فلسطين ، في أوائل عهد الاندماج (١٩٢٠ م) ، مجرى جديدأً في القطاع الكائن بين باب الخليل وفندق الانتقى ، على بعد نصف ميل

(١) ورد ذكر مجرى الأقدار في عدد كبير من الكتب والأسفار . ومنه يفهم أن الرومان أنشأوا خلال القرن الأول للبلاد ، مجرى لنصرىف الأقدار . وأيهم عادوا في القرن الرابع فأنشأوا مجرى آخر . ويجوز أنهم في المرة الثانية لم يستروا مجرى جديداً وإنما سروا المجرى القديم . ولقد ذكرنا ذلك بشيء كثير من الإسهاب في الكتاب الذى بحثنا فيه (تاريخ القدس) بالتفصيل . وفيه أشرنا إلى المخريات التي قام بها بلدية القدس في عام ١٩٢١ - ١٩٤٢ والتي أدت إلى العثور على المجرى القديمة .

من الباب المذكور إلى الغرب ، وعند الباب تم اتصاله بالحبرى القديم .
وتابعت الحكومة المشار إليها عملها ؛ فأضافت بعض الأقسام الجديدة إلى
الحبرى القديم ، وربطت به الأحياء الآتى ذكرها : — مياشوريم . بيت إسرائيل .
شنلر . كرم رصاص ، طريق الحبس . شارع تشانسلور . رونخاما . المركز
التجارى (الشاعا) . الحى الكائن بين ماملا والمركز التجارى . فندق الملك
داود . الحى الكائن بين محنة يهودا وباب التخليل . الحى الكائن بين جبل الزبون
والمحف الفلسطيني من وادى الخوز . الحى الكائن بين قشلاق النبي وبركة
السلطان على طريق بيت لحم .

وبحفرت البلدية ، حوالى عام ١٩٣٨ ، مجرى كبيرا لتصريف الأقدار من
باب العامود فوادى الخوز ، فالحسانية ، فوادى قلرون ، إلى أن ينتهى في
وادى السواحة قبل قرية سلوان .

ولقد وقفت حركة إنشاء المباني في الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤ م)
لقلة الأسمنت وال الحديد والمواد اللازمة للتعهير والإنشاء .

حدثنى الخبراء فقالوا إن في القدس اليوم (١٩٤٦ م) مباني ، طولها ستة
خمسون كيلو متراً . ثمانية منها قديمة (ستة في داخل سور واثنان في خارجه)
وثمانية وأربعون حديثة ، كلها خارج سور . والمباني الحديثة أيضاً مرتبطة
بالحبرى الرومانى القديم . وهى عبارة عن قساطل مصنوعة من الخزف المدهون .
ذات قطر يتراوح بين الست بوصات والأربع والعشرين بوصة .

أمراضها ومستشفياتها

الأمراض المعروفة بالقدس . والمنتشرة فيها أكثر من غيرها ، هي :
التزلة الصدرية . التيفوئيد : مرض الزهرى . التدبر الرئوى . السعال الديكى .

الخمرة . الحصبة . الديزانتاريا . داء الخانق . الحمى التفاسية . الالتهاب السحائي . الالتهاب الشمالي في الأعصاب . الجلدام .

وفي القدس (مصلحة حكومية) أسيت لمكافحة هذه وغيرها من الأمراض وفيها ستة عشر مستشفى ، إلينك أسماءها ومواقعتها :

(مستشفى الحكومة) واقع غرب المدينة وفي المكان المعروف بالمسكوبية ، فيه دار للولادة وفرع للجراحة وآخر للأمراض الباطنية . وفيه مدرستان : واحدة لتدريب المرضيات ، وأخرى للقايدات . . وهو من أملاك الروس .

(المستشفى الفرنسي) واقع على مقربة من سور المدينة إلى الشمال ، تجاه الباب الجديد . بناء الكونت دي بيللا Count De piellat ١٨٨٠ ، إنه من أملاك الآباء الانظاليين . ويسميه الفرنسيون (مستشفى القديس لويس) (مستشفى مار يوحنا) واقع في البقعة ، على طريق باب الخليل — الخطة . وهو للعيون . بني عام ١٨٦١ . يسميه الإنجليز مستشفى سان جون . وهو تابع للإرسالية التبشيرية الإنجليزية .

(مستشفى تيخو) وهذا أيضاً خصص لعلاوة أمراض العيون . أسيت في أول الأمر جمعية ألمانية أسيت في فرنكفورت للعناية بشؤون صهيون (١٩٠٦ م) وعهدت بإدارته إلى طبيب سويسري يدعى الدكتور ليرلانجر . ثم توقي إدارة الدكتور تيخو . كان في بادئ الأمر في الحي المعروف بمبشورييم . ثم انتقل إلى شارع منورا .

(مستشفى الإرسالية الإنجليزية) ويسميه الإنجليز مستشفى جمعية يهود لتلن لأنه بني بقصد مساعدة اليهود ، ولا سيما أولئك الذين يردد تنصيرهم . إنه واقع غرب المدينة على مقربة من الحي المعروف بالشيخ عكاشة . بناء المطران جورج فرنسيس بوبهام بلايث George Francis Popham Blyth (١٨٨٧ - ١٩١٤) (المستشفى الألماني) في الحي المعروف بالشيخ عكاشة ، غرب المدينة

بناء الألمان عام ١٨٩٤ م . وكان المقلصيون في بده عهد تأسيسه يسمونه (مستشفي الحيدى) إذ كان كل مريض يدفع عن نفسه ريالاً حميدياً عثمانياً واحداً مهما طال أجل إقامته فيه . أغلق عام ١٩٣٩ بسبب الحرب الكونية الثانية التي نشبت بين الإنجليز والألمان .

(مستشفي الهداسا) كان فيها مرضى يسمى مستشفي روتسلد ، وكان واقعاً في نفس الشارع الذي يقوم عليه المستشفي الألماني ومستشفي الإرسالية الإنجليزية ؛ شرق الحي المعروف بالشيخ عكاشة ، وإلى الشمال من المسكوبية . فيه مدرسة للممرضات أسسها هنريتا زولد زعيمة الجمعيات النسائية اليهودية في الولايات المتحدة والمعروفة بهداسا . ومعهد للطب أسسه الدكتور رنوف رئيس الجمعية الطبية اليهودية في الولايات المتحدة . ثم نقلوه إلى عمارة فاخرة بناها اليهود على جبل الزيتون . وكان ذلك في أوائل القرن العشرين . وهو الآن أضخم مستشفي في المدينة . فيه أقسام للجراحة وللولادة والأمراض الباطنية والتباينية وأمراض العيون والأطفال .

(المستشفي الإيطالي) عند مفترق الطرق المؤدية إلى باب الخليل وهي المصارحة وبشورم . أسسه الإيطاليون في أوائل القرن العشرين . وظل مفتوح الأبواب للسكان حتى نشبت الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ م) وراح العطليان يحاربون الإنجليز في أفريقيا الشمالية .

(مستشفي الأمراض السارية) تديره الحكومة . وهو واقع عند مفترق الطرق المؤدية إلى بيت لحم وبيت صفافا والقدس .

(مستشفي البرص) واقع في مكان متوسط بين حي الطالبية من الشمال وهي التامرة من الجنوب والحي الألماني من الشرف . شيله بادىء ذى بده المجلس البلدى وكان ذلك عام ١٨٦٧ م . وتديره الآن الجمعية المورافية بلندن . وتمده الحكومة بالمال .

(مستشفى بيكونر خولييم) عند مفترق الطرق المؤدية إلى رحافيا وشتلر وباب العمود والشيخ بدر ، تجاه المستشفى الألماني من الغرب . كان في الأصل في المي اليهودي داخل سور . أسمه اليهود في أواخر الحكم التركي . وفي أوائل الاحتلال البريطاني نقلوه إلى مكانه الجديد خارج سور .

وهناك مستشفيات يهودية أخرى منها : (شعاري صادق) ويسمونه مستشفى ولنخ نسبة لدكتور ولنخ الذي عمل فيه حيناً من الدهر . وهو واقع غربي المدينة على طريق يافا .

و (مزغاب لاداخ) في حارة اليهود بالمية القديمة .

و (مستشفى سادوفسكي) في سحي رحافيا إلى الغرب من مدرسة شميدت الألمانية ، سمي كذلك نسبة لمؤسس الدكتور سادوفسكي . وهو معد للولادة فقط . وهناك مستشفيان للأمراض العقلية : أحدهما يهودي أنشأته جمعية تعرف بـ (عزرات نشيم) وهو واقع غربي القدس عند مفترق الطريق المؤدية إلى يافا وعين كارم . والثاني للحكومة . وهو واقع في بيت لحم .

وفيها عدد كبير من المستوصفات التي أنشئت لمعالجة المرضى من الفقراء وعدد كبير أيضاً من المراكز التي أنشئت لرعاية الأطفال ، وملاجيء للعجزة والمعددين .

ويع ذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الخدمات الاجتماعية الجازية ، رغم جميع المستشفيات والمستوصفات التي ذكرناها في الأسطر المتقدمة ، قليلة ؛ تكاد لا ترقى بالغرض المنشود . وفي القدس ٤٩ صيدلية منها ٨ للمسلمين و ٧ للمسيحيين و ٣٤ لليهود . وفيها ١٥ مستودعاً للعقاقير وبيع الأدوية بالجملة . نصفها للعرب والنصف الآخر لليهود .

تجارتها

قلنا في غير هذا الموضع إن القدس مدينة جبلية . وإنها ليست بمدينة زراعية ، ولا صناعية . وهذا فإنها تستورد معظم حاجاتها ، إن لم تقل كلها ، من الخارج . أما القمح وسائر أنواع الحبوب فإنها تستوردها من شرق الأردن وحوران ، وتستوردها في بعض الأحيان من استراليا وال العراق . وأما الأغنام فهن تجد وال伊拉克 وبر الأناضول .

وأما الخضر (كالبنادورة والقرع والثياب والملفوف والقنبيط والخزر والبامية والملوخية والبطاطا والفاصوليا وما إلى ذلك) فمن اللد والرملة وقرهاها ، ومن قلقيلية وطولكرم وضواحيهما ، ومن الشونة وأريحا وما بينهما ، ومن الخليل ورام الله وقرهاها ، ومن خان يونس وغزة وقرهاها ، ومن قرى القدس نفسها ، وفي بعض الأحيان من مصر والشام .

وكذلك قل عن الفواكه . فإنها تأتي من جميع الجهات :

فالموز ، مثلا ، من أريحا وبيسان . . . والبرتقال والليمون وسائر أنواع الحمضيات من يافا وأريحا ولله . . . والبطيخ من خان يونس وطولكرم . . . والشمام من النعافى وفاقون . . . والبلح من خان يونس والعريش . . . والعنب من الخليل ورام الله وقرهاها ومن ضواحي غزة كالجورة وحامة وبربرة . . . والمشمش واللحوح والبرقوق والإيجاص والتضاح من قالونيا وأرطاس ومن عين كارم والمالحة والويلعة وبئير . . .

ويأتيها السمك من يافا وغزة ومن العقبة

وقد اشار القول إن الفواكه والخضر بجميع أنواعها وألوانها ، لا تتقطع

من أسواق القدس ، لا في الصيف ولا في الشتاء . وكذلك قل عن جميع أنواع الطيور والأسمالك .

وفي القدس أسواق عديدة ، جلها مرصوف وبعضاً يقام على قبور مرتفع . والأسواق التي في داخل المدينة القديمة معروفة وضيقه يزدحم الناس فيها بكثرة ، ويزداد هذا الازدحام في المواسم والأعياد .

وفي القدس كلها ١١٠ دكاكين معدة للتجارة : — منها ١٣٥٨ للمسلمين و ٩٥٤ للمسيحيين و ٢٧٩٨ لليهود . يدخل في هذه الأرقام الدكاكين المعدة لبيع الخبز ، والسمك ، واللحوم ، والخواizer والأفران ، ومعطاحن التمبيح والخربوب ، والحال المعدة لبيع النساجين ، والبيض ، والألبان ، ومعامل الحلويات ، والثلج ، ومعطاحن البن ، والمصابين ، ومعاصر التزيت والسيرج ، والمشروبات الروحية ، والفنادق ، والمطاعم والمقاهي ، ودور السينما ، والصيدليات ، ومعامل الورق والأحدية ، والزجاج ، والخسائد ، والخياطة ، والتجارة ، والخدادة ، والستكرة ، والتصوير ، والأمكنة المعدة لبيع السجاد والشموع والأثار والتحف القديمة ، وما إلى ذلك من المخازن والمستودعات والدكاكين والحوانيت المختلفة . ولقد ذكرنا ما تملكه كل طائفة على حدة من هذه الدكاكين في كتابنا المفصل عن (تاريخ القدس) . فليرجع إليه من شاء .

أوزانها ومقاييسها

إن الأوزان التي يفرض القانون استعمالها في بيت المقدس هي :

(الدرهم)	وقيمتها	٣,٢٠٥	غرامات
(الأقة)	وقيمتها	٤٠٠	درهم

(الكيلو) وقيمتها ١٠٠٠ غرام
 (طن) وقيمتها ١٠٠٠ كيلو غرام
 (الأوقية) وقيمتها ٧٥ درهماً = ٣٦٧ غراماً
 (القنتار) وقيمتها ١٠٠ رطل
 (الرطل) وقيمتها ١٢ أوقية
 وأما المقاييس القانونية فهي :
 (الدراع) عبارة عن ٦٧,٧٥ ستيمتراً للثياب و ٧٥,٨٠ ستيمتراً للأراضي
 والأبنية . وما عدا ذلك فإنه عبارة عن ٢٤ قيراطاً .
 (الدونم) للمقاييس التي تمت في العهد التركي وهو ١٦٠٠ ذراع مربع . وقد جعل في عهد الاحتلال البريطاني ١٠٠٠ متر مربع .

صناعاتها

ليست القدس من المدن الصناعية الهامة ، وإن كان فيها صناعات قليلة لفتت إليها الأنظار : كصناعة الغزل والنسيج ، وصناعة القاشاني ، والخزف ، والشمع ، وخشب الزيتون ، والسخل ، وصناعة البلاط ، وقطع الحجرة وقطعها ، والقرميد ، وأدوات الزينة ، وأهداباً ذات الرمز الدينية : واستخراج زيت السمسم .

أما صناعة الغزل فقد نشأت في أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) عن طريق جمعية الصليب الأحمر الأمريكية . إذ أُنْسِت هذه أنواعاً لتشغيل اللاجئين إلى القدس من أبناء الطائفة الأرمنية ، بدلاً من توزيع الهبات

عليهم . فراح هؤلاء يغزلون وينسجون . وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في المدينة .

و عملت ، بعدها ، جمعية أنصار القدس على تشجيع هذه الصناعة . ومن أجل الوصول إلى تلك الغاية أنفقت مبلغاً من المال على تعمير سوق القطانين (١٩١٩) . تلك السوق التي أرادت جعلها مقرًا لصناعة النسيج . إلا أن هذه الفكرة لم تنجح .

وعندما نشب الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤) عادت صناعة النسيج فانتعشت . وفي القدس الآن مئة واثنان وثلاثون مصنعاً للنسيج والخياكة . منها ٥٢ للمسلمين و ١٣ للمسيحيين و ٦٧ لليهود .

وأما صناعة القاشاني فقد كانت ، في الربع الأول من القرن العشرين ، منحصرة في رجل أرمني اسمه (داود أوهانسيان) رف دار الأيتام السورية المعروفة : (شتر) ، وهي مؤسسة ألمانية . وعندما شعر المجلس الإسلامي الأعلى (١٩٢٧ م) بالحاجة لترميم مسجد الصخرة ، وكان معظم القاشاني الموجود في هذا البناء من القرن السادس عشر قد أصابه البلى ، استحضر الخبراء من كوتاهية وإسطنبول . و درب هؤلاء عدداً من أبناء بيت المقدس ، فبنوا الأفران ، وصنعوا من البلاط القاشاني ما لا يقل جودة عما صنعه الأقلمون .

وكذلك قل عن صناعة البلاط وعن صناعة القراز والخزف . فإن هذه وإن كانت عرفتها القدس في الأزمنة الغابرة . إلا أنها لم تتعش هنا انتعاشها في مدينة الخليل .

وأما صناعة الشمع فلها من الصناعات التي اشتهرت في القدس . والشمع المقدسى مرغوب لدى الأجانب والسياح . وتباع منه مقدادير كبيرة في الأعياد ، ومن هنا كانت تجارة الشمع ولا تزال رائجة في هذه المدينة .

وكذلك قل عن صناعة خشب الزيتون ، فإن في القدس عمالاً ماهرين

أتقنوا ، مع الزمن ، هذه الصناعة . فتراهم يحفرون على خشب الزيتون أشكالاً متنوعة ويلتقن عجيب . ويصنعون من هذا الخشب أدوات مكتبة دقيقة الصنع ، ولعباً للأطفال ، وما إلى ذلك من آلات الزينة والمهدايا ذات الرموز الدينية التي تستهوي الأجانب الذين يبيطون هذه المدينة بقصد الزيارة .

واشتهر المقدسيون أيضاً في جمل سمع النخل ؛ وفي الصور النباتية ، تصور لث سهل فلسطين وجبلها ، ومدنها وقرابها .

وأما صناعة الصابون فإنها تضعضعت مع الزمن . وقد لا يخلو من فائدة أن نلقى على ماضى هذه الصناعة نظرة ، فنقول :

إن القدس كانت فيها مضى مركزاً من المراكز الحامة في هذا الشرق ؛ يصنع فيها الصابون ، ويصلح منها إلى مصر والبلاد المجاورة . إذ كان فيها وفيها حرفاً من الأرضى مساحات واسعة من أشجار الزيتون . وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في أسفار العهد القديم وفي القرآن الكريم . ومن هنا نشأ حب الأنبياء لزراعة الزيتون . وورث المقدسيون هذا الميل عن آبائهم ، فأعتنوا به . وكان عندهم عدد كبير من معاصر الزيت . وكان الزيت من الكثرة بدرجة أن سكان بيت المقدس كانوا في سنة من السينين الزيت القديم^(١) ليتمكنوا من إيجاد أوجه كافية لخزن زيتهم البائد . وكانوا يستعملون الزيت للأكل والضوء والعلاج . عملاً بالحديث الشريف : « كلوا الزيت وادهنوا به ». ثم راحوا يصدرونه . كما راحوا ينشئون المصابين . واشتهر الصابون القدسى في أسواق الشرق الأدنى ، ولا سيما في مصر .

غير أن هذه الصناعة تضعضعت بعد سنة ١٨٧٦ ؛ يوم اكستت المدينة أسراب كثيرة من الجراد ، وأدت على قسم كبير من أشجار الزيتون^(٢) . ثم

(١) المؤذنة ٢٠ من مجموعة أسطوانات .

"Jerusalem" by C. Warren, P. 500. (٢)

أن الآثارك في الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) على ما تبقى من تلك الأشجار . استعملوها وقوداً للتدفئة وتسير القطارات .

وهكذا أصبحت القدس في المؤخرة . وليس فيها اليوم مصانة واحدة ، بعد أن كانت في الطليعة وكانت معروفة بزيتها وصابونها .

وأما صناعة استخراج زيت السمسم (السيرج) فإنها رائحة في القدس . وكذلك قل عن صناعة قلع الحجارة وقطعها . وصناعة البسكوت والمكرفنة . وبخبز الفطير .

شركاتها

وكثيراً ما يتكل التجار وأرباب الصناعات ، فيؤلفون شركات بلغ عددها في عام ١٩٤٥ : ٥٢٣ شركة : منها ٦٦ شركة للتجارة العامة و ٧ شركات للزراعة و ٦٥ شركة لشراء الأراضي و ٤ للسجاير و ١٨ شركة كهربائية و ٥ شركات للخدمات و ٦٣ شركة للأشغال العامة و ٣٧ شركة لطباعة و ١٢ جمعية لنشر العلم والتدريس و ٤ شركات للمشروبات الروحية و ٢٢ شركة ميكانيكية وكهربائية و ٣١ شركة للأقمشة والنسيج و ١٢ شركة للمقاولات والمطاعم و ٩ شركات للأفلام ودور السينما و ٢٤ شركة للنقل والسفر و ١٥ شركة لزيروت والأخشاب و ٤٤ شركة للتأمين على الحياة و ٣ شركات للأحدية والجلود و ٥ شركات للسكن وأدوات الحديد و ٣ شركات للمطاط وشركة للساعات وشركة للحمضيات و ٣ شركات للمياه و ٢٢ شركة للتمويل . والباقي شركات ليست لها أهداف معينة .

بنوكها ومصارفها

في القدس اليوم ستة عشر مصرفًا (بنكًا) إلیئث أسماءها ، والتاريخ الذي بدأ كل واحد منها بالعمل فيه : بنك كويات عام (١٩١٨ م) . والبنك العثماني (١٩١٩ م) . بنك أنجلو - فلسطين (١٩١٩ م) . البنك الفلسطيني للرهن والتسليف (١٩٢٢ م) . البنك المركزي للمؤسسات التعاونية بفلسطين (١٩٢٢ م) المجلس الفلسطيني (١٩٢٢ م) . بنك مزراحي (١٩٢٣ م) . بنك فلسطين التجارى (١٩٢٤ م) . بنك باركلز (١٩٢٦ م) . البنك البولندي الفلسطيني (١٩٢٩ م) . البنك العربي (١٩٣٠ م) . بنك يعقوب يافت وشركاه (١٩٣٣ م) . بنك الأمة العربية (١٩٣٣ م) . بنك ليلرلين (١٩٣٤ م) . بنك فورمخت وأغتر التجارى (١٩٣٤ م) . بنك الخصم الفلسطيني (١٩٣٥ م) . وكان في القدس قبل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ م) . بنكان : أحد هما (بنك دي روما) وهو إيطالي . أسس سنة ١٨٨٠ . والثاني (بنك درتمبل كيزلشافت) وهو ألماني ، تأسس سنة ١٩٢٤ . ييد أحدهما أغلقا بسبب الحرب المذكورة .

جمعياتها ونواديها

بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي تسجلت في القدس ، من بدء الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام ١٩٤٥ ، ألفين وثلاثمائة وعشرين . منها ما هو أدبي وثقافي ، ومنها ما هو رياضي ، ومنها ما هو للخير العام ، أو لمصلحة طائفة

من الطوائف دون غيرها . و٨٥٪ من هذه الجمعيات والنوادي فلسطينية و١٥٪ أجنبية . ومن الجمعيات والنوادي الفلسطينية ٣٠٪ إسلامية و٢٠٪ مسيحية و٣٥٪ يهودية .

بريدها

كان في القدس ، على عهد الأترالك ، مصلحة للبرق والبريد . وكان يقوم إلى جانب هذه المصلحة مؤسسات أجنبية تقوم بخدمات البريد فيها . ولكن هذا الامتياز الذي كانت تتمتع به بعض الدول الأجنبية ألغى عند الاحتلال البريطاني . فأأخذت الحكومة المنتدبة على نفسها خدمات البرق والبريد والهاتف ، فجددت خطوط البرق (١٩١٨) . وأنشأت ، في تلك السنة أيضاً ولأول مرة في تاريخ القدس ، شبكة تلفونية . وبعد أن كانت هذه منحصرة في مصالح الحكومة ودوارتها الرسمية ولم يتجاوز عددها ١٦٣ ، أصبح في المدينة ، سنة ١٩٤٧ : ٥٨٣٦ آلة للتلفون .

والقدس مرتبطة الآن ، من حيث التغابرات ، مع البلاد العربية المجاورة ومع القارات الأوربية والأميركية بالبر والبحر والهواء . وهذا مطار على طريق رام الله — القدس ، وعلى بعد عشرة كيلومترات عن الأخيرة إلى الشمال .

وفي القدس اليوم محطتان للإذاعة : واحدة باسم محطة القدس للإذاعة الفلسطينية ، وتذاع منها الأخبار باللغات الرسمية الثلاث : العربية والعبرية والإنجليزية والثانية باسم محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية ، وتذاع منها الأخبار باللغة العربية فقط . أما الأولى فقد أنشئت عام ١٩٣٦ وهي خاصة بحكومة فلسطين ، وتعتبر

فرعاً من فروع مصلحة البرق والبريد العامة . إلا أنها فصلت عنها عام ١٩٤٥ ، وأصبحت مصلحة مستقلة ، إلا أنها ظلت خاصة للحكومة . وهنالك في رام الله محطة تلقط ما يذاع من القدس وترسله إلى سائر أنحاء العالم . وكذلك قل عن محطة الشرق الأدنى تلك المحطة التي كانت في أوائل الاحتلال البريطاني تعمل في يافا ، ثم انتقلت إلى القدس ، وبها نقلت في أواخر الاحتلال إلى جزيرة قبرص ، وهي محطة إنجليزية .

بلديتها

(البلدية) هي الأداة الحكومية المحلية التي تشرف على شؤون المدينة ، وتعنى براحة السكان ؛ فتشتري الطرق والمجاري وتصوّرها من العبث ، وتتنظّف الأزقة والشوارع وتنيرها ، وتشتري المخابث والميادين ؛ وترتّب الأسواق ، وتحدّد أسعار الحاجات ، وتراقب المكيال والأوزان والمقاييس ؛ وتشرف على وسائل النقل ، ووسائل البناء والعمارة ؛ وتنظم المسالخ ، والمحارق ؛ وتوزع المياه على السكان . روى المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن تم على يده فتح القدس راح يتجلّو في شوارعها ويغشى أسواقها . وأنه رتب أمورها على أساس من التنظيم الإداري والقضائي ؛ ففرض الفروض ، وأعطى العطايا ، ورتّب البريد ، وأقام العيون ، وعيّن قاضياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين ويتحقق في الشكاوى . وأنه أسس الخسبة (البلدية) وعين المحسسين لمراقبة الموازين والمكيال ، لمنع الغش ، وتنظيف الأزقة والكنف ؛ والرقق بالحيوان . وأنه هدم البناء المحدث في وسط السوق ، وحظر على الناس الازدحام في الطرق . وحُمِّم على التجارة ، فقال :

«لاتلهبكم الرياسة وحبها . ولا يغلبكم الغرباء على التجارة . فإنها ثلث الإمارة » . وبعد أن رب الأمور ، ووضع كل شيء في نصاية ربج إلى المدينة .

ذلك كان أول عهد مدينة القدس بالحسب ، وبعبارة أخرى بالإدارة التي عرفت بعدها (البلدية) .

ولقد أضيف هذا النوع من الأعمال البلدية ، في العهد القاطم ، إلى الشرطة . فحدثنا المقدسي أنه كان يقف على أبواب القدس على عهده (في أوائل القرن العاشر) حرس يحبو الرسم عن البيضان والمحضر التي يستوردها التجار . وقرأنا في الكتب الشيء الكثير عن الحسبة والمحاسبين على عهاد الماليك .

ولقد أهتم الأئرالله بالشؤون البلدية ، وجعلوها في يادي الأمر ، تحت إشراف قضاة الشرع . وفي السجلات المحفوظة في المحكمة الشرعية بالقدس أمثلة كثيرة لما نقول . فقد قرأنا في هذه السجلات أن محاسب القدس تاج الدين رفع إلى المحكمة الشرعية شكواه ضد إبراهيم بن خليل من قرية شفاط لأنه باع قمحاً مختلطًا بفضول . . . وأن المعلم عمر بن الحاج محمد الجمال انتدب معارضاً مسؤولاً عن عمارة سور . . . وأن القاضي حسام الدين عين بمحضور المحاسبين أسعار الحاجيات من خبيز وليم وزيت وبنون ودبس وجبن وصابون ، حتى الكنافة والمحضر والخديد والقرزاد . . . وأنه لحاقد التجار الذين باعوا هذه الحاجيات بسعر أكثر من السعر المقرر . . . وكذلك قل عن الدين غشوا زيتهم وسمسمهم . . . ليس هذا فحسب . فقد قرأنا في السجلات المتقدم ذكرها أن القاضي كان يعين (مقدم العتالين) . يعينه بعد استشارة المحاسب . وما كان لعتال أن يتعاطى مهنة العتالة في القدس إلا بإذن منه .

ويظهر أن أعمال البلدية انفصلت بعد ذلك عن الحكم الشرعية . واكتسبت شكلًا أقرب إلى النظام .

فقد سمعنا بتاريخ ١٨٦٣ م ، عن أول بلدية تألفت في القدس . وكانت هذه عبارة عن هيئة محلية صغيرة ، ذات سلطة محدودة ، وواردات ضئيلة لم تتجاوز ٥٠ ليرة عثمانية في السنة . وأن أول نظام عثماني صدر وفيه تصريح من البلديات هو نظام الولايات (١٨٦٤ م) ثم نظام إدارة الولايات (١٨٧١ م) . وبعد ذلك ظهر قانون انتخاب المجالس البلدية (١٨٧٥ م) . وراح دافعو الضرائب ، بعد ذلك التاريخ يمارسون حقهم في انتخاب الأعضاء . وكان المتصرف يختار الرئيس من بين هؤلاء الأعضاء . ووضعت الحكومة بعد ذلك بستين (١٨٧٧ م) قانوناً أسمته (قانون البلديات) ودام الحال على ذلك المنوال حتى الحرب الكونية الأولى . وإليك أسماء الأشخاص الذين تولوا رئاسة البلدية في ذلك العهد (١٨٦٣ - ١٩١٢ م) :

١ - عبد الرحمن أفندي الدجاني . ٢ - الخواجا استربادي . ٣ - موسى أفندي فيض الله العلمي . ٤ - يوسف ضياء الدين باشا الحالدى . ٥ - عبد القادر أفندي المخليلي . ٦ - عمر أفندي عبد السلام الحسيني . ٧ - سليم أفندي الشاكر الحسيني . ٨ - شحادة أفندي فيض الله العلمي . ٩ - سليم أفندي الحسيني . ١٠ - سرکى أفندي الدجاني . ١١ - ياسين أفندي الحالدى . ١٢ - محمد يوسف أفندي العلمي . ١٣ - سعيد أفندي الحسيني . ١٤ - محمد صالح أفندي الحسيني . ١٥ - فيض الله أفندي العلمي . ١٦ - حسين سليم أفندي الحسيني . والأول والثاني والخامس والسابع والعشر والثاني عشر والرابع عشر عينوا من لدن المتصرف تعينا ، وأداروا البلدية بالوكالة . وأما الآخرون ، وهم الذين أشرت إليهم بخط تحت أسمائهم ، فقد انتخبوا انتخاباً .

وفي أثناء الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) منع المتصروفون حق الانتخاب الرئيس ، لأن من غير الأعضاء فحسب ، بل ومن خارج فلسطين إذا

اقتضى الأمر . وإليك أسماء الأشخاص الذين انتدبو للريادة خلال تلك الحقبة من الزمن :

- ١ - شاكر بك أرطغرل
- ٢ - جليل بك الخلبي
- ٣ - ضياء الدين بك
- ٤ - صادق بك
- ٥ - عارف باشا الدجاني
- ٦ - أحد عارف الحسيني
- ٧ - إسحق أفندي الشهابي
- ٨ - حسين سليم أفندي الحسيني .

وكانت ميزانية البلدية في أوائل عهد تنظيمها (١٨٦٣ م) ضئيلة لا تتجاوز الخمسين ليرة . ثم ارتفعت قليلاً عند إعلان الدستور (١٩٠٨ م) عشرة آلاف ليرة . ووصلت في أوائل الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) إلى أحد عشر ألفاً . وكانت عند الاحتلال البريطاني خمسة عشر ألفاً .

وسار البريطانيون ، بعد الاحتلال ، على الخطوة التي سار عليها الأتراك في أواخر عهدهم . فراح دافع الفرائض من الأهلين يتتخذون ممثليهم في المجلس البلدي . وكان عدد الأعضاء أربعة من العرب وأثنين من اليهود . وراحت الحكومة تختار من هؤلاء الأعضاء رئيساً . وكان هذا مسلماً على الدوام . فتولى الرئاسة في بادئ الأمر حسين سليم أفندي الحسيني ، ثم تولاها موسى كاظم باشا الحسيني ، فراغب بك التاشبي .

وفي سنة ١٩٢٦ م . سنت الحكومة قانوناً للبلديات فجمعت عدد الأعضاء اثني عشر . وبجري الانتخاب بموجب ذلك القانون في ١١ نيسان ١٩٢٧ . فانتخب الأشخاص الآتية أسماؤهم : راغب التاشبي ، زكي نسيبة ، سعد الدين الخطيلي ، بهال الحسيني ، الدكتور حسام الدين أبو السعود (من المسلمين) .

يعقوب فراج ، فرنسيس بطاطو ، فتحله كتن (عن المسيحيين) . حاتم سلامون ، إسحق بن زفي ، إسحق البشار ، إلياهو شماع (عن اليهود) . وانتخبت الحكومة من بين هؤلاء راغب التاشبي رئيساً .

وعدل القانون عام ١٩٣٤ . فجرت الانتخابات على طريقة تمثيل المناطق ، وقسمت المدينة إلى أئنٍ عشرة منطقية انتخابية . وكان عدد الناخبين الذين سجلت أسماؤهم كما يلى :

عدد الممثلين		عدد الناخبين
٤	من المسلمين	٢٨٢٥
٢	من المسيحيين	١٥٨٦
٦	من اليهود	٤٣٩٢
<hr/> ١٢		

وتحول المنصب حق تعيين ما لا يزيد على الثين في المجلس البلدي ، بالإضافة إلى الأعضاء المنتخبين . وأسفرت الانتخابات عن فوز الأشخاص الآتية أسماؤهم : الدكتور حسين فخرى الخالدي ، سعد الدين الخليلي ، حسن صدقي الدجاني ، إبراهيم درويش (عن المسلمين) .

يعقوب فراج ، أنططاس حنانيا (عن المسيحيين) .

Daniyal Oster ، حايم سلامون ، شموئيل عدن ، أبراهام الملاع ، يوسف حاخام شوبل ، إمحق بن زفي (عن اليهود) . فانتدب الدكتور حسين حسين الخالدي رئيساً ، وكل من Daniyal Oster (عن اليهود) ويعقوب فراج (عن المسيحيين) نائباً للرئيس . فاهتم هذا المجلس بالمدينة القديمة ، ورفص معظم شوارعها بالأسفلت .

وارتفعت أرقام الميزانية من ١٤٦,٤٣٦ جنيهًا في عام ١٩٣٥ إلى ١٩٠,٨٦٩ في عام ١٩٣٧ . هذا من حيث الواردات . وأما من حيث النفقات فقد ارتفعت من ١٠٩,٣٧٢ في عام ١٩٣٥ إلى ١٥٤,٣٦٧ في عام ١٩٣٧ .

ولما احتفلت الحكومة الرئيس الدكتور الخالدي بسبب نزعته الوطنية ، ونفته مع من تفهم من زعماء البلاد ، إلى جزيرة سيشل (١٩٣٧ م) . عهدت بالرئاسة

للي مصطفى بك الخالدي . ولما ترقى هذا سنة ١٩٤٤ تسلّمها بالوكالة العضو اليهودي الآدون دانيال أوستر . فما كان من الأعضاء العرب إلا أن استقالوا . لذا لم يسبق للمجلس البلدي في القدس أن ترأسه يهودي . عندئذ ألغت الحكومة المجلس ، وعيّنت (في ١١ تموز ١٩٤٥) بلجنة بلدية رئيسها وجميع أعضائها من الإنجليز . وهم :

- المستر ولستر — المدير العام لمصلحة البرق والبريد (رئيساً)
- الدكتور مكرين — المدير العام لمصلحة الصحة
- المستر قروك — نائب مدير الأشغال العامة أعضاء
- المستر هيلتون — نائب حاكم لواء القدس
- المستر ديويس — مساعد السكرتير العام

وكانت المبالغ التي حصلتها بلدية القدس عن طريق الضرائب والرخص والخدمات المتنوعة التي قامت بها خلال السنة المنتهية في ٣١ ذار ١٩٤٦ كما يلى :

نحو ٣٠٠٠ ليرة	٢٧,٠٢%	جنبيه فلسطيني	النسبة المئوية
أثمان المياه	١٤٠,٨٩٥	١٤٠,٨٩٥	٪ ٢٧,٠٢
ضرية الأملك	١٣٣,٤٢٥	١٣٣,٤٢٥	٪ ٢٥,٦١
أمانات واردة وسلفات مستردة	٨٤,٢٨٥	٨٤,٢٨٥	٪ ١٦,١٧
مساعدات حكومية	٤٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٪ ٧,٦٨
رسوم ورخص	٢٩,٣١٥	٢٩,٣١٥	٪ ٥,٨٠
خدمات صحية (رسوم ذبح الحيوانات			
وتفريغ المراحيف)	٢٦,٤١٠	٢٦,٤١٠	٪ ٥,٠٧
متفرقة	١٦,٦٣٥	١٦,٦٣٥	٪ ٣,١٩
رخص الحرف والمهن	٢٠,٠٧٥	٢٠,٠٧٥	٪ ٣,٨٥

النسبة المئوية	جنيه فلسطيني	
% ٢,٢٣	١١,٥٨٥	ضربيـةـ المـعـارـفـ
% ١,٢٨	٦,٦٤٥	ضـرـبـيـةـ الـجـارـىـ
% ١,١٢	٥,٨٤٥	جـارـىـ الـقـنـسـ
% ٠,٧٧	٤,٠٢٠	إيجـاراتـ أـمـلاـكـ الـبـلـدـيـةـ
% ٠,٢١	١,٠٧٥	فـوـائدـ
<hr/>	<hr/>	
% ١٠٠	٥٢٠,١٢٠	

وأما المبالغ التي تكبـلـتـهاـ الـبـلـدـيـةـ لـقـاءـ رـاـتـبـ المـوـظـفـينـ وـنـفـقـاتـ الـإـنـشـاءـ وـالتـعـمـيرـ فقد بلـغـتـ ،ـ خـالـلـ السـنـةـ نـفـقـهاـ ٤٧٥,٩٢٠ـ جـيـهـاـ فـلـسـطـينـيـاـ .

القدس من الناحية الإدارية

القدس من أكبر المدن الفلسطينية وأكثرها أهمية . إنـهاـ منـ النـاحـيـةـ الإـادـارـيـةـ ليستـ مـركـزاـ لـلوـاهـ الأولـ المعـرـوفـ بـلـوـاهـ الـقـدـسـ فـحسبـ .ـ بلـ هـىـ عـاصـمةـ فـلـسـطـينـ بـأـجـعـهاـ .ـ وـفـلـسـطـينـ وـاقـعـةـ تـحـتـ الـانـتـدـابـ الـبـرـيطـانـيـ .ـ يـدـيرـهاـ منـتـسـوبـ سـامـ(١)ـ أـقـامـتـهـ بـرـيطـانـيـاـ بـوـصـفـهـ الـدـوـلـةـ الـىـ اـنـتـدـبـهـ عـصـبـةـ الـأـمـمـ لـإـادـرـةـ الـبـلـادـ .ـ وـيـسـاعـدهـ فـيـ إـادـرـةـ بـجـلـسـانـ :ـ مـجـلـسـ اـسـتـشـارـيـ ،ـ وـآـخـرـ تـنـفـيـذـيـ .ـ فـالـمـجـلـسـ الـاسـتـشـارـيـ مـؤـلـفـ مـنـ الـمـنـسـوبـ السـائـيـ (ـرـئـيـسـ)ـ وـالـسـكـرـتـيرـ الـعـامـ ،ـ وـالـنـائبـ الـعـامـ ،ـ وـالـسـكـرـتـيرـ الـمـالـيـ ،ـ وـمـديـرـ الـبـولـيسـ ،ـ وـمـديـرـ الصـحةـ ،ـ وـمـديـرـ الـأـشـغالـ ،ـ وـمـديـرـ المـعـارـفـ ،ـ وـمـديـرـ الـزـرـاعـةـ وـمـصـاـيدـ الـأـسـماـكـ ،ـ وـمـديـرـ الـبـهـارـكـ وـالـتـجـارـةـ وـالـمـكـوـسـ ،ـ وـمـديـرـ السـكـكـ الـخـديـديةـ ،ـ وـحـكـامـ الـأـلـوـرـيـةـ ،ـ وـمـديـرـ الـبـرقـ وـالـبـرـيدـ ،ـ وـمـفـوضـ

(١) ذـكرـناـ فـيـ غـيرـ هـذـاـ المـوـضـعـ مـنـ الـكـتـابـ أـسـماءـ بـعـضـ الـمـنـتـسـوبـينـ الـلـذـينـ توـلـواـ حـكـمـ فـلـسـطـينـ فـعـدـ الـإـنـتـدـابـ ،ـ وـأـمـ الـمـوـادـتـ الـىـ وـقـعـتـ عـلـىـ عـهـدـ كـلـ وـاحـدـ مـهمـ .

مصلحة الاصحاء والهاجرة ، ومدير تسجيل الاراضي ، والمستشار الاقتصادي ، ومدير مصلحة العمل (أعضاء) .

وأما المجلس التنفيذي فتولى من المنصب السامي (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، وحاكم لواء القدس فقط (أعضاء) .

والقدس كما قلنا مركز لواء الذي يحمل نفس الاسم : لواء القدس . وهو مؤلف من أربعة أقضية هي : (١) القدس (٢) بيت لحم - أريحا (٣) خليل الرحمن (٤) رام الله .

أما قضاء القدس فيتبعه ٦٦ قرية هي : أبو ديس . أم طوبا . بيتر ، بيت دقو . بيت حنينا . بيت أجزا . بيت أكسا . بيت عنان . بيت جمال . بيت محاسير . بيت نقوبا . بيت صفاقا . بيت سوريلك . بيت ثول . بيت أم الميس . بلو . بيرنيلا . البريج . جبيعة . جريش الحبيب . الجديرة . البخورة . حزما . خربة اسم الله . خربة العبور . خربة اللوز . دير آبان . دير الشيخ . دير رفاقت . دير يسن . دير عمرو . رفاقت . الرام . ساريس . سلوان . شرفات . شفاط . أشعاع . صاطاف . صوبوا .. صرعة . صورياه . الطور . عسلين . العيزرية . العيسوية . عين كارم . عين رافا . عرطوف . عقور . لفتا . عنانا . العنب . قالمونيا . قطنة . قلنديه . القسطل . القبيبة . كسلا . كفر عقب . المالحة . سخا . النبي صموئيل . نطاف . الوخلة .

وهناك عشرة واحدة هي : السواحرة . وثمانى مستعمرات يهودية هي : موتسرا الفوقة . موتسرا التحتا . رامات راحيل . معل . قريات عنقيم . نبي يعقوب . عطاروت . هارطوف . وتشغل هذه القرى والمستعمرات مساحة قدرها ٥٥٨,٦٤٧ دونماً .

وأما قضاء بيت لحم - أريحا . ففيه أربع نواحى هي : بيت لحم . بيت جالا . بيت ساحور . أريحا . وست عشرة قرية هي : أرطاس . بيت فجار . بـ .

عطاب . البحر الميت . الخضر . حسان . راس أبو عمار . دير الهوى . السفل .
خلار . العوجا . القبو . المنطس . نحالين . التويعة . وادي فوكين .
ووهناك سبع عشرات هي : - الرشيدة . العبيدية . التعammerة . الديولة . العريقات .
السعيدة . النصيرات . وأربع مستعمرات يهودية هي : كوتاسات هاهوكيم .
كفار عصيون . ماسوت . كاليا .

ولما قضاء الخليل فيتبعه ٣٥ قرية هي : أدنا . بيت جبرين . بيت نيف
بيت كاحل . بيت أولا . بيت أمر . برقوسيا . بني نعيم . تفوح . ترقوميا .
تل الصافي . جبعة . حلحول . خاراس . دير الدبان . دير نحاس . الدوايمة .
دوره . رعنا . الريحية . زكريبا . زكرين . زيتا . معير . سنابرة وأم برج .
السموع . الشيوخ . صوريف . الظاهرية . عجور . القبيبة . كلدا . مقلنس .
نوبا . يطا .

وهناك ثلاث عشرات هي : الجهالين الزويديون . الجهالين الفرات . الصرامة .
ولما قضاء رام الله فيتألف من مدبتين هما : - رام الله والبيرة . ومن ٨٥
قرية هي : أبو شخيم . أبو قش . أم صفا . برقا . بيتبين . بير زيت . بraham .
بيت ريم . بيتللو . بيت عور الفوقة . بيت عور التمحنا . بيت سيرا . بيت لقيا .
بيتونيا . ترسعيا . جفنا . جالا . الجانية . جلجلية . جيبيا . خربة أبو فلاح .
خربتا المصباح . دورا القرع . دير دبوان . دير بزيع . دير جرير . دير عمار .
دير أبو مشعل . دير نظام . دير السودان . دير غسانة . رأس كركر . روند .
سلواد . سنجل . سردة . صفا . الطيبة . الطيرة . عبوين . عين سينيا . عارورة .
عجول . عين قينيا . عير عريشك . حابود . عين يبرود . عطارة . قراوة . كفر
نعمه . كفر مالك . كفر عين . كوير . المزرعة القبلية . المزرعة الشرقية .
مزارع التوباني . النبي صالح . بيرود .

وليس في قضاء رام الله عشرات بدوية ، ولا مستعمرات يهودية .

وفي القدس اليوم (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف بين كبير وصغير ومن جميع الأجناس والأديان . بعضهم مسؤول عن إدارة فلسطين كلها ، والبعض الآخر عن إدارة قطاع القدس فقط .

قوات الأمن فيها

وفي قطاع القدس قوة كبيرة من البوليس لحفظ الأمن . في المدينة ، مثلا ، ثمانية مراكز للبوليس ، فيها بين الضباط وأفراد الشرطة ما تكتبه في البيان التالي :

المركز	اسم المركز	عدد أفراد الشرطة				عدد الضباط				النوع
		اليهود	عرب	إنجليز	مجموع	اليهود	عرب	إنجليز	مجموع	
١	تشلاق باب الخليل	٨٠	٤٠	—	١٢٠	—	١	—	١	يهود
٢	شارع اليهود	—	—	٢٥	٢٥	—	—	—	٢	يهود
٣	الغرم	٦	—	—	٦	—	—	—	٣	يهود
٤	مياه روم	٦٢	١٢	٧٠	١٤٣	٢٥	١	١٠٧	٢	يهود
٥	محنة يهودا	٨٠	٩٥	٦٠	٢٣٥	١	١	—	٢	يهود
٦	كولونية الألمان	٥٠	٣٣٠	١٣	٣٩٣	١	١	—	٢	يهود
٧	أنجلو بالستين	٢٥٠	٢٢٥	٩٣	٥٦٨	١	١	—	٢	يهود
٨	المركز	—	—	٨	—	—	—	—	٨	يهود
		٤٩٠	٧٤٨	٢١٦	١٤٥٤	١٣	٥	٢	٢٠	يهود

وعلى رأس هذه القوة نائب مدير البوليس العام يحمل تاجا ، وهو إنجليزي . وخمسة مساعدين للنائب بثلاث نجوم . ومؤلاه أيضاً إنجليز ، وفتنان أولان بنجمة واحدة هما أيضاً إنجليز . وبذلت ثقفات قوة البوليس في مدينة القدس في آخر ستة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧ م) ٩٦,١٥٠ جنيهاً فلسطينياً .

وأما في الأقضية التالية لقطاع القدس . فلذلك جموع الأفراد والضباط في كل منها :

	أفراد	ضباط	
بيت لحم وقرابها	٢٥٨	٨	
أريحا وقرابها	١٦١	٢	
الخليل وقرابها	١٢٦	٨	
رام الله وقرابها	١٩١	٣	

وبلغت نفقات البوليس في لواء القدس كلها وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧ م) ٤٩٨,٦٢٠ جنيهًا فلسطينيًّا . وعلى رأس هذه القوة مدير إنجليزي . يتبع في أعماله الأوامر التي يلقاها من مدير الأمن العام .

وهناك في القدس سجن للرجال ، يعمل فيه مئة وعشرون من رجال البوليس ، خمسة منهم ضباط (ثلاثة إنجليز وصربيان) ، ومائة وخمسة أنفار براتب مختلفة :

خمسة عشر منهم إنجليز ، وسبعون عربين ، وعشرون يهودياً . وأما سجن النساء فإنه في بيت لحم . فيه واحد وأربعون سجاناً وبعانته : خمسة إنجليز ، والباقيون عرب .

والمرة العام لقوة البوليس الفلسطينية في عمارة كبيرة من عمارات المسكوية . تلك العمارت القائمة بين الأحياء العربية واليهودية . يعمل فيه ثمانية مديرون بتابع ونجمة (ستة إنجليز وصربيان) وعشرون نواب للمديرين بتابع (سبعة إنجليز وصربيان ويهودي واحد) وعشرون مساعدون لنواب المديرين بثلاث نجوم (ثمانية إنجليز وصربيان ويهودي واحد) وستة عشر مفتشاً أولاً بنجمتين (تسعة إنجليز وخمسة عرب ويهوديان) ومائة وخمسون كاتباً من مختلف التدرجات والراتب (خمسة عشر إنجليز وتسعون عرب وخمسون يهود) .

وعلى رأس هذه القوة مفتش عام للبوليس والسجون بتاج وسفين هو الكولونيل غري Colonel Grey .

ولقد بلغت تفقات هذه القوة (أى قوة البوليس في فلسطين كلها) في آخر ستة من سنوات الانتداب (١٩٤٧ - ١٩٤٨) ٧,٠١٠,٥٠٨ جنيهات هذا من ميزانية بلغت مجموع تفقاتها في تلك السنة ٢٤,٦٣٥,٠٦٦ جنيهًا . وكثيراً ما كان حبل الأمن يضطرب في القدس ، وفيسائر مدن فلسطين ، بسبب اقتتال العرب والميhood . فتعجز قوات البوليس التي ذكرناها في الأسطر المتقدمة عن تهدئة الفتنة . وفي مثل تلك الحال كان الجيش البريطاني يتزل إلى الميدان . وكان هذا يرابط في قشلاق تلأفيرا ، في البقعة الفوقة ، على طريق القدس - بيت لحم .

مستوى المعيشة فيها

من الإنصاف أن نذكر أن سكان القدس بالرغم من اليأس الذي ألم بهم بسبب السياسة التي اتبعتها الحكومة طوال عهد الانتداب ، يعيشون في رغد من العيش . لا بل أستطيع أن أؤكد أن مستوى المعيشة في القدس أرق منه في غيرها من المدن المجاورة العربية . فليس فيها عمال حاطلون عن العمل «تجارة رائحة .. وأعمال متوفرة .. وأموال كثيرة .. ومنازل واسعة .. ورياش فاخرة .. واجتماعات وحلقات وسهرات نعم عن هناء البال » .

ويعتمد أبناء القدس في معيشتهم على موارد مختلفة . منها وأشهرها السياحة ، ورواتب الموظفين ، والمهن الحرة ، ثم ثانى الزراعة ، والتجارة ، ومقالع الحجارة وأعمال البناء

أما السياحة ، فإنها من أغنى الموارد . إذ يجتمع إلى القدس في كل عام عدد كبير من السياح والزائرين . . يفدون إليها من مختلف أنحاء المعمورة . . من الشرق والغرب . . فيزورون الأماكن المقدسة ويعودون إلى بلادهم . ولقد قدرت الحكومة في إحصائها الرسمي عدد السياح الذين دخلوا فلسطين في الأعوام العشرة التي مرت بين ١٩٢٦ و ١٩٣٦ بما يقرب من خمسين ألفاً في السنة . فإذا ما قدرنا أن جميع هؤلاء السياح يهبطون القدس ، إذ أن الغاية من زيارتهم كما قلمنا زيارة الأماكن المقدسة ، وهذه لا تتحقق إلا بزيارة القدس — وأن معدل ما ينفقه الواحد منهم في زيارته لهذه المدينة لا يقل عن عشرين جنيهاً ، علمنا أن إيراد القدس من هذا المورد لا يقل عن مليون جنيه في السنة .

وأما الرواتب التي يتلقاها الموظفون ، سواء أكان هؤلاء من أبناء القدس أم من وفروا إليها بقصد العمل في مختلف المصالح التجارية والدوائيين الرسمية فإنها موردة غزير لا يستهان به . لا بل إنه قد يفوق الموارد الأخرى . أنه وإن لم تكن لدينا أرقام موثقة عن الموظفين المستخدمين في مختلف المصالح التجارية ، إلا أنها نستطيع الجزم — استناداً إلى ما لدينا من أرقام رسمية — أنه يعيش في القدس في يومنا هذا (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف حكومي في رتب ودرجات مختلفة وأن الأموال التي ينفقها هؤلاء في المدينة من أجل إعاشهم وإعاشه عيالهم وملابسهم ومساكنهم من الصنخامة بحيث تستحق التلويذ .

وأما الزراعة فإنها ليست بذات بال في المدينة المقدسة . هذه المدينة التي قاسط على مر الدهور ، الأمرين من جراء قلة الماء . وهي تعتمد في زراعتها على مياه الأمطار . ومع ذلك فإنها اشتهرت بزراعة الزيتون والعنب والتين وما إلى ذلك من الأشجار المشمرة . وكانت هذه الأشجار تزرع في القدس وما حولها من الأراضي بكثرة . إلا أنها أخذت مع الوقت تتضاءل . فقد جاء في الإحصاء الرسمي أن مساحة الأراضي المغروسة زيتوناً في قطاع القدس بلغت (١٩٣٥ م)

٣١,٣٨٨ دونماً ، وأن عدد الأشجار التي غرست فيها ٤٠٨,٤٤ شجرة ، وقطر مصصول الزيت بـ ٦٦١ طناً .

وأما مساحة الأراضي التي غرست عنها في السنة نفسها (١٩٣٥ م) فقد قدرت بـ ٦,٥٧٩ دونماً ، وأنشجت ٣,٩٩٠ طناً من العنب .

وأما الأراضي التي غرست تباعاً ، فقد بلغت مساحتها ٣,٦٥٣ دونماً فيها من الأشجار ٥٤,٧٩٥ شجرة ، وكان ناتجها ٦٢٥ طناً .

وأما حركة البناء والعمران فحدث عنها ولا حرج . إنها تدل على القدس أمولاً كثيرة . فإن الازدياد المستمر في عدد السكان جعل حركة البناء أيضاً في تقدم مستمر . وعادت هذه بالربيع الوفير لا على العمال والبنائين فحسب ، بل على تجار الخشب والخديد والأسمنت وسائر مواد البناء ، وعلى أصحاب مقالع الحجارة ، فإن القدس مليئة بهذا النوع من المقالع . وبخرج منها أنواع كثيرة من الحجارة ذات الأنواع والألوان المختلفة . وحجر القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها . ولا سيما النوع المعروف بالحجر المزى الصلب ، ومن اللون الآخر . ويشتغل في هذه الحاجز عدد كبير من أصحاب الأرضي والعمال النحيريـن في قلع الأحجار وقطعها وتهذيبها وبنائها ، وجميعهم من العرب . والعامل العربي في يسر . يتقاضى أجراً لا يأس به إذا ما قيس بالأجر الذي يتقاضاه العمال في البلاد الأخرى . فقد بلغ أجرا العامل في اليوم الواحد ٥٧٥ ملا . وأكثـرهم عمال البناء . فواحدـهم يتناول جنيهـاً واحدـاً في اليوم . وأقلـ العمال أجورـاً هم عمال الطرق . فإن الواحد منهم يتقاضـى ٢٥ ملا . وما كانت القدس تعرف ساعات العمل . لا ، ولا كان فيها قوانـين للعمال . وأما اليوم فإن ذلك كله مرتبـط بنظام .

والتجارة رائجة . وفي القدس عدد كثـير من التجار يملكون ثروـات طائلـة . وما عـرف هـلاء الركود والإفلاـس سـوى مـرة أو مـرتين خـلال الثلاثـين سـنة .

ويع هذا فإن نفقات العيش في القدس غالبة بمقدار ما فيها من حركة ربح .
 فإن الأسرة الواحدة المكونة من خمسة أشخاص (رب بيت وامرأته وأولاده الثلاثة)
 لا يكفيها من أجل عيشها عيشة شريفة راضية أقل من ثلاثين جنيها في الشهر .
 ذلك لأن مستوى المعيشة قد ارتفع في السنين الأخيرة ارتفاعاً يلفت الأنظار .
 يحدث ، منذ الحرب ، تغير في ذوق أبناء المدينة من حيث الملابس والطعام
 والأثاث المنزلي . وهم من الرق والتحدن على جانب عظيم يقرأون من الكتب
 والمحاجلات أكثر بكثير مما يقرؤه أبناء الشرقين - الأوسط والأدنى ، والمتعلمون
 الذين أرسليهم آباءهم للدراسة في جامعات الغرب كثيرون وعدهم ما برح في
 أزيد من مائة .

الباب الثامن

الأماكن المقدسة ودور العبادة

المقدسات اليهودية — المقدسات المسيحية — المقدسات الإسلامية



المقدسات اليهودية

حائط المبكى :

ليس لليهود في القدس سوى (حائط المبكى) وبضع كنائس حديثة العهد والقبور التي ذكرناها في غير هذا المكان ، فذكر منها قبر أبسالوم ، وقبر يهو شافاخط ، وقبر زكريا ، ويعقوب . وأما المقبرة التي يدفنون فيها اليوم مواطنهم ، فإنها وقف إسلامي . إنها واقعة في الوادي المعروف بوادي قنرون ، ويسميه المقدسون وادى جهنم . وقد أذن لهم المسلمين باستعمالها لقاء جعل معين يدفعونه في كل سنة لأصحاب الوقف . ودفعوا فعلاً^(١) مائة دينار ذهب عن سنى ٩٦٨ و ٩٦٩ للهجرة .

وأما حائط المبكى فالاعتقاد سائد أنه بقية من سور أورشليم القديم وأنه الحائط الخارجى للهيكل الذى رميه هيرودس (١١ ق . م) ودمره تيطس (٧٠ م) ويقدسه اليهود ، ويزورونه بين كل آونة وأخرى . وكلما زاروه تذكروا مجدهم الفدائى . فبكوا . . .

إن حائط كبير ، مبنى من حجارة ضخمة ، يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً .
وأما الحائط نفسه فطوله ١٥٦ قدماً ، وارتفاعه ٥٦ قدماً .

وكثيراً ما حدثت اختلافات بين اليهود وال المسلمين من أجله . ذلك لأن المسلمين أيضاً يقدسونه . لا ، بل إن تقدير المسلمين له يفرق - إلى حد كبير - تقدير اليهود . إنهم (أى المسلمين) يعتقدون أنه المكان الذى ربط

(١) ارجع إلى الصفحة ٧٤ من السجل ٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

عنه جبرائيل براق النبي ليلة الإسراء . « سبحان الذي أسرى بعده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى »

ومن هنا جاء اسمه الإسلامي (البراق) . وقد كان ، ولا يزال إلى يومنا هذا ، يولف جزءاً من الحرم القدسي : أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. إنه جداره الغربي (١) .

تشتت اليهود :

قد يتساءل المرء : كيف ؟ وما الذي جرى ؟ ولماذا لا نرى لليهود في القدس مقدسات كثيرة ؟ وهم القائلون إنها مدينة يهودية الأصل (٢) ، وإن صلتهم بها لم تقطع على مر الدهور . فلما إذا ما أعدنا نظرنا إلى تاريخهم القديم علمنا السبب .

فقد تشتت اليهود تحت كل كوكب بعد أن ضربهم الرومان هاتين الفرسين الأولى على يد تيبطس (٧٠ م) يوم احتل هذا أورشليم بعد أن ذاقت من جراء حصاره الأمراء . والثانية على عهد أدريانوس (١٣٥ م) يوم دكها دكاً . ويحمل عاليها سالفها . وقتل منهم خمسة وثمانين ألفاً . ومن لم يمت منهم طرد من المدينة وحظر عليه الرجوع إليها . لمحقت عليهم نبوة أرميا النبي إذ قال : « الذين للموت فللي الموت . والذين للسيف فللي السييف . والذين للمجوع فللي الجوع ، والذين للنبي فللي النبي » .

ولم نعد نسمع عن يهود القدس شيئاً قروناً عديدة . حتى إن السائح اليهودي

(١) أقرأ ما كتبناه عن المخلافات التي قامت بين المسلمين واليهود حول البراق في الفصل الذي حصتناه القدس في عهد الانتماب البريطاني .

(٢) أقرأ ما كتبناه عن بنائهما الأولين في الفصل الذي حصتناه القدس في عهد البيوسين .

(باتسيا) الذي زار القدس خلال القرن الثاني عشر للميلاد لم يجد فيها سوى يهودي واحد .

والسائح اليهودي (موسى بن نوحان جيروندي) الذي هبطها بعد ذلك بقرن واحد لم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين .

وأحصى يهود القدس سنة ١٥٧٢ م ، ثبت مجلس الشرع الشريف أنه كان يعيش فيها يومئذ ١١٥ نفراً : منهم ٥٥ في جهة المحرم والباقي وقدرهم ٦٠ في غيرها من الجهات . وقرأت أسماءهم في السجل ٥٥ الصفحة ٢٠٧ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس . وكان هؤلاء يعيشون عيشة الفقر والذل والحرمان . حتى لفهم عجزوا عن دفع دينهم الذي يبلغ عام ١٦٦٢ م ألف قرش أسدى . فأمر قاضي المسلمين بتأجيل الدفع سنة كاملة ، ورضى الدائتون وهم من المسلمين بهذا التأجيل ، على شريطة أن يضع اليهود بيدهم رهناً . فرهنوا كنيسهم الكبير الكائن بجوار السيرجاني بمارة اليهود .

ونرى بعد ذلك بست سنين (١٦٨٨ م) أن عدد اليهود لم يكن سوى مائة وخمسين .

المسألة الشرقية وبعث فكرة إسرائيل :

وهكذا ظل اليهود قلة في القدس ، ولا شأن لهم يذكر ، إلى أن جاء القرن التاسع عشر . ووضعت المسألة الشرقية على يساط البحث . ففك (١٨٣٠ م) فريق من رجال السياسة في إنجلترا وعلى رأسهم اللورد بالمرستون وبيكونسفيلد ، في إنشاء دولة إسرائيلية في فلسطين ، تحميها بريطانيا ، وتؤمن طريق الهند .

وأذكى هذه النظرية أحلام اليهود . فراحوا يحاولون امتلاك الأراضي في القدس وفي فلسطين . ولكن سكان البلاد عارضوا في ذلك وأيدتهم السلطة .

ولقد اطلعنا في فصل الأوراق السياسية لسنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) من مجموعة الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد على باشا للأستاذ أسد رستم على قرار أصدره مجلس الإدارة في القدس يمنع اليهود من شراء الأراضي وتملكها. وجاء الأمر من مصر إلى متسلم القدس مؤيداً لذلك القرار.

وأصدرت الحكومة التركية ، عام ١٨٨٢ م ، قانوناً حرم في المиграة اليهودية وشراء الأراضي . إلا أنها عادت فعلته بفضل تدخل ستراوس الوزير الأميركي المفوض في إسطنبول . ومنحت اليهود حق الدخول إلى فلسطين والبقاء فيها ثلاثة أشهر بقصد العبادة . وهنا تلعب الرشوة دورها . فيدخل البلاد عدد غير قليل من اليهود ويبيرون فيها . لما يكاد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى نرى لليهود في القدس ست كنائس :اثنتان منها لليهود الاشكنازيم ويسمىهم المقدسيون (السكناج) وهم من روسيا وبولونيا وصادر أنماه أوربا الشرقية ؛ وثلاث للسفراديم ، وهم من إسبانيا والبرتغال ؛ واحدة للقرائين . وأربع مدارس هي : (الأليانس) الزراعية و (مدرسة الأيتام) و (المدرسة العمومية) و (إيفلين روتسلد) ، وهذه الأخيرة للبنات . وثلاثة مستشفيات هي : مستشفى ولنج ، ومستشفى روتسلد ، ومستشفى ميكور شوليم .

الحركة الصهيونية :

وفي تلك الحقبة من الدهر وضعت الثواب الأولى للحركة اليهودية التي عرفت بعدها بالصهيونية .

وحاجه بعد قليل الدكتور تيودور هرتسل ، من يهود المنساء ، فقلبها من حركة ثقافية دينية إلى حركة سياسية (١٨٩٧ م) . وأنشأ بجمعية أسمها (الجمعية الصهيونية) .

ولما أعلنت الحرب الكونية الأولى (١٩١٤) راح الأترالك يطاردون الصهيونيين وأصدروا جمال باشا بوصفة القائد الأعلى للجيش الرابع المرابط في فلسطين أمراً منع فيه رفع العلم الصهيوني في أي أرض تقع تحت حكمه . كما منع رفع أي لافتة تكتب باللغة العبرية . وصادر جميع الطوابع والأوراق المالية التي تخص الحركة الصهيونية . وألغى جميع المؤسسات اليهودية التي تكونت في فلسطين بعد أن دخلتها خفية . وجاء في البيان الذي صدر يومئذ (٢٥ كانون الثاني ١٩١٥) أن الحكومة فعلت ذلك بناء على ما لديها من معلومات ثبت أن بعض العناصر تتآمر باسم الصهيونية لإقامة مملكة يهودية في فلسطين .

وعد بلفور :

ولقد تزعم الحركة الصهيونية بعد موت هرتسل الدكتور حاييم وايزمن . ولذا يعود الفضل الأكبر في الحصول على وعد بلفور . . . وزير خارجية بريطانيا . ذلك الوعد الذي ذكرناه وما أحدهه من قلاقل وتورات في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين في موضع آخر من هذا الكتاب ، فليرجع إليه من شاء . ونكتفي بالإشارة هنا إلى أن عدد اليهود في القدس أصبح في نهاية عهد الانتداب مئة ألف ، وفي فلسطين كلها ستمائة ألف ، وأن هذا العدد الذي دخل بفضل الحراب الإنجليزية لم يجد أمامه من ذكريات الماضي سوى (ساخت المبكى) . والمقابر الآقى ذكرها .

المقابر اليهودية :

لليهود مقبرة واحدة تقع شرق السور ، في الوادي المعروف بوادي قدرون ،

ويسميه العرب وادى جهنم . وتحت هذه المقبرة من الوادى المذكور حتى رأس العمود والسفح القبلى من جبل الزيتون . وفيها أربعة قبور يقصدها اليهود في أيام معينة ، هي :

(قبر أبسالوم) الابن الثالث لداود الملك ؛ ذلك الابن الذى ثار على أبيه ، وحاول إسقاطه عن عرشه . ويعتقد قونتر أن الكسندر يانوس مدفون فيه . إنه بناء فخم مربع الشكل ، في كل ركن من أركانه الأربعة أربعة أعمدة يعلوه إفريز يوناني . وفوقه قبة هرمية الشكل . يسميه المقدسيون (طنطور فرعون) .

(قبر يهوشافاط) لم يتميز المؤرخون في معرفة أسماء المدفونين فيه . وإن قال بعضهم إن يهوشافاط مدفون فيه . وقال آخرون إنه دفن في نفس الموقع الذى دفن فيه داود على جبل صهيون .

(قبر يعقوب) مدفن إسرائيلي شخص . يعتقد المسيحيون أن القديس يعقوب ، أحد الرسل الثاني عشر ، قد توارى فيه بعد صليب المسيح .

(قبر النبي زكريا) ينسبه اليهود إلى زكريا بن يهويازع . ويقول بعضهم إنه قبر حفيده الذى كان كائناً في أيام أحاذيا ويهواش . وقد مات رحا بالحجارة بأمر من الملك .

القدسات المسيحية

قلنا في غير هذا الموضع من الكتاب أن عدد المسيحيين في بيت المقدس بلغ عام ١٩٤٤ ثمانية وعشرين ألفاً وستة وستة وأربعين شخصاً . ونود الآن أن نقول إن هؤلاء منقسمون إلى طوائف وشيع ومذاهب ، حتى وأجناس مختلفة . ولكل طائفة من هذه الطوائف معابدها ومؤسساتها الدينية والاجتماعية . وما كلها مجتمعة ، خلا طائفة البروتستانت ، كنيسة القيامة . فلنبدأ الآن بذكر المؤسسات التي تملكها كل طائفة . ثم نختتمها بذكر الكنيسة التي يقدسها الجميع ، وما دار حولها من اختلافات دينية على مر الدهور .

الروم الأرثوذكس :

دياراتهم كثيرة نذكر منها :

(دير أبينا إبراهيم) في ساحة كنيسة القيامة ، في الناحية الشرقية إلى الجنوب . عمرته الملكة هيلانة حوالي سنة ٣٣٥ م . وخربيه الفرس ٦١٤ م . وظل موضعه خراباً إلى أن أخذته الروس من الأتراك (١٨٨٧ م) . فأعطوا قسماً منه للروم حيث بناوا ديرهم هذا . وبنوا على القسم الآخر ديرهم القريب من باب شان الزيت والمعروف : (المسكوبية) .

فيه اليوم كنيستان : إحداهما صغيرة باسم (أبنا إبراهيم) . والأخرى كبيرة باسم (الرسل الأربع عشر) .

(دير مار يوحنا المعمدان) بين سوقية حلون والشارع المؤدى إلى حارة

النصارى . فيه كنيستان : واحدة تحت الأرض .. طرائزها بيزنطى .. بنيت سنة ٤٥٠ م . والأخرى فوقها بنيت عام ١٠٤٨ . وعندما ما احتل الصليبيون القدس انخلوا الدبر والكتيستين مستشفى ومقرًا لفرسان مار يوحنا (١٠٩٩ م) . وعندما ما استرد صلاح الدين القدس أعاد البناء مع ما أعاده من الأبنية الأخرى إلى الروم (١١٨٧ م) .

(كنيسة سنتا مريم) في وادى قدرتون عند ملتقى الطرق المؤدية إلى باب الأسباط وسلوان وجبل الطور . بناها مار كيائوس إمبراطور بيزنطية (٤٥٠ - ٤٥٧ م) . فيها قبور يواكيم وحنة والد مريم البطل ، وقبر مريم نفسها ويوسف النجار . إنها للروم والأمن . وفيها حجرة يصلى فيها الأقباط والسريان .

(دير مار سابا) على مقربة من سلوان . بناء^(١) القديس سابا حوالي ٤٨٤ م . فيه كنيسة أنشئت عام ٥٠٢ م . وعمارات أضيفت إليه على عهد الإمبراطور جوستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) . وفيه مكتبة فيها ثلاثة آلاف مجلد . ولا يجوز دخول النساء لهذا الدبر عملاً بوصية القديس سابا الذي لم يسمح حتى لأمه بدخوله .

(دير العلراء) ويسمونه دير سنتا مريم . واقع إلى الجنوب من كنيسة القيامة بينها وبين المسجد العمري . إنه دير بيزنطى قديم . بني في عهد البطريرك إلياس الأول (٤٩٤ م) .

(الدبر الكبير) ويعرف بدبر قسطنطين . يسميه اليونان (كندركسون مناستريون) أى الدبر المركزي . واقع إلى الجنوب من بطريركية الروم في حارة النصارى . بناء البطريرك إلياس الأول (إيليا) الذي تولى شؤون البطريركية سنة ٤٩٤ ميلادية . ويعتبر اليوم قاعدة أدبار الروم في فلسطين . فيه ثلاث

(١) (كلام في وصف الأرض المقدسة) تأليفه باسيل نقولا شتروبلو . مترجم عن الروسية هنا جمعى .

كنائس (١) كنيسة القديسة هيلانة (٢) كنيسة القديسة تفلا (٣) كنيسة مار يعقوب . وفي هذه الكنيسة معبدان صغيران : — واحد باسم (الشهداء الأربعين) والثاني باسم (حاملات الطيب) .

(دير القديس تيودسيوس) أنشئ في نفس التاريخ الذي أنشئ فيه دير مار سابا (٤٨٤ م) . واقع بين بيت لحم ومار سابا . ويسميه العرب دير ابن عبيدة . لأنه كائن في المنطقة التي تعيش فيها عشرة العبيديين . ذكره ابن البطريق فقال إنه دير الدواكس . وكان به مود سطس الراهب الذي عمر كنيسة القيامة بعد أن دمرها الفرس .

(دير المصلبة) في ظاهر القدس إلى الغرب . إنه دير قديم . أنشأه (١) الأمير ماريام الكرجي أيام الملك قسطنطين حوالي سنة ٣٣٠ للميلاد وفي قول آخر إن الذي بناء هو الإمبراطور يوستينيوس وأن ذلك جرى بين عامي ٥٢٧ و ٥٦٥ للميلاد .

(دير البناء) مجاور لخان الأقباط من ناحية الشمال . بناء البطريرك إلياس (٥٩٤ م) . فيه كنيستان : إحداهما أرضية باسم (الكنيسة ميلانيا) . والأخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) أو (العنراه البكر) .

(دير مار إلياس) قبل القدس ، على طريق بيت لحم . إنه دير قديم . أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد (٦١٠ م) فهدمه الفرس (٦١٤ م) . وأعيد بناؤه سنة ١١٦٥ م من لدن عمانوئيل قومينيوس . وتجدد في زمن البطريرك ذوستيوس سنة ١٦٧٨ م .

(دير الخليل) فوق جبل الطور . فيه كنيسة قديمة يسمى بها الروم (غاليلية) والمقدسون (إيليا) . يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد

(١) هذا ما قاله المؤرخ اليوناني بنيامين يوانيدس في الصفحة ٢٦٤ من كتابه الذي طبعه في مطبعة دير الروم بالقدس سنة ١٨٧٧ م .

فيماه لأول مرة في هذا المكان . وقد بنوا في الموضع نفسه كنيسة أسموها (العناء). (دير القطمون) في الحى المعروف بالقطمون غرب القدس . كان يهد الكرج ، ثم صار إلى الروم . فيه كنيسة وفي داخل الكنيسة قبر القديس سمعان . وكانوا يسمونه (دير سمعان) . إنه مقر الكرسى البطريركى في فصل الصيف . وكان الروم ينزلون فيه المحاكم والمتصرفين . وهناك ديارات أخرى صغيرة تذكر منها : (حبس المسيح) على طريق الآلام . و (دير مار خراالامبوس) بعيد الخانقاه الصلاحية من الجهة الشرقية . و (دير السيدة) على مقربة من الخانقاه المتقدم ذكرها . و (دير مار افتيوس) وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال . و (دير العلس) ويسمونه دير مار نيكوديمس ، فوق حبس المسيح في حارة السعدية . و (دير صهيون) على جبل صهيون . و (دير مار جرجس) وهو ملاصق لدير اللاتين من الشرق . وهناك دير آخر بهذا الاسم إلى الشرق من دير الأرمن . و (دير مار ميخائيل) بجاور بطريركية الروم من الشمال . و (دير القديسة كاترين) في حارة النصارى بين الخانقاه الصلاحية ودير اللاتين . و (دير مار سبزيلون) في حارة الحدادين . و (دير مار ديمترى) في حارة النصارى على طريق الكازانوفا . و (دير مار نقولا) غرب البطريركية . و (دير مار تادرس) بجانب الدار الجديدة المعروفة بالказانوفا . و (دير القدس أنوفريوس) في الوادى الكائن بين جبل صهيون وجبل أبي ثور . و (دير أبي ثور) على جبل المكبر . و (دير العازر) في العيزرية على مقربة من القدس إلى الشرق .

وللروم الأرثوذكس بطريركه هو اليوم (تيوثيوس) وتولى البطريركية قبله خمسة وسبعين بطريركاً . أولهم الأسقف (يوفيناليوس) وهو أول من سمي بطريركاً لأورشليم . وقد تم ذلك سنة ٤٥١ ميلادية . وهو الذى أقر الاختفاء بعيد الميلاد في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) .

ومن بطاركة الروم الكثرين اشتهروا في عهدهم البطريرك إلياس (إليا) ٤٩٤ م ، وكان هذا عربي الأصل من نجد . وله آثار في القدس منها دير قسطنطين . ومنهم صفرونيوس الأول (٦٣٤ م) . وعلى عهده فتح المسلمين بيت المقدس . وصفرونيوس هذا عربي الأصل ، وإن كان اسمه يونانيًّا (معناه العفيف أو ذو العقل السليم) ذلك لأنّ البطاركة درجوا على عادة تسميتهم بالأسماء اليونانية .

وعندما احتل الصليبيون البلاد (١٠٩٩ م) ، ساد فيها حكم الكنيسة الغربية (اللاتين) بدلاً من الكنيسة الشرقية (الروم) . وعندما أنهزم الصليبيون على يد صلاح الدين تنفس الروم الصعداء . وكان جميع البطاركة الأورشليميين (ومن سنة ١٢٩١ إلى سنة ١٥٣٤) عرباً أى أن الأساقفة العرب انفردوا في إدارة شؤون الكنيسة الأورشليمية مدة ٢٣٤ سنة .

وعلى عهد البطريرك داميانوس الأول (١٨٩٧ م) اشتد الخلاف بين طائفتين من أبناء البلاد ورجال الإكليلوس اليونانيين . وقد حاول أبناء البلاد ولا يزالون يحاولون التخلص من سيطرة رجال الدين الأجانب . مما قد فصلناه في كتابنا المفصل عن (تاريخ القدس) فليرجع إليه من شاء .

الروم الكاثوليك :

في القدس أبرشية للروم الكاثوليك ، أنشأها البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨ م . تقوم هذه الأبرشية في يومنا هذا في حارة الموارنة . وفيها نائب بطريركي هو الارشمندرية جبرائيل أبو سعدي . يرجع في أمره إلى بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق .

والروم الكاثوليك في القدس كنائس وأديرة نذكر منها :

١ (كنيسة القديسة حنة) بين باب حطة وباب الأسباط ، إلى الشمال من الحرم القدسى . هنا ، كما يعتقد المسيحيون ، أنه كان فيها فرط من الأيام مسكن يواكيم وحنة والدى مريم البتول . وفي هذا المكان بركت الغنم حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته . وفيه بني في القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول في سنة ٥٣٠ م . ويظهر أن هذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤ م فأعاد الصليبيون بناءها عند ما فتحوا القدس ١٠٩٩ م . وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . ويحمل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطاً للصالحين ومدرسة لفقهاء الشافعيين سنة ١١٧٨ م . وكانت هذه تعرف فيها مصلى : (صند حنة) وبهيت بعد الفتح الصالحي بالصلاحية . وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين ١٨٤٢ و ١٨٤٢ م . هدمت على إثره جدران الدير . فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت بها الشكبة العسكرية المجاورة لها .

وعندما انتهت حرب القرم بانتصار تركيا (١٨٥٥ م) سلم السلطان عبد الحميد هذا المكان إلى نابليون الثالث اعتراضاً بخدمته . ذلك لأن فونسا عاصمت تركيا في حربها مع الروس . وسلمه المتصرف كامل باشا إلى الفرنسيين (١٨٥٦ م) فأنشئت فيه مدرسة (١٨٧٨ م) . وانقلبت هذه إلى كلية إكابر كية (١٨٨٢ م) وفي الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) احتلها الجيش التركي ، وحوظا القائد التركي جمال باشا إلى كلية إسلامية أسمتها (كلية صلاح الدين) . وأما الكنيسة فلم يمسها ضرر . ولما احتل الإنجليز القدس (١٩١٧ م) أعادوا العمارة إلى الآباء البيض . فأنشأ هؤلاء فيها مكتبة ومتحفاً .

فيها الآن مدرستان : — إحداهما صغرى ، لتعليم العلوم الأولية والثانوية . والثانية كبرى لتلرينس الفلسفة والكهنوت .
وللروم الكاثولييك في القدس دار يسمونها (دار القدس فيرونيكا) . واقعة

في حقبة المفتي ، على درب الآلام . بنيت في المكان الذي مسحت فيه هذه القدسية وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملاً صلبيه . وكانت الأرض ملكاً لمسلم من سكان القدس (عبد الرحمن حلقة العلم) . فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهباً . وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤ م فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القدسية فيرونيكا .

الإرساليات الكاثوليكية وبطاركة اللاتين :

عندما أنشأ البابا بيوس التاسع عشر بطريركية اللاتين في أورشليم (١٨٤٧) نشأ خلاف بين البطريرك (يوسف فاليركا) الذي أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيسين . إذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم في إدارة الأماكن الالاتينية . وانقسم اللاتين إلى فتدين — فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك . وأنخرى تعصى الآباء الفرنسيسين . وراح البطريرك يبحث الرهبان في القارة الأوروبية على الخريطة إلى فلسطين . وما شجع هؤلاء على الخريطة إلى هذه الديار الضيغط الذي ألم بالجمعيات الدينية ^١ بفرنسا ، والتشريعات الجديدة التي سنت فيها لطاردة الرهبان يليعاز من المحاولات الماسونية ، وقال المطران مكسيموس مظلوم في الصفحة ٣٧١ من كتاب (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق) ذلك الكتاب الذي ترجمه عن الفرنسية مؤلفه (مكسيموس موفرن) إن المسيحيين راحوا يزورون القدس في الجليل السادس عشر وما بعده بعشرة ، لا يقصد العبادة فحسب بل وحماية الأماكن المقدسة بالطرق السلمية ، إذ كان المسلمون يومئذ أقوىاء . وما كان من السهل إشهار حرب صلبية عليهم كالمسيحيين التي قامت في القرن السادس عشر . ومن الرهبات التي تأسست في القدس :

(الآباء الفرنسيسيون) وبلقائهم المقدسون : (رهبان أبي حبلة) ، عهد إليهم

البابا غريغوريوس التاسع بخدمة كنيسة القيامة عام ١٢٣٦ م ١٢٩١ إلى سنة ١٨٤٧ م ١٠ .

من الماليك والأتراء . ومن أملاكهم في القدس :

(دير المخلص) ويعرف بدير اللاتين . واقع في الجهة من حارة النصارى . ابناعوه من الكرج سنة ١٥٥٩ م . فيه مدرسة وكنيسة وبيت وصيدلية ومطبعة وفرن ومطبخة وعدة معامل . (الказانوفا) ويسمونها الدار الجديدة . واقعة بين الباب البحري ومدخلة لترون الحجاج والزوار المسيحيين .

(دار البطريركية) على مقربة من казانوفا ودير المخلص . أ يوسف فاليركا سنة ١٨٦٣ م . فيها يقيم بطريرك اللاتين . وفيها وكنيسة باسم يسوع .

(الحسانية) كنيسة جميلة واقعة في وادي قлерون عند د القدس والطور وسلوان . بنيت سنة ١٩٢٤ . واشترى في بنائها العالم . وللمعتقد أن رئيس كهنة اليهود وجنته ألقوا القبض على بدلالة يهودا الأسفريوطى في هذا المكان .

(كنيسة مار فرنسيس) واقعة إلى الشمال من مقام النبي د أرض كانت في الأصل ملكاً لجماعة من آل الدجاني (أسرة) وقد ابناها الآباء الفرنسيون حوالي عام ١٩٣٠ .

(جيس المسيح) واقع إلى الشمال من القشلة القديمة ، وعلى مقربة من الطريق المؤدية إلى باب الأسباط . يعتقد اللاتين جلد وأهين في هذا المكان من قبل جند الرومان .

الآباء الدومينيكيون :

ومن أسمائهم (رهبان مار عبد الأحد) . جاءوا إلى القدس عام ١٨٨٢ م. لهم فيها دير وكنيسية تدعى (سانت آبيان) أو (كنيسة القديس أسطفان) . بنيت في عهد البطريرك جوفينال (٤٢٨ - ٤٥٨) . إنها واقعة على بعد نصف كيلومتر من باب العمود إلى الشمال . خربها الفرس عام ٦١٤ م . وبنى على أنقاضها البطريرك صفر ونيوس (٦٣٨ م) معبداً صغيراً باسم القديس أسطفان . خربه الصليبيون خشية أن يلجأ إليه المسلمين الذين جاءوا يومئذ (١١٨٧) لخصار أورشليم . والكنيسة الحالية بنيت عام ١٨٩٥ م . وتحيت الكنيسة الملوκية الصغرى .

الآباء الكرمليتون :

هبطوا البلاد عام ١٦٣٦ م . لهم في حيفا وعلى جبل الكرمل كنائس وأديبار . وأما في القدس غليس لهم سوى دير صغير في الطالبية ، ومعبد صغير باسم (القديسة تريزا) .

(راهبات مار يوسف) هبطن القدس عام ١٨٤٨ م . ولهم فيها (مستشفى القديس لويس) تجاه السور من الشمال وعلى بعد بعض خطوات من الباب الجديد . بني عام ١٨٨٠ م .

(دير مار يوسف) في حارة الموارنة على مقربة من بطريركية الروم الكاثوليك . أنشأ عام ١٨٥٠ وتم تجديده في ١٩٣٠ م . وفيه مدرسة للبنات . ولراهبات مار يوسف مدرسة ثانوية للبنات خارج السور . ويقيم على مقربة من المدرسة المذكورة .

(راهبات صهيون) جئن إلى القدس عام ١٨٥٦ م . لمن فيها دير على طريق الآلام ، فيه مدرسة وكنيسة وبيت .

(رهبان صهيون) جاءوا إلى القدس عام ١٨٧٣ . ولم يجدوا مدرسة هي التي عرفت بالراتزبون ، وتعرف أيضاً بمدرسة القديس بطرس . وهي مدرسة صناعية واقعة على بعد بضعة أميال من مقبرة ماما لـ إلى الغرب .

(التزل النساوي) ويسمونه هوسيس النساء . واقع في حارة الواد على طريق الآلام . بني عام ١٨٥٦ م . وبات فيه إمبراطور النساء فرنساوا جوزيف عند ما زار القدس ١٨٦٩ .

(راهبات الكرمل) جئن إلى القدس عام ١٨٧٣ م . وشيدن على جبل الزيتون ديراً يعرف باسمهن . لمن لا يظرون على أحد من الناس طيلة حياتهن . (الفرير) ويسمونهم (إخوة المدارس المسيحية) . جاءوا إلى هذه البلاد عام ١٨٧٦ م . ولم يجدوا في حارة الجوالدة من حارات القدس دير وكنيسة ومدرسة كبيرة .

(الآباء البيض) جاءوا إلى القدس عام ١٨٧٨ م . وأسسوا فيها كنيسة القدس سـنة المعروفة في يومنا هذا بالصلاحية . ذكرنا عنهم الشيء الكثير في الفصل الذي خصصناه للروم الكاثوليك .

(راهبات الوردية) يتتمين إلى رهبة أنسا الأب يوسف طفوس الناصري عام ١٨٧٩ م . لمن في القدس مدرسة للبنات أنشئت عام ١٨٨٣ م . ومستوصف وديران : واحد يجوار بطركية اللاتين والآخر إلى الجنوب من مقبرة ماما .

(رهبان مار يوسف) جاءوا إلى القدس عام ١٨٧٩ م . فأسسوا مستشفى هـ الكائن في الطنطورة بين القدس وبيت لـ .

(آباء القلب المقدس) جاءوا عام ١٨٧٩ م . وأنشأوا ديرهم القريب من بيت لـ . كانت لهم مدرسة إكليركية . إلا أنهم نقلوها إلى فرنسا في آخر سنة من الانتداب .

(راهبات مار فرنسيس) ويعرفن بالفرنسيات الثالثيات . جن إلى القدس عام ١٨٨٤ م . وأنشأن ديرهن الكائن في حارة النصارى إلى الشهان الشرقي من دير اللاتين . فيه مدرسة داخلية تعرف ببيت البتاني .

(راهبات مار كلارا) جن إلى هذه البلاد عام ١٨٨٤ م . وأسسن ديراً على جبل المكبر في الطريق المؤدية إلى الكلية العربية . لا يختلطن بأحد من الناس .

(راهبات الحبة) ويعرفن براهبات مار منصور . جن إلى القدس عام ١٨٨٦ م ، هن معهد واقع على طريق ماملا . فيه عدد كبير من الأطفال والأيتام والمعجزة والمعتوهين والعميان .

(الآباء الانقلاليون) ويسمونهم الرهبان الأسطوليين وهناك من يسمونهم خلقاً بالصعوديين . جاءوا إلى القدس عام ١٨٨٧ م . وأسسوا فيها نيلاً هو المعروف : (نووردام دو فرنس) . إنه عبارة عن عمارة ضخمة ، لا تبعد إلا بضعة أمتار من الباب الجديد ، من أبواب السور الشمالي . بني عام ١٨٩٩ م ، بقصد لزيادة الحجاج الفرنسيين ونشر الدعائية لفرنسا ، فيه كنيستان ، واحلة كبيرة والأخرى صغيرة . وفيه متحف ومكتبة ومدرسة إكليركية . وهو مشرف على المدينة إشرافاً تاماً .

(راهبات السجود) ويسمونهم راهبات التعمير والقربان . جن إلى القدس عام ١٨٨٨ م . وأسسن فيها ديراً هو الذي زاره أمام المستشفى الفرنسي على طريق سليمان . وفي الدير معبد باسم (القربان المقدس) ، ترى أمامه ، في أى وقت دخلته راهبتين ماجدتين . ويتبادل الراهبات السجود مرة كل ساعة .

(الآباء العازريون) هبطوا هذه البلاد عام ١٨٩٠ م . لم في القدس العماره الكائنة بباب العمود ، التي اتخذت في أوائل الاحتلال البريطاني مقراً لحاكم القدس . ولم فيها أيضاً دير إلى البخوب من مقبرة ماملا .

(الآباء التراييون) جامعوا حوالي عام ١٨٩١ م . وأسسوا ديرهم الشهير في الطرون . عددهم أربعون يعيشون في صمت تام . وهم ماهرون بزراعة الكرمة وصناعة الألبان واللحمور .

(راهبات مريم الفرنسيسيات المرسلات) جنّ لِلْقَدْسِ عَام ١٩١٨ م . ويسمّين الراهبات البيض ، هُنَّ دِيرٌ بِبَابِ الْعَمُودِ تجاه نَزْلِ الْقَدِيسِ بُولِسِ لِلأَلْمَانِ الْكَاثُولِيكِ . بُنِيَ هَذَا الدِّيرُ عَام ١٩٣٣ م . وَفِيهِ كَنِيسَةٌ وَمَصْنَعٌ لِلتَّصْوِيرِ وَالْمُجَاطَةِ وَمِيقَمٌ .

(الآباء الكبوشيون) جامعوا سنة ١٩٣٥ م . وَطَمَ فِي الطَّالِبَيَّةِ دِيرٌ وَمَدْرَسَةٌ .

(البجزويت) ويقال لهم الآباء اليسوعيون . لهم في القدس (المعهد البابوي الأخرى) في حي النيقوفورية . أُسِّسَ عَام ١٩٢٧ م . وَمُهْمَّتُهُ دراسة الآثار القيمة بِفَلَسْطِينِ .

وهناك (الرهبان السالزيون) و(الراهبات السالزيات) في حي المصارعة . و(الرهبان البندكتيون) و(الراهبات البندكتيات) على جبل صهيون . و(راهبات الخلجلة) و(الآباء المعزون) وغيرهم كثيرون .

ثالث هى الإرساليات الكاثوليكية في القدس . وهى خاصة للبابا في روما . وفي القدس بطريركية ينتدبها البابا ، لإدارة شؤون الطائفة اللاتينية . وفيها يلى أسماء البطاركة الذين تسلّموا كرسى البطريركية : يوسف فالير كا ١٨٤٧ ، فنسان براكو ١٨٧٣ ، لودوفيكيو بياف ١٨٨٩ ، فيليبس كمساني ١٩٠٦ ، لوبيجي براسينا ١٩٢٠ ، منصور جلاد (وكيل بطريرك) ١٩٤٨ ، البرتغوري ١٩٥٠ .

الأرم:

في القدس اليوم (١٩٤٥ م) خمسة آلاف أرمني . وهم فتنان : فئة قديمة تعيش في (دير مار آركانجل) شرق مار يعقوب . وأخرى حديثة العهد هبطت القدس يوم غصب الأتراك على الأرمن في بلادهم فلديتهم (١٩١٤ م) .

وتعيش هذه الفتة في (دير مار يعقوب) .
وللأرمن في القدس ممتلكات — نذكر منها :

(دير مار يعقوب) ويسمونه دير القديس جيمس الكبير . واقع بين قشلاق البوليس وباب النبي داود . فيه دار البيطريركية ، ومدرسة للاهوت ، ومطبعة ، ومكتبة فيها أربعة آلاف خطوط وثلاثون ألف كتاب مطبوع . كان في هذا الدير كنيسة قديمة هدمها الفرس عام ٦١٤ م . ثم أعيد بناؤها في أواسط القرن الثاني عشر . وقال بعض المؤرخين^(١) إن هذا الدير كان في الأصل للكرج ، ثم صار للروم ، وكان يدعى فيها مرضى دير القديس يعقوب الزبدي . ثم أخلوه الأرمن من الروم بالأجرة . فصار لهم .

(دير الزيتونة) ويسمونه دير مار آركانجل . واقع خلف دير مار يعقوب من الشرق . فيه مدرسة للبنات وكنيسة .

(حبس المسيح) دير للأرمن واقع في حي النبي داود على جبل صهيون . فيه كنيسة صغيرة وفي ساحتها عدد من قبور بطاركة الأرمن وأساقفهم المتأخرین . وللأرمن في كنيسة القيامة كنائس منها : (الملجأة الثانية) وهي أمام القبر المقدس . و (كنيسة مار كريكور لوسا فوربيتش) ويسمونها كنيسة القديسة هيلانة . و (كنيسة المریعات) أمام قبر المسيح . و (كنيسة مار يوحنا) في ساحة القياعة .

ولهم جانب من (كنيسة متنا مریم) عند مفترق الطرق المؤدية إلى القدس وسلوان وجبل الزيتون .

ولهم مدرستان : إحداهما أولية ويسمونها (تركتشاتس) . وأخرى كبيرة يدرسون فيها علم اللاهوت . وفي القدس أربع جميات أرمنية هي : (١) آغ كداختام

(١) من خطوط عثر عليه في برلين من ٤٤ مؤلف المحرر ميخائيل بريوك المشتق . وقد أطلعنا عليه في مكتبة الأستاذ جيسي إسكندر المعلوم بزحلة .

وهي تعنى بالفقراء (٢) جمعية الصليب الأخر الأرمنية (٣) الاتحاد الخيرى لأرمن القدس (٤) هاى بارى قورجاغان أو نزانور ميوثيون . وهذه الأخيرة تعنى بصورة خاصة بإرجاع الأرمن إلى بلادهم (أرمينيا) . وقد رجع قسم كبير منهم .

وللأرمن في القدس بطريركية يقوم عليها في يومنا هذا البطريرك كوريخ الثاني وأسمه إسرائيليان نور شوغابي . وهو الرابع والستون بين البطاركة الذين تولوا رعاية الكنيسة والطائفة الأرمنية .

والأرمن أيضاً من حيث العقيدة ، فشتان : أرمن أرثوذكس . ولأرمن كاثوليك . وللأرمن الكاثوليك بطريركية أنشأها النائب البطريركي (أنطون يواكيم تومايان) وكان ذلك سنة ١٨٨٦ م . وفهم دبر بنى في الموضع الذي التقت فيه مريم العذراء بالسيد المسيح وهو ذاهب للصلب . وكنيسة أسموها (أوجاع العذراء) .

الأقباط :

هبطت أول قافلة قبطية مدينة القدس بقصد الاشتراك في تدشين القيامة . وكان ذلك في أواسط القرن الرابع للميلاد . وجاءت بعد ذلك قافلة أكبر من الأولى وكان ذلك على عهد صلاح الدين ، وكان الأقباط له خلصين . فأراد أن يكافئهم على إخلاصهم ، فرد إليهم أملاكهم التي اغتصبها منهم الصليبيون . كانت شؤون القبط في القدس (١) تدار من لدن رجال الكنيسة الأنطاكيية السريانية . ولكنهم راحوا ينفرون من السريان في أواخر القرن الحادى عشر . وفي عام ١٢٣٥ م . استقلوا فصار لهم مطران يدير شؤونهم ، وتم بعدها الاتفاق

(١) (تاريخ الكرسي الأورشليمي للأقباط الأرثوذكس) لشمس كامل صالح نخلة الإسكندرى خطوط ص ٢ .

بين الكرسين (الأنطاكي والإسكندرى) على أن يتولى أبرشية القدس حبر قبطى يعينه البابا الحالس على الكرسى المرقسى ، وأن يجرى التكرير باسم البطريرك الأنطاكي .

إن أول مطران قبطى رسم على القدس هو الأنبا باسيليوس (١٢٣٦ م) . وجاء من بعده سبعة عشر مطراناً . آخرهم المطران الحالى الأنبا ياكوبوس (١٩٤٦ م) .

في القدس اليوم زهاء خمسة قبطى . وللقطط فيها أملاك ذذكر منها : (دير السلطان) وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبيّة الشرقيّة . وفيه كنيستان : (كنيسة الملائكة) و (كنيسة الحيوانات الأربع) . اغتصبه الصليبيون من الأقباط ، ورده إليهم صلاح الدين . وهذا اسمه دير السلطان . (دير مار أنطونيوس) يعرف بالدير الكبير . وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشالية الشرقيّة وفيه كنيستان : (كنيسة القديس أنطونيوس) و (كنيسة الملكة هيلانة) . وفيه أيضاً دار الأسقفية .

(دير مار جرجس) في حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل . (سحان القبط) في حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة . بناء المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩ م .

للأقباط كنيسة باسم السيدة في الحسناية ، وهيكل على جبل الزيتون ، وكنيسة باسم مار يوحنا خارج القيامة ، ومقدمة على جبل صهيون ، يدفن موتها فيها أيضاً السريان والأرمن والأحباش . وللأقباط في كنيسة القيامة أيضاً كنيسة صغيرة ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .

الأحياش :

تنصروا خلال القرن الرابع ، وهمطوا القدس بعد ذلك التاريخ . وكان لهم فيها كنائس وأديار^(١) . إلا أنهم أنساعوا مع الزمن أكثرها . فلم يبق بأيديهم منها سوى :

(دير الحبشي) ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب . وقيل إنه جزء من دير السلطان للأقباط ، ذلك الدير الذي لم ينقطع الخلاف حوله بين الأقباط والأحياش منذ سنين .

(كنيسة الحبشي) في ظاهر المدينة خارج سور ، وإلى الشمال الغربي من المسكوبية . تم بناؤها حوالي عام ١٨٩٠ م .

والأحياش عمارات كبيرة شيدتها الأب جرجس سبات باسم الملكة (تايتو)^(٢) وينفق ريعها على الرهبان . هذا بالإضافة إلى المبلغ الذي تبرع به إمبراطور الحبشة مثليك سنة ١٩٠٥ م . وقدره مئتا ألف تاليرا^(٣) .

وكان لهم فيها مرضى حتى التقى على الطوائف المسيحية الأخرى^(٤) . ولكنهم ضمغوا مع تقادم العهد وراحت الطوائف الأخرى تنازعهم في هذا الحق . وسامرت حالتهم في أوائل القرن التاسع عشر ، وتناقص عددهم ، فلم يبق في القدس منهم في يومنا هذا أكثر من سبعين نسمة . كلهم يتعمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية . يعيشون في ديرهم عيشة الفقر والمسكنة .

(١) Enrico Conelli كتاب وضعه باللاتينية Bibopi In Palestine وضع في روما سنة ١٩٤٣ .

(٢) المراسلات اللاتينية للأقويس والونسو ج ٢ ص ١٠٧ .

(٣) صلة أمانية تاري ٧٠ و ٣ هرقل بالوجه التقربي .

(٤) سجل المحكمة الشرعية بالقدس ذو المحرم ١٩ من ذي الحجة ١٤٤٢ - ١٩٦٣ م

السريان :

هيمنت أول قافلة منهم في القرن الأول للميلاد ، وكانت قبلة العدد ، إلا أن معظمهم جامعوا إلى القدس مع الصليبيين . ولما احتل القدس صلاح الدين ، ورحل هؤلاء ، رحلوا معهم فلم يبق منهم في القدس سوى عدد قليل .

والاليوم هم قلتان : أرثوذكس وكاثوليك . أما الأرثوذكس فقد كان عددهم في القدس في أواخر الاحتلال البريطاني ألفين ، وأما السريان الكاثوليك فلأنهم أربعين . جاء أكثرهم من شمال العراق والبلاد الواقعة شرق مارددين .

والأرثوذكسيين في فلسطين أبرشية مرکزها القدس . وعليها الآن نائب بطريركي يرجع في أمره إلى البطريرك الأنطاكي . ولقد جاء ذكرهم في العهدية العمرية التي منحها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى نصارى القدس (١٥ - ٦٣٦ م) . وفي الفتح الصليبي احتل الصليبيون أماكن السريان ثم ردوا إليهم . ولم في القدس اليوم ممتلكات تذكر منها :

(دير مار مارقس) في حارة الجوانحة بين حارة الأرمن واليهود . وفي الدير كنيسة بيزنطية باسم العلام ، ودار للأسقفية . ولقد خربت الكنيسة البيزنطية على عهد الحكم بأمر الله الفاطمي (١٠٠٩ م) . وهجر الدير في غضون الحكم التركي . ولكن السريان عادوا إليه وعمروه سنة ١٨٥٥ . ثم وسעה سنة ١٨٨٠ .

(دير العدس) شمال القوس المعروف : (إيكوهوم) على درب الآلام . عمروه بتاريخ ١٥٧١ م .

(دير مار توما) في الشارع المؤدي إلى سقى النبي داود . -

(معبد صغير) في كنيسة القيامة باسم (يوسف وفيقوديموس) .

معبد في الكنيسة المعروفة بـ (ستا مريم) على مقربة من الجسمانية .
معبد على جبل الزيتون .

والسريان الأرثوذكس في القدس جمعيتان : (١) جمعية مار مرقس . وطا
مدرسة في شارع الأنبياء ومطبعة ومكتبة . (٢) وجمعية الشبان السريان .
وأما السريان الكاثوليك فلهم دير في طريق سليمان بين باب العمود والوتردام
على بعد خمسين متراً من سور الشمال . بني هذا الدير حوالي سنة ١٩٠١ وفيه
كنيسة صغيرة .

و لهم دير يدعى (دير مار مبارك) أنشأ سنة ١٩٠٣ م . وهو واقع في
باطن المخواة إلى الشرق من سلوان ؛ فيه كنيسة ، ومدرسة يديرها الآباء البندكتيون .

الوارنة :

لا نعرف متى هبطوا القدس . وإن كنا نعرف أنهم يتبعون إلى مار مارون
الذى عاش في لبنان حوالي القرن الرابع للميلاد .

كانت لهم ، فيما مضى ، مكانة مرموقة في القدس . وكانوا في القرنين
السابع والثامن للبلاد يأتون بعد الفرنجية من حيث الأهمية . وأما اليوم ، فلأنهم قلة
بين الطوائف المسيحية التي تعيش في القدس . وليس لهم فيها سوى الدير الذي
يعيشون فيه . وهو واقع في الحي المعروف بمحى الوارنة ، بين سوبقة علون وحارة
الأمن . ولقد بني هذا الدير في ٦ أيار ١٨٩٥ .

الروس :

الروس مكان واسع الأرجاء يعرف بـ (المسكونية) . وهو خارج سور ،

لا بل إنهم (أى الروس) أول من شيد البناء في خارج سور . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٦ م . والمكان المذكور واقع على طريق يافا على بعد نصف ميل من باب الخليل إلى الغرب . يحيط به سور غير مرتفع . وفيه دار للأسقفية الروسية ، وأخرى للقنصلية ، ومستشفى ، وكنيستان . . . إحداهما كبيرة تسمى (كنيسة الثالوث الأقدس) ولها سبع قباب مصفحة بالرصاص . والأخرى صغيرة بنيت على اسم القديس إسكندر نيفسكي . ومنازل جديدة لترول الحجاج من الروس . الأول مخصص لترول الأشراف الروسية ، والثاني للكهنة المسلمين وفيه عدد من القبور . والثالث للنساء ويستوعب زهاء ألفي امرأة ، والرابع لطبقات الشعب الأخرى وهذا يتسع لألف وخمسة عشر شخص .

وهناك دار للقنصلية وأخرى للقنصل وعائلته . كما أن هناك منازل أخرى للكتبة والمحاسب وسائر المستخدمين . ولقد قامت معظم هذه المبانى حوالي سنة ١٨٦٠ للميلاد . وفي عام ١٨٨٧ شيد نزل آخر على نفقه الجمعية الفلسطينية الروسية التي يرأسها شقيق الإمبراطور إسكندر الثالث قيسار روسيا . واستعملت أبنية المسكونية وعماراتها المختلفة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩٤٧-١٩١٧ م) لإدارة بعض المصالح الحكومية (كالبوليس والعدلية) واستعمل بعضها كمستشفى حكومي . وللروس دير يعرف بـ (المسكونية) أيضاً . وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .

ولم كنيسة باسم (القديسة مريم العجائبة) على مقربة من المسوانية ومنها إلى الشرق على سفح جبل الزيتون من الجنوب . ولقد أنشئت هذه الكنيسة على نفقه العائلة المالكة تخليداً لذكرى والدة القيسar . وكان ذلك عام ١٨٨٩ م .

ولم أيضاً (كنيسة الصعود) على جبل الزيتون . وهذه الكنيسة جرمية مرتفعة ، هي أعلى بناء في القدس على الإطلاق .

الألمان :

هبط القدس عدد من الألمان بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر ، بقصد الزيارة . وقد استوطنها عدد قليل منهم في أواخر القرن الثامن عشر . ووطدت الإرسالية الألمانية أقدامها سنة ١٨٥٣ عند ما أسس القس (فريديريخ أدolf شتراوس) جمعية أسماءها (جروزاليم فبراين) .

وكان في القدس في أواخر الانتداب البريطاني (١٩٤٧) جالية ألمانية هي من حيث العنصر والوطنية واحدة ومن حيث الدين فشنان — واحدة بروتستانية والأخرى كاثوليكية . وللألمان حتى يعرف (الكولونية الألمانية) قريب من المخطة إلى الجنوب من المدينة .

أما الألمان البروتستانت فلهم ممتلكات — نذكر منها :

(مدرسة شنلر) ويسمونها دار الأيتام السورية . أسسها يوحنا لودفيغ شنلر عام ١٨٦٠ . واقعة في ظاهر المدينة إلى الشمال الغربي . لها فروع للتعليم والصناعة والتبيشير . وفي الفرع الصناعي تعلم التجارة والخدادة والخياطة والطباعة وصناعة المزف والقمح والأحدية والموسيقى . وفيها فرع لإيواء المكفوفين وتعليمهم .

(مدرسة طالبنا قوي) ويسمونها شرلوطة . في ظاهر المدينة بجهة الغرب على طريق الملك جورج . بنيت عام ١٨٦٨ م .

(مدرسة ترازييا) أسسها ترازييا سكس الألمانية حوالي عام ١٨٧١ م . وهي واقعة إلى الغرب من بركة ماما .

(المستشفى الألماني) واقع في ظاهر المدينة إلى الغرب وفي الحي المعروف بالشيخ عكاشة . بني عام ١٨٩٤ م .

(كنيسة المخلص) وتعرف بكنيسة الدباغة . ذلك لأنها واقعة في شارع

يطلق عليه هذا الاسم على مقربة من كنيسة القديمة إلى الشرق القبلي . بنيت على أرض كانت في الأصل تولف قسماً من المرستان العلاجي . وقد أهداها السلطان عبد العزيز إلى عهد بروسيا البرنس فردرريك ويلهلم (وسلم عرش الإمبراطورية فيها بعد) . ولقد جرى تدشينها بحضور الإمبراطور غلوبوم الثاني عام ١٨٩٨ م .

(نزل أوغوسنا فكتوريا) على جبل الزيتون ، ويسميه العرب (أم الطامة) بناد الألمان سنة ١٩٠٥ م . وأهدته للإمبراطور والإمبراطورة تذكاراً لعيد زواجهما الفضي . وقد اتخذه الإنجليز في أوائل الاحتلال مقراً للحكم (١٩١٨ م) . وكان يقيم فيه المندوب السامي .

وأما أملاك الألمان الكاثوليك فهي :

(كلية شميت) للبنات تأسست عام ١٨٨٦ م . من لدن (الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأرض المقدسة) . وتولى إدارتها يومئذ الأب ويلهلم شميت . ويقوم بمهمة التعليم فيها راهبات ألمانيات يدعين (راهبات القديس شارل بروبيوس) يساعدن عدد من الراهبات العربيات . والمدرسة واقعة إلى الشمال من مقبرة ماما .

(دير القديس شارل بروبيوس) تأسس عام ١٨٨٧ م . وهو شخص لتزول الحجاج الألمان الكاثوليكين . كان في يادئ الأمر واقعاً إلى الغرب من مقبرة ماما . ثم التقل إلى حي الألمان في البقة .

(نزل القديس بولس) على بعد مئة متر من باب العمود إلى الشمال . بني عام ١٩٠٨ م . واحتله حكومة فلسطين عام ١٩١٧ م . فاتخذته مقراً لحاكم القدس .

(كنيسة نيافة العترة) . ويسعها الدورميشيو واقعة على جبل صهيون ، وإلى الغرب من مقام النبي داود . بنيت فوق قطعة من الأرض أهداها السلطان

عبد الحميد^(١) إلى إمبراطور الألمان غليوم الثاني، وأعطاه هذا للألمان الكاثوليك
لبيوا عليها كنيسة كما بني الألمان البروتستانت كنيسهم (الدباغة) على الأرض
التي أهدتها السلطان عبد العزيز إلى والد الإمبراطور. ولقد تم بناؤها في سنة
١٩١٠ م. لها قبة مزينة بالفسيفساء وجرسية عالية.

الإرسالية الإنجليزية :

إن أول قنصل انتدب لخاتمة المصالح الإنجليزية في القدس هو المستر يونغ W.T. Young وكان ذلك سنة ١٨٣٨ . والسبب الذي حدا بإنجيلترا يومئذ للاهتمام بالقدس هو ميلها لتأييد تركيا حيال فكرة التوسيع التي كان يرى إليها مؤسس الدولة العلوية بمصر محمد علي باشا . وعملت القنصلية الإنجليزية عند بدء تأسيسها على حماية اليهود . وكان المستر جيمس فين الذي تولى القنصلية عام ١٨٤٥ م . وскث فيها سبعة عشر عاماً أشد عطفاً على اليهود من سلفه باقى حتى لقد أسماه بعضهم (حامي اليهود وقادتهم غير المترجم) . مع هذا لم يسلم من أذائم . إذ شكوكه بعد قليل وكانت السبب في نقله إلى جهة أخرى.

وقوالي القنصل بعد ذلك فجاء المستر نويل قبل موته Noel Temple Moore (١٨٦٢ م) والمستر جون ديكسون John Dickson ١٨٩٠ والمستر بلاك Black ١٩٠٦ والمستر ساتو Sutow ١٩٠٩ م . والمستر ماك غريغور McGregor ١٩١١ م . والمستر هاف G. Hough ١٩١٤ م . ولما نشب الحرب الكونية الأولى ١٩١٤ خادر هذا القدس كما غادرها جميع الرعايا الإنجليز . ولما انتهت تلك الحرب ١٩١٧ م ، عادوا إليها كفاحيين .

هذا من الناحية السياسية . وأما من الناحية الدينية فقد رأينا حركة التبشير

(١) (الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية) لمؤلف إبراهيم الأسود من ١٣٠ .

للدين المسيحي من ناحية البروتستانت تبدأ في القدس سنة ١٨٢٢ م . وكان يترעם هذه الحركة يهودي تنصر اسمه يوسف وولف . ولم تكن نعمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نعمة اليهود أنفسهم وحاشا لهم . وكل ذلك قل عن اللاتين ورهابهم . وانبعثت حركة التبشير على عهد المطران نيكولا يسون سنة ١٨٣٣ م . والمطران ميخائيل سولومون الكسندر الذي تولى رعاية الكنيسة الإنجليكانية (كنيسة مار يعقوب) بالقدس عام ١٨٤١ م . وهذا أيضاً يهودي تنصر وكان في إنجلترا حاخاماً . وأراد الإنكليز أن يستخدموه لبث الدعاية بين أبناء قومه اليهود في القدس . وعلى عهده بنيت كنيسة يسوع تجاه القلعة . والمطران صموئيل غوبات ١٨٤٦ م . ولقد قضى هذا في القدس اثنين وثلاثين عاماً أسس خلالها (مدرسة المطران) على جبل صهيون ، وتعرف أيضاً بمدرسة صهيون .

ومطران يوسف بار كلي ١٨٧٩ م . والمطران جورج فرنسيس بوهام بلايت ١٨٨٧ م . وفي ذمته تأسست مدرسة القديسة مريم للبنات من اليهود . وكل ذلك قل عن الكنيسة والمدرسة المعروقتين باسمه . ومستشفي الإرتسالية التبشيرية الإنجيلية في ظاهر المدينة . وقد بني أيضاً داراً للمطران ومكتبة ودوراً للممرضات باسم القديسة هيلانة .

ومطران جورج فرنسيس غراهام برون ١٩٣٢ م . وللإنجليز في القدس مستشفى يسمونه (مستشفى مار يوحنا) ويسميه المقدسون (مستشفى البقعة) لأنه واقع في الحي المعروف بهذا الاسم . فقد تأسس هذا المستشفى سنة ١٨٦١ م . وهو مخصص لمعالجة أمراض العيون . ولم المكان المعروف : Garden Toom على مقربة من باب العمود ، وإلى الشمال من السور ويعتقدون أن السيد المسيح صلب في هذا المكان ، لأن في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة الآن .

الحالية الأميركيّة :

أُنشئت في القدس سنة ١٨٥٧ م أول قنصلية أميركية . ولم يكن هدفها يومئذ تجاريًّا أو سياسيًّا بل كان دينيًّا . وقامت مشادة عنيفة بين القنصل الأميركي كي الأول الدكتور جون دارن غورهام وبين المتصرف التركي إذ رفض هذا تجية العلم عند ما رفع على دار القنصلية لأول مرة ورفض إطلاق مدفع القلعة [كراما] له . ولما فعل ذلك امثلاً للأمر الذي تلقاه من السلطان تارت ثائرة المسلمين ولم يكن في القدس آنذاك سوى عدد ضئيل من الأميركيين لا يتجاوز عدد أصحاب اليد . وقام بعد ذلك بثلاثة أعوام رجل الأميركي يدعى آدمز يبحث الناس على زيارة القدس وانتظار عودة المسيح فيها ، فتبعد زهاء ثلاثين عامًا أميركية . إلا أن أقدام هذه القافلة ما كادت تطأ يافا (١٨٦٠ م) حتى قامت قيامة المسلمين ضدّهم ، فعادوا من حيث أتوا . واحتفى الرجل الذي حثّهم على الهجوم بعد أن سليم كل ما يملكون من أمتدة ونقد .

وحامت سنة ١٨٨١ أول قافلة أميركية ^(١) . وكانت هذه مؤلفة من ثلاثة عشر شحنةً على رأسهم هوراثيو سبافورد Horatio G. Spafford وامرأنه وطفلاهما أنا وغريس . وكانت هذه هي النواة الأولى التي تكونت منها بعد قليل المؤسسة المعروفة بالكلولونية الأميركيّة بحقّ الشّيخ جراح .

ونشبت بين رجال هذه القافلة والقنهل الأميركي بالقدس في ذلك الحين صلاح مريل خلاف شديد بسبب قطعة من الأرض كانت للأميركان حل جبل صهيون باعها القنهل المذكور إلى الآباء الفرنسيين (١٨٩٨ م) وكان الأميركيان قبلًا يدفنون فيها موتاهم . فاشترىا على إثر ذلك أرضاً على سفح

^(١) "Our Jerusalem" by Bertha spafford Vester, 1930.

الجبل (جبل الزيتون) واتخلوها مقبرة لهم .

وفي القدس اليوم (١٩٤٥ م) زهاء مئة وخمسين أميركياً مسيحيّاً . خلا اليهود والعرب الذين تجسساً بالشخصية الأميركيّة بحكم مولدهم أو بدافع المصلحة الشخصية . وللأمريكيّين فيها خلا الكولونيّة الأميركيّة التقدّم ذكرها كنيسة واقعة في شارع الأنبياء ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقيّة ، ويعزّن للتجارة ، وورسم للتصوير ، ومتزلّ عمد لقبول الزائرين والمسافرين ، ودار للقنصلية ، وهي واقعة في الناحية القبليّة من مقبرة ماملا . اشتراها الأميركيّون من أصحابها أحد الحسيني العباسى وأخوه من سلوان . ومن آثارهم البناء الحاليّ الذي تقيم فيه جمعية الشبان المسيحيّة .

جمعية الشبان المسيحيين :

إنها جمعية تأسست في القدس عام ١٨٧٦ م . وكانت تابعة للجمعية المركزية بلندن . وقد انفصلت عنها في ١٨٩٢ م وكان عدد الأعضاء المتنمية إليها يومئذ أربعين . وفي سنة ١٩٠٩ م أزيدادوا إلى مئتين . وفي الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) أغلقت الجمعية أبوابها . وعندما احتل اللورد النبي القدس استأنفت أعمالها . وفي ١٩٢٤ م . تبرع المُسْتَر جيمس نيوبيكن جارف الأميركي بعشرة ملايين من المال أنشئت به دار الجمعية الكائنة في شارع سان جولييان في الناحية القبلية العربيّة من المدينة الجديدة . ولقد تم بناء هذه الدار في عام ١٩٤٦ على يد مهندس أمريكي اسمه أرنور لوميس هارمون .

إنها من أجمل عمارات المدينة وأضخمها ، وهي مؤلفة من عدة طوابق . فيها بهو واسع وغرف عديدة للقراءة والخلوص وقاعة واسعة للمحاضرات وغرف للألعاب الرياضية ومكتبة فيها خسون ألف مجلد ، وحمام للسباحة والتắmن وثمانون

غرفة وسرير كثيرة معدة لنزلول الزائرين . وللبنية برج مرتفع يسمونه (برج المسيح) يشرف المرء منه على جميع أحياء المدينة . وفي البرج خمسة وثلاثين جرساً أكبرها في وزن طن ونصف الطن . وقد نقشت عليه الكلمات التالية . . (الحمد لله في العلي وعلى الأرض السلام) .

والبناء من الطراز البيزنطي القديم ، ونقشت على واجهته الأمامية كلمة (لا إله إلا الله) باللغات الثلاث : العربية والعبرية والآرامية . وفي داخل العماره آيات من الإنجيل . وصور تمثل حياة السيد المسيح .

والمسيحيين في القدس مقابر عديدة ، معظمها على جبل صهيون . وإنما لما ذكرنا منها :

(مقبرة الروم الأرثوذكس) إلى الجنوب من مقبرة الأرمن والسريان ، يفصل بينهما زقاق ضيق يؤدي إلى مدرسة صهيون . تلك المدرسة المعروفة بمدرسة المطران غوبات .

و (مقبرة الملائكة) إلى الشرق من مقام النبي داود .

و (مقبرة البروتستانت) ملاصقة لمدرسة صهيون .

و (مقبرة الأرمن) إلى الغرب من كنيسة نياحة الملائكة المعروفة بالدور ميشيو ، يفصل بينهما زقاق ضيق مرصوف . ويشرّك السريان والأقباط والأحباش مع الأرمن في استعمال هذه المقبرة لدفن موتاهم ، وهي على جبل صهيون .

ويستعمل الإنجليز مقبرة البروتستانت من نصاري بيت المقدس لدفن موتاهم .

وأما الأميركيون فلهم مقبرتان : واحدة : حل سفح جبل الزيتون وإلى الغرب من الجامعه العبرية . اشتري أرضها رجال الكولونية الأميركيه سنة ١٨٩٨ م .

وأدخلوها مقبرة لدفن موتاهم . والثانية اشتراها المبشرون بعد ذلك بقليل . واستعملوها لدفن الأميركيين من لا يتمنون للكولونية المتقدم ذكرها . وهي واقعة عند مفترق الطريق المزدوج إلى البقاعين الفرقا والصحنا وإلى حاجز الخاصرة والقطمون .

وللروس مقبرتان : واحدة على جبل الزيتون ، إلى جانب كنيسة الصعود . وأخرى على جبل صهيون . وفي الثانية يدفن الرجال ، وفي الأولى تدفن الراهبات فقط .

وهناك (مقبرة الحرب) بين جبل الزيتون وتل أسكوبس . إنها مقبرة حربية ، أنشأها الإنجليز^(١) بعيد احتلالهم للمدينة (١٩١٧ م) وقد دفنت فيها رفات مواطئهم من ضباط وجود ، هم الذين لاقوا حتفهم في المعارك التي قامت في القدس وفيها حوطا من الضياع خلال الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧ م) فيها اليوم الفان وخمسة وخمسة عشر قبراً : منها ٢١٨٠ منهم إنجليز وليرلنديون وأسكتلنديون و١٤٣ أستراليون و٥١ أفريقيون و٤١ هندو و٣٤ نيوزيلنديون و٦٦ لم تعرف هوياتهم . وفيها ١٦ ألمانياً و٣ أتراك ماتوا لهم في الأسر . فدفنتهم الإنجليز فيها .

وفي هذه المقبرة نصب تذكاري ، شاده الإنجليز هناك ، تخليداً لذكرى الضباط والجنود الذين لاقوا حتفهم في المعركة نفسها ، ولكن السلطة لم توقق في العثور على قبورهم ، وعدهم ٣,٣٥٤ : منهم ٣,٠٤٩ إنجليز وليرلنديون وأسكتلنديون و٢٤٢ أستراليون و٦٠ نيوزيلنديون و٣ أفريقيون .

كنيسة القيامة :

بشا الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين (٣٣٥ م) وأحرقها الفرس (٦٦٤ م) وأحرقوا معها جميع الكنائس والأديار التي كانت يومئذ في القدس . فأعاد بناءها (٦٣٦ م) الراهب مرسلوس رئيس دير العبيدين في ذلك الحين . ولما فتح

(١) "The War Graves of the British Empire" by the Imperial War Graves Commission, London, 1928.

عمر بن الخطاب بيت المقدس (٦٣٦ م) أعطى النصارى أماناً لأنفسهم ولكتائبهم . ولم يغيبها بأذى ، حتى إنه أبى أن يصل في كنيسة القيامة وقد حان وقت الصلاة وهو فيها ، رغم أن البطريرك صفرونيوس أشار عليه بأن يصل حيث كان ، إلا أنه اعتذر وصل على مقربة منها . وخشى إن هو صل في الكنيسة أن يتعد المسلمين ذلك من بعده حجة فيطالبوا بحق لم يكن لهم فيها .

ولقد رم البناء الذي أقامه مودسطوس البطريرك توما الأول (٨١٧ م) وكان ذلك في عهد الخليفة العباسى المأمون . أحرقت الكنيسة وسقطت قبتها في عهد الإخشيد سلطان مصر (٩٦٥ م) . وجرت بعد ذلك محاولات كثيرة لبناء القبة من جديد إلا أن تلك المحاولات انتهت بالفشل . ولكنهم عادوا فعمرواها في زمن البطريرك يوسف الثاني (٩٨٠ م) . وأمر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت (١٠٠٩ م) ودُمِّرَت معها الأورقانيون وكنيسة قسطنطين . ولكنه عاد فأجاز للنصارى أن يعيدوا البناء من جديد . فشيدوا يومئذ كنيسة القبر المقدس فقط . شيدوها على غير مكانتها الأصلى ، وحال فقرهم دون إتمام الباقي . وسح الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (١٠٣٥ م) للنصارى ببناء الكنيسة من جديد . فشرعوا في بنايتها وتم ، البناء الجديد على عهد قسطنطين منومانوس (١٠٤٨ م) . ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) وجهوا اهتمامهم إلى تعميرها . ولقد حافظوا على ما كان فيها من مبان . غير أنهم جمعوا المعابد في كنيسة واحدة ، فوحدوا كنيسة أنططاسيا وكنيسة الشهداء والمعابد الأخرى . وبنوا شرق القبر كنيسة هي التي عرفت بعدئذ بكنيسة (نصف الدنيا) . وشادوا برجاً للأجراس . وعند ما احتل صلاح الدين القدس (١١٨٧ م) أشار عليه بعض أصحابه أن يهدمها ، كي لا يبقى لنصارى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة ، فرفض إشارتهم بل آثر الاقتداء بعمر بن الخطاب ، فأبقاها ، وأمر المسلمين بالآ يصيرونها بسوء . غير أنه اقتطع جانباً من دار القسوس المجاورة ، فاتخذها مسجداً

ورياطأ (خانقاه) للصلحاء الصوفيين . وفي العهد الصلاحي سلمت مفاتيح الكنيسة إلى عائلتين مسلمتين : نسيبة ، وجودة . ولا يزال أحفاد هاتين العائلتين يحفظون بهذا الحق إلى الآن . فترى المفاتيح بيد آل جودة ، وأما فتح الأبواب وإغلاقها فله من واجب آل نسيبة .

ولقد رمت كنيسة القيامة بعد ذلك التاريخ مراراً عديدة . كما رم ببناء القبر المقدس في وسطها . وكان أهم الحوادث ما جرى لها في ١٨٠٨ م ، يوم استعرت النار في معبد الأرمن وأمتد اللهب إلى أنحاء الكنيسة ، فسقطت القبة . ولم يسلم من الأذى سوى جانب من المخلجة وكنيسة القدسية هيلانة ومعبد اللاتين . .

وحصل الروم على إذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة فرموها (١٨١٠ م) وشادوا فوق القبر المقدس البناء الذي تراه في يومنا هذا . وتصدعت الكنيسة إثر الزلزال الذي حدث في القدس على عهد إبراهيم باشا (١٨٣٤ م) . وأخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر ، يوم اتفقت الدول الثلاثة (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم الدولتان (فرنسا وروسيا) ببنقات التعمير وأن تتولى تركيا الإشراف على التعمير . وهذا ما جرى . ولقد بلغت النفقات التي صرفت لترميمها يومئذ (١٨٦٩ م) أربعين ألف ليرة ذهباً .

ولقد أصابت كنيسة القيامة ما أصاب غيرها من العمارت القديمة إثر المجزرة الأرضية التي ألمت بالقدس عام ١٩٢٧ م . فتداركت الحكومة البريطانية المنتدبة الأمر بما تيسر من الوسائل التي تساعد قليلا في درء خطر عاجل ، ولا تشفع كثيرا في إزالة خطر آجل . وشدت البناء في موضع معينة بالخشب والأسمدة المسقعة بالحديد (١٩٣٠ - ١٩٣٣ م) .

وكذلك قل عن الزلزال الأخير الذي حدث سنة ١٩٣٧ م . وكان هنا أكثر خطرًا على الكنيسة من الزلزال الذي سبقه . حتى إن الحكومة نصحت الناس ألا يدخلوا الكنيسة قاتة إنها لا تتحمل أية مسؤولية إذا هم أصرروا على

الدخول ، ولكنهم يدخلونها كما في السابق . وظلت الحال على ذلك المثال إلى أن انتهى الاحتلال (١٩٤٨ م) .

٦

الاختلافات الطائفية حول الأماكن المقدسة :

قال المستر آشي (١) . « إن السلام الذي بشر به السيد المسيح قد يكون ظاهراً في أي مكان آخر ، إلا بين جدران كنيسة القيامة حيث تأصلت العداوة والبغضاء منذ عصور وأجيال بين الروم واللاتين والأرمن والأقباط وما إلى ذلك من الطوائف المسيحية المتناقضة . . . من منهم يصل قبل الآخر . . . ومن منهم يكتس هذه الناحية أو تلك من أنحاء الكنيسة . . . وأليهم على صواب في اعتقاده أكثر من الآخر . . . وإنه ليغيل للمرء الذي يتبع أنباء هذه الاختلافات أنه ليس بهذه الكنيسة التي يقدسها جميع الطوائف المسيحية في العالم أية صلة بتعاليم السيد المسيح » .

ولو لرذنا أن نأت على ذكر جميع الخلافات التي قامت بين مختلف الطوائف منذ بذلت الكنيسة لما وسعها هذا الموجز . ولكن لا نرى بدأ من ذكر الحوادث المأمة على سبيل الإيجاز فنقول . . .

بلغ الخلاف أشده بين الروم واللاتين خلال الاحتلال الصليبيين للقدس (١٠٩٩ م) إذ كانت الكلمة اللاتين في غضون ذلك الاحتلال هي العليا . فاستبدلوا بالروم . واحتسبوا منهم بعض أملاكهم . ولما احتل صلاح الدين القدس (١١٨٧ م) تخلص التقوذ اللاتيني وتৎفس الروم الصاعداء . فردت عليهم أملاكهم .

وفي عام ١٢١٣ قام بين الفريقين خصام شديد أدى إلى هرب بطريرك الروم إلى القدسية . و書كت فيها إلى أن مات^(١) .
واطلعت على فرمان صادر سنة ١٣٩٥ م أيد فيه السلطان برغوث اللاتين في مساكنهم .

وأختلف الالاتين والكرج حول كنيسة البسلجكة سنة ١٤٩٣ م فحكم قاضى المسلمين في القدس للكرج بالقسم الشهالى منها على أن يكون بالخوبى مشتركاً بينهما .

وفي أواسط القرن الخامس عشر ظهر في الميدان منافس آخر هم الأرمن .
فما كان ينقضى يوم دون أن يلتجأ فيه أحد الأطراف الأربع (الروم واللاتين والكرج والأرمن) إلى قاضى المسلمين بالقدس يشكوا أمره . وكثيراً ما كانت الشكاوى ترفع إلى دار الخلافة في القدسية .

ووضحت السلطة إثر ذلك نظاماً يفرض على الحجاج والزائرين المسيحيين أن يقفوا عند أبواب المدينة ، وأن يتظروا صدور الإذن لهم بالدخول المدينة وزيارة الكنيسة . وعند ما يؤذن لهم بالدخول يصطحبهم دليل أقامته الدولة هذه الغاية . وكان عليهم أن يدفعوا للدليل والحراس القائمين على الأبواب مبلغاً من المال . وكانوا يدخلون الكنيسة في الميعاد المضروب (بعد الظهر) ويخرجون منها في ساعة معينة من صباح اليوم التالي .

وأختلفت الطوائف المسيحية في أواسط القرن السادس عشر : من منها يحق لها أن تدخل القبر المقدس قبل الأخرى في سبت النور . فانعقد على الأمر مجلس في دار المحكمة الشرعية حضره^(٢) عدد من قضاة المسلمين ورؤسائهم

(١) تاريخ الكنيسة الروسية الأورشليمية (٨١) .

(٢) المسجل المؤرخ ١٩ ذى الحجة ٩٤٩ هـ - ١٤١٢ م من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

ومن مثل الطوائف المختلفة ، وشهاد الشهود ، فتقرر أن يكون الدخول إلى القبر المقدس على الترتيب التالي :

(١) رئيس الأحباش (٢) رئيس الروم (٣) رئيس الأرمن (٤) رئيس الكرج (٥) رئيس السريان (٦) رئيس الأقباط . وتقرر أيضاً أن يحصل هؤلاء الرؤساء الشموع المضاءة عن الخروجهم من الكنيسة على الترتيب نفسه . واختلفت الطوائف في أوائل القرن السابع عشر (١٦٠٧ م) حول الجملة فأصدر السلطان أحد الأول فرماناً جاء فيه : (إن محل الجملة يخص الروم) . وفي سنة ١٦٣٢ حصل اللاتين على أمر من السلطان يقضى على الروم والأرمن بخلاء القبة الثلاثة الكائنة في كنيسة القيامة وتسليمها مع المفاتيح للأباء الفرنسيسين .

وفي سنة ١٦٣٤ م حصل الروم على فرمان من السلطان مراد الرابع ينحهم فيه حق التقدم على الأرمن في احتفالات كنيسة القيامة . ويعن اللاتين من التعرض لهم في الكنيسة المذكورة . ولقد وردت العبارات التالية في الفرمان الذي وجهه السلطان إلى نائب في القدس ، قال .. « اعمل بموجب أمرى الشريف هذا وإنما قطعت رأسك هكذا ، فاعلم » .

وفي سنة ١٦٣٦ صدر بمساعي البابا وفرنسا فرمان ينقض ما جاء في فرمان ١٦٣٤ م ويثبت حقوق اللاتين .

وفي المدة الواقعة بين ١٦٤٠ و ١٦٥٨ قامت منازعات خطيرة بين الروم والأرمن من أجل بعض الأماكن المقدسة ومنها الدير المعروف (دير مار يعقوب) . فاستولى عليه الأرمن في بداية الأمر . ثم استنصر الروم أمراً من السلطان بانتزاعه منهم . ثم عاد الأرمن فتعلموا ، وحصلوا على أمر باسترئاعه . وما كان التحالف حول هذا الدير ينسى في كل مرة إلا بسفك الدماء وتدخل السلطة الحاكمة .

وفي سنة ١٦٦٠ أيضاً حصل تنازع بين الروم واللاتين من أجل الصلة

في أحد الشعدين ودام النضال بينهما سبع سنين .

وفي سنة ١٦٧٣ اتفق الأرمن واللاتين ضد الروم . فقام على أثر ذلك سبب قتل من جراحته راهب روسي وجراح اثنان . . . واستحصل الروم على فرمان من السلطان (١٦٧٥) يقضى بشرع كل ما وضعه اللاتين فوق القبر المقدس ، وسلم القبر للروم .

وفي سنة ١٦٨٩ عاد اللاتين فتغلبوا ، وحصلوا على فرمان يقضي بمنعهم القباب التي في كنيسة القيامة مع المغسل ونصف البلاط . كما منحوا حق الصلاة على القبر المقدس . تم ذلك كله أثر تهديد الحكومة الفرنسية لتركيا . وكانت هذه قد غلبت على أمرها في الحرب التي قامت بينها وبين روسيا وبولونيا والنسا .

وفي سنة ١٧١٠ حصل اللاتين على أمر بعمير الأماكن المقدسة . وأعني رهبان الروم من المثول أمام الحاكم لا في القدس ولا في الشام ، وإنما في إسطنبول . واتفق الفريقان (الروم واللاتين) على أن تبقى كنيسة القيامة على حالها ، فلا يجري تعديل فيها ولا تجديده .

واصطبدم الروم بالأرمن عام ١٧٣١ إذ حصل الأرمن على حقوق قال الروم لهم ما كانوا ليحصلوا عليها لو لا أنهم حرفوا الفرمان الذي صدر في زمن السلطان سليم الأول فاستبدلوا اسم (عطا الله) بـ (سركيس) وكلمة (الروم) بـ (الأرمن) ولكن السلطان محمود عاد فألغى ذلك الفرمان . وأعاد للروم ما أخذوه منهم . وزاددت النار تأججاً عند ما أخذت فرنسا بعد معااهدة ١٧٤٠ تهديد اللاتين وروسيا تهديد الروم . ووصل الخلاف إلى درجة أن اللاتين أدخلوا إلى الكنيسة في أحد الشعدين (١٧٥٦ م) رجالاً مسلحين . وفي أثناء الصلاة هاجروا الروم . وراح الفريقان يتضاربان ويتناكبان ، فحصل الروم على بعض الحقوق : واللاتين على البعض الآخر ، وأما قبر يسوع فقد اعتبر مزاراً للفريقين .

وفي ١٨٠٣م أصدر السلطان سليم الثالث أمرًا خص فيه الروم بعطفه . ويظهر أن هذا الأمر قد أغاظ الأرمن فراحوا يبحثون عن طريقة للانتقام . فأحرقوا كنيسة القيامة (١٨٠٨م) وأغلقوا أبواب الكنيسة في وجه رهبان الروم واللاتين الذين هرعوا إلى المكان ليطافثوا النار . ولم تنتهي^{*} النار إلا بعد أن كانت قد أتت على الكنيسة ، ولم يسلم منها سوى جزء ضئيل .

واستحصل الروم على أمر من السلطان بعمير الكنيسة . وقامت إثر ذلك بين الروم والأرمن مشاغبات لم يكن في القدس عدد كاف من الجندي لإخادها . لولا أن جاءت قوة من الجندي أرسلها أمير الشام . فشتت هذه شمل التائرين وبحكت على ٣٤ شخصاً منهم بالموت . فأعدموا شنقاً (١٨١٠م) .

ويظهر أن سنة ١٨١١م كانت أشد السنين وأفاساها على نصارى بيت المقدس إذ توترت العلاقات بين الروم واللاتين وبين الروم والأرمن بسبب اختلافاتهم المتكررة . وكانت هذه تحوم حول شؤون تتعلق بالكنيسة . ووصلوا إلى حد الهجوم وسفك الدماء . وانتهت تلك الاختلافات بمنع الروم حق تعمير ما احترق من الكنيسة . وتسلم الأرمن جميع الأماكن التي كانت لهم من قبل ، على أن يدفعوا للروم المبالغ التي أنفقها هؤلاء من أجل تعميرها . وفيما عدا ذلك فقد تقرر أن يبقى كل شيء في الكنيسة وفي الأماكن المقدسة الأخرى على ما كان عليه من قبل .

وفي سنة ١٨٢٩م حصل الأرمن على قرمان من السلطان يخولهم فيه نفس الحقوق التي يملكونها الروم واللاتين في كنيسة القيامة .

وفي سنة ١٨٣٣م اختصم الروم والأرمن من أجل كنيسة القيامة ووصلوا إلى حد التضارب في داخل الكنيسة بالعصى والحجارة . ودام الخصم بين وعشرين يوماً ، ولم ينته إلا عند ما صدر الأمر بأن يرجع الأرمن الحجر الذي رفعوه إلى مكانه على مقربة من القبر المقدس .

وقامت مشادة عنيفة بين الروم واللاتين على عهد إبراهيم باشا يوم زعم الروم أن اللاتين مروا في طريقهم إلى الجبلة من أمام القبر بينما كانوا هم يصلون . وكانت العادة في ظرف كهذا أن يمروا من وراء القبر لا من أمامه . فاستعمل الفريقان السلاح وتراسقا بالأخشاب والحجارة .

وفي ١٨٥٢ م نشأ بين الروم واللاتين خلاف من أجل نجم نهري وضعه اللاتين في المعلم الذي ولد فيه السيد المسيح بمغارة بيت سلم ، زاعمين أنه كان في ذلك المكان نجم آخر سرقه الروم ، وتدخلت روسيا في الأمر . واعتبرت تركيا تدخلها هذا ماساً باستقلالها . وكانت هناك عوامل أخرى أدت إلى نشوب الحرب بين الفريقين وعرفت هذه بعده بحرب القرم . وانتهت بانتصار الأتراك (١٨٥٦ م) وربح الإنجليز والفرنسيون إثر ذلك بعض الامتيازات . ذلك لأنهم وقفوا إلى جانب الأتراك ، يؤيدونهم ضد الروس .

وفي ١٨٦٢ م اختلفت الطوائف . . . من منها تعمير قبة القيامة . فتم الاتفاق بين تركيا وروسيا وفرنسا على أن ت承担 تلك القبة على نفقة روسيا وفرنسا باسم الطوائف المختلفة وأن تتمويل تركيا نفسها التعمير . فعمرت (١٨٦٩ م) .

وفي سنة ١٨٩٣ قتل في كنيسة القيامة راهب لاتيني وجرح ثلاثة من رفاته من رصاص أطلقه القواس الذي كان يرافق الحجاج الروس . ولما مثل زعم أن ذلك جرى عفواً .

وفي سنة ١٩٠١ م قامت مشادة عنيفة بين الروم واللاتين انتهت إلى معركة دامية جرح فيها سبعة عشر شخصاً من الرهبان الفرنسيين جروحاً بالغة . وجرح مثل هذا العدد من خورة الروم . وسبب المعركة أن الروم اعتذروا على اللاتين لأنهم (كنسوا) بعض الدرجات في ساحة الكنيسة . وقال اللاتين إن ذلك من حقوقهم ، فتدخل الجنود الأتراك في الحال . وأعادوا النظام إلى نصابه بعد عناء شديد .

وإني للذاكر الآن أني عبد ما سمعت بالحادث وكنت يومئذ شاباً يافعاً
هرعت إلى مكانته وكانت الكنيسة قرية من منزلنا ، ورأيت الجرحى من
الخورة والرهبان ينقلون إلى المستشفيات في حالة من الإعياء . وقد أصيب يوسف
أغا المزدار قائد الدرك يومئذ بحجر قلعت على أثره عينه .

المقدسات الإسلامية

(القدس) مدينة من أقدس المدن الإسلامية ، لا ، بل إنها ، بعد مكة والمدينة ، أقدسها طرأ . يدل على ذلك اسمها ، والأماكن المقدسة التي فيها ، والتي يقدسها الساجدون على اختلاف مذاهبهم وطوابعهم ويقدرون إليها من جميع أنحاء العالم ،

ولا بدّع فإن فيها المسجد الأقصى أول القبلتين ، وثالث المحرمين الشريفين . بلى وربك . فقد اتّخذ المسلمين القدس في أوائل عهد الرسول ، قبلة وكانوا في صلواتهم يولون وجوههم نحوها . ومضوا في ذلك نحو سبعة عشر شهراً ، إلى أن انحنوا (الكعبة) قبلة .

ولقد جاء في الحديث الشريف عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « لا تشد الرجال إلا لثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » . والمقصود من المسجد الحرام مسجد مكة . ويقصد بالثانية مسجد الرسول في المدينة .

وروى عن النبي أيضاً أنه قال : « إن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من الصلاة في غيره بخمسين مرة » وهذا أمر المسلمين بأن يحترموا للحج من بيت المقدس وفي ذلك قال : « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ووجبت له الجنة » .

هذا ما حدا بال المسلمين للعبادة بالقدس ، وإن شئت فقل بيت المقدس والبيت المقدس ، طول العصور العابرة . ومن هنا جاء العدد العديد من الحجاج المسلمين الذين كانوا وما برحوا يقدرون إليها في كل سنة ، ومن كل صوب .

ومن هنا أيضاً : جاء هذا العدد الكبير من المساجد والجوامع التي نراها شارع من شوارعها ، وفي كل حي من أحيائها . وهلّا ذاكر فيها وبالجوامع التي رأيتها في القدس (١٩٤٥) ومواقعها وما هي عليه اليوم البناء والعمارة . وكذلك قل عن الترب والمقابر والزوايا التي ينظر إلى بعين الإجلال والتكريم . ولمسجد الإسلامي الأعلى الذي يسيطر على المؤسسات وعلى جميع شؤون الوقف والمحاكم الشرعية .

المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى :

هو المسؤول عن إدارة الشؤون والمعاهد الإسلامية التي جاء ذكر الفصل ، ليس في القدس وحدها ، وإنما في فلسطين كلها : كانت المحاكم الشرعية الإسلامية ومصلحة الوقف وما يتبعها . وجوامع ومدارس ومؤسسات إسلامية تدار ، في أوائل الاحتلال البريء للبن رجال القضاء . وكان هؤلاء يعتبرون جزءاً من حكومة فلسطين . ودواتر القضاء مستشار هو المستر بنتريش . ولم يكن هذا يهودياً فقد كان من رجال الحركة الصهيونية الأقبح . وذلك قد أغضب وجعلهم يلحون في تكوين أداة إسلامية بمحنة تتولى الإشراف على المحاكم والوقف الإسلامية فحسب ، بل على جميع الشؤون الإسلامية . هذه الفكرة تسود الأوساط الإسلامية حتى راسحوا يتناولون . فعقدوا في الثاني ١٩٢٠ م مؤتمراً إسلامياً ضم جميع المفتين والقضاة والعلماء من آباء وبرروا تأسيس (مجلس شرعى إسلامى أعلى) يتولى جميع الشؤون بفلسطين . ووافقت حكومة فلسطين على هذه الفكرة . فصدر في ١٥ أيار ١٩٢١ م نظام نشر في الجريدة الفلسطينية بتاريخ ١٥ أيار ١٩٢١

سلطته التي حددت في المادة الثانية بإدارة الأوقاف الإسلامية وترشيع قضاة الشرع الإسلامي وأعضاء عكمة الاستئناف ومفتش المحاكم وتعيين المفتين وأموري الأوقاف وموظفي الشرع وعزلهم.

ولقد أُلْفَ المجلس الأول في ٩ كانون الثاني ١٩٢٢ من المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني رئيساً ومن الحاج سعيد الشوا (غزة) وعبد الله الدجاني (يافا) والشيخ محمد مراد (حيفا) وعبد الطيف صلاح (نابلس) أعضاء. وفي البرهة الواقعة بين ١٩٢٢ - ١٩٣٥ استقال بعض الأعضاء فحل محلهم آخرون . ومن الذين تولوا العضوية ، خلال تلك المدة : أمين التميمي (نابلس) والشيخ محبي الدين عبد الشافى (غزة) وعبد الرحمن التاجى (الرملة) وأمين عبد المادى (نابلس) والشيخ كمال إسماعيل (عنبا) والشيخ يوسف طهيبوب (تلليل) .

وتشتت المجلس الإسلامي إبان الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٨) . إذ غادر رئيسه البلاد . وبقي بعيداً عنها إلى يومنا هذا . كما نقى التميمي إلى سبيل حيث قضى نحبه . وأعلنت الحكومة حالة الطوارئ (١٩٣٧) ؛ فعينت أمين عبد المادى والشيخ كمال إسماعيل والشيخ محبي الدين عبد الشافى والشيخ يوسف طهيبوب لإدارة الشؤون الإسلامية . ثم استبدلت (١٩٤٧) الاثنين الأخيرين بعل حسنا (القدس) وحسن أبي الوafa الدجاني (يافا) . وانتدبت (لجنة ثلاثة) للإشراف على أعمال المجلس من الناحية المالية ؛ رئيسها إنجلزي (كركريайд) وعضوها من المسلمين . ثم جعلتها كلها من المسلمين كما هي الحال في يومنا هذا (١٩٤٧) وهم : روحي عبد المادى (نابلس) رئيساً والشيخ توفيق الطيبى (طيبة طول كرم) ووصفي عنباوى (نابلس) أعضاء .

وهاجم اليهود المجلس الإسلامي مهاجمة شديدة طوال عهد الانتماب ، ولا سيما عند ما كان فيه المفتي رئيسه الأول . إذ اعتبروه مصدر القوة والإلهام للحركة العربية الوطنية في البلاد .

جوامعها ومساجدها :

١ - في مدينة القدس اليوم ستة وثلاثون جامعاً ، خلا مسجدى الأقصى والصخرة تسعة وعشرون منها في المدينة القديمة ، داخل السور . وبسبعين في المدينة الجديدة خارج السور . وستة من جوامع المدينة القديمة واقعة في ساحة الحرم . وثلاثة وعشرون في خارجه . وفي القدس كلها خمس عشرة مئذنة ، أربعة منها في داخل الحرم وإحدى عشرة خارجه .

وإليك أسماءها والأحياء التي تقع فيها كما رأيناها يعني سنة ١٩٤٥ :

(أ) الجواجم التي في ساحة الحرم :

- ١ - جامع قبة موسى تجاه باب السلسلة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس
- ٢ - جامع باب حطة تجاه باب حطة من الجنوب تقام فيه الصلوات الخمس
- ٣ - جامع كرمي سليمان ملاصق للسور الشرقي تقام فيه الصلوات الخمس
- ٤ - جامع المغاربة عند باب المغاربة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس
- ٥ - جامع باب الغوانمة عند باب الغوانمة من الشرق فيه الآن دار الكتب والمتحف الإسلامي .
- ٦ - جامع دار الإمام عند باب المجاهدين مهجور

(ب) الجواجم التي في خارج الحرم وداخل السور :

- ١ - جامع باب الرزق في سوق خان الزيت وتقام فيه الصلوات الخمس

- ٢ - جامع حارة اليهود الكبير في الطرف القبلي لحارة اليهود له مئذنة . ولكنه اليوم مهجور . وقد اتخاذته الحكومة مخفرًا للبوليس .
- ٣ - جامع حارة اليهود الصغير في الطرف الشمالي لحارة اليهود يصل فيه أهل السوق صلاة الظهر والعصر فقط .
- ٤ - جامع سويقة علوى
- ٥ - جامع القلعة في سويقة علوى تقام فيه الصلوات الخمس داخل القلعة بباب الخليل له مئذنة ولكن قل " أذ نقام فيه الصلاة .
- ٦ - جامع الحانقة إلى الشمال الغربي من كنيسة القيامة . تقام فيه الصلوات الخمس وله مئذنة .
- ٧ - جامع قبر ملاحم السور الشمالي عند باب الجديد . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ٨ - الجامع العمري في حارة النصارى قبل كنيسة القيامة . له مئذنة وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٩ - الجامع البغورى تجاه القلعة من الشرق بباب الخليل . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ١٠ - جامع بنى حسن تجاه القلعة من الشرق بباب الخليل . مهجور
- ١١ - جامع حارة الأرمن على مقربة من دير الأرمون . مهجور
- ١٢ - جامع طريق النبي داود على طريق النبي داود . مهجور
- ١٣ - جامع حارة الجوالدية أمام دير الإفرنج من الغرب . مهجور
- ١٤ - جامع الشيخ لولو عند باب العمود على مقربة من سور . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ١٥ - الجامع الصغير عند مفرق طريق الواد وباب العمود . تقام فيه الصلوات الخمس .

- ١٦ - جامع البراق ملاصق لخانط البراق في حارة المغاربة . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ١٧ - جامع خان السلطان في خان السلطان بسوق باب السلسلة . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ١٨ - جامع القرى في حارة القرى مهجور
- ١٩ - جامع حارة النصارى على طريق باب خان الريت . تقام فيه الصلوات الخمس .
- ٢٠ - جامع البازار في سوق البازار تقام فيه الصلوات الخمس
- ٢١ - جامع الزاوية النقشبندية في داخل الزاوية النقشبندية على درب الآلام .
تقام فيه الصلوات الخمس .
- ٢٢ - جامع الملوية في داخل زاوية الملوية بحارة السعدية . يصل فيه أهل زاوية فقط . له مئذنة .
- ٢٣ - جامع زاوية الهند في داخل زاوية الهند تجاه باب الساهرة . تقام فيه الصلوات الخمس

(ح) الجامعات في المدينة الجديدة خارج سور .

- ١ - جامع الشيخ جراح في حي الشيخ جراح على طريق نابلس . له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٢ - الجامع المسعودي في حي سعد وسعيد على طريق نابلس . له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٣ - جامع وادي البلوز في حي وادي البلوز له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .

- ٤ - جامع حجازى في حى باب الساهرة . له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٥ - جامع النبي داود في حى النبي داود . له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٦ - جامع عكاشة في حى زخرون موسى اليهودي . له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس .
- ٧ - جامع المطحنة بين النبي داود وحارة الشرف مهجور .

زواياها :

في القدس اليوم عدد من الزوايا أحدثت لاجتئاع الفراويس من مختلف الطرق ونزول الغرباء من المسلمين الذين يتسمون إلى تلك الطرق ويرسلون القدس بقصد الزيارة . نذكر منها :

(الزاوية النقشبندية) وبسمونها الأزبكية . واقعة في حارة الواد على درب الآلام ، وعلى مقربة من باب الغوانمة إلى الغرب . بناها مؤسس الطريقة النقشبندية الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري (١١٦م) لإيواء الغرباء ، وإطعام الفقراء من مسلمي بخارا وجاوا وتركمان .

(زاوية الهند) واقعة تجاه باب الساهرة من أبواب المدينة ، حل بعد بعض خطوات من سورها الشهابي . أسمها بابا فريد شكر كنج من مسلمي الهند . وكان ذلك في أواسط القرن السادس للميلاد . ذكرها مجير الدين فقال إنها قديمة العهد . كانت بادىً ذي بدء مخصصة لفقراء الطريقة الرفاعية . ثم راح الهند ينزلون بها . ولزاوية أملاك موقعة بباب حطة . ولقد تبرع لهذه الزاوية بعض أغنياء

الهند ، ومنهم نظام حيدر آباد ، وصادق محمد خان ، بأموالهم . فأضافوا إليها (١٩٤٣ - ١٩٢٤) العمارات الجديدة التي يراها الداخل إلى بيته (دخل منزل) وإلى يساره (ترافنور منزل) وأمامه (عثمان منزل) .

وفي هذه الزاوية مسجد بني في أواخر القرن التاسع عشر .

(الزاوية الأدهمية) بين باب العمود وباب الساهرة ، خارج سور ، وعلى بعد مترين منه إلى الشمال . ويعتقد البحاثة الأخرى كليمان غانو أنها مقبرة أرميا النبي . ويقيم فيها الآن جماعة من آل اليديري .

(الزاوية الرفاعية) ويسمونها زاوية أبي السعود . واقعة في داخل الحرم ، تحت مئذنة باب الغوانمة .

(زاوية الشيخ جراح) في حي الشيخ جراح على طريق نابلس . واقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحى من أمراء الملك صلاح الدين (١٢٠١ م) . وفي ظاهرها من الناحية القبلية قبور جماعة من آل الجراح وآخرين من المجاهدين .

(الزاوية المؤلوية) بباب العمود في داخل سور . وهي وقف بدر الدين المؤلو غازى .

(زاوية البسطامية) بحارة المشارقة . واقفها الشيخ عبد الله البسطامي .

(الزاوية القادرية) ويسمونها زاوية الأفغان . لأن أكثر المتنزئين إليها من بلاد الأفغان ، إنما في حارة الواد ، وعلى بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية إلى الجنوب الغربي : هناك على بابها بلاطة نقشت عليها كلمات تدل على أنها زاوية مولانا وسيدنا قطب العارفين سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر « الجيلاني » وكان ذلك سنة ١٦٣٣ م .

(الزاوية المؤلوية) واقعة في حارة السعدية . يقيم فيها أشخاص يتبعون إلى

الطريقة المولوية . تلك الطريقة التي ، أنشأها مولانا جلال الدين الروي . أصله من فارس . وقد استقر به المقام ، بعد أن حج إلى بيت الله الحرام ، في قونية من أعمال سلطنة بني عثمان ، وكان ذلك في أوائل القرن الثالث عشر .

دخلت هذه الطريقة بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني (١٥١٩ م) وبعد ذلك يقليل أنس أتباعها في القدس مكاناً اسموه (الخانقاه المولوية) . ويظهر أن الطابق الأرضي لهذه الخانقاه كان في غاير الأزمان ديراً . وكان فيه كتبة للاتين .

وانتخذت هذه ، بعدها ، مسجداً . ولقد تم ذلك في العهد الأيوبي . ومن قائل إنه تم في أوائل حكم المماليك . وأما الطابق العلوي والمتمنى التي يحيط به فإنهما من عمل الأتراك العثمانيين (١٥٨٦ م) .

(الزاوية الجيدية) واقعة في حي النبي دارد ، وإلى الشمال من ضريحه . شيدت على عهد السلطان عبد الجيد (١٨٤٩ م) .

وهناك في الحقيقة أربع زوايا : لا زاوية واحدة ؛ هي : الزاوية الجيدية . وزاوية عيال طه ، وزاوية عيال شاكر . وزاوية عيال خطيب . كلها على مقربة من مقام الصريح الذي دفن فيه النبي داود . ويقع المقام على ربوة عالية من الربى التي تولف مدينة القدس . ويقوم على سداته جماعة من آل المجانى ، ويعرفون بالمواهدة نسبة إلى النبي داود . وهذا المكان بيد المسلمين من أوائل الفتح الإسلامي . وكثيراً ما اختص المسلمين مع الطوائف الأخرى من أجل الاحتفاظ به . إذ يدعى المسيحيون أن السيد المسيح تناول عشاءه السرى الأخير في هذه البقعة من المدينة ، وهي التي يسمونها (عليه صهيون) .

تراثها ومقابرها :

في القدس مقابر إسلامية كثيرة ، وترى لا تعدد ولا تحصى . منها ما كان مستعملاً فيها مضي ، وقد اندر مع الزمن ، ومنها ما لا يزال مستعملاً حتى يومنا هذا .

فن المقابر المطروقة في يومنا هذا (١٩٤٧ م) :

(مقبرة باب الساهرة) لل المسلمين . واقعة عند سور المدينة من الشمال ، على بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بالساهرة ، إنها قديمة العهد ، ذكرها التأبلى فى رحلته والختنلى فى تاريخه . ويقال إن أول من استعملها كان صلاح الدين . إذ دفن فيها المجاهدين الذين لاقوا حتفهم عند فتح المدينة وتخلصها من الصليبيين .

(المقبرة اليوسفية) لل المسلمين أيضاً . وهى واقعة عند باب الأسباط وإلى الشمال من مقبرة باب الرحة ، عمرها الأمير قانصوه البحاروى كافل المملكة الشامية فى عهد المماليك (١٤٦٧ م) .

(مقبرة باب الرحة) عند سور المحرم من الشرق . كانت فيها ماضي أوسع منها في يومنا هذا . وكانت ممتدة من السور حتى الموضع الذى تقوم عليه الآن كنيسة ستنا مريم . فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في الفتحين : الفتح العجمى والفتح الصالحي . ولقد ذكرها العالم الهولندي الشهير (ماكس فان برشام) فقال إنها كانت مدفناً للإخشيديين .

(مقبرة النبي داود) واقعة على جبل صهيون ، في الجهة المعروفة بالنبي داود . وفي الحقيقة أنه يوجد هناك ثلاث مقابر : كلها لآل النبي داود . إحداها وهي الكبرى واقعة شرق مقام النبي داود . وهذه مخصصة لعائلة الشيخ سليمان

الدجاني وحفدته . والثانية متوسطة وهي لعائلة الشيخ أبىس الدجاني وحفدته . والثالثة وهى الصغرى مخصصة لدفن الأطفال ، ويسمونها (تربة المنسى) نسبة إلى الشيخ محمد المنسى الجد الأول لعائلة الدجانية ، ويقال إنه صهابي .

هذه هي مقابر المسلمين المطروقة في يومنا هذا . وهناك المقبرة التي يسمونها (ماما) فقد كانت هذه من أكبر المقابر الإسلامية في بيت المقدس ، لا ، بل أكبرها طرراً . ولما اتسع العمran وأصبحت في وسط البنيان أصدر المجلس الإسلامي الأعلى أمراً (١٩٢٧ م) حظر به دفن الأموات فيها .

ويسمونها أيضاً (مأمون الله) . ذكرها معظم المؤرخين فقالوا إنها مدفن الخلاصة الأبرار ، وأن من دفن فيها كانوا دفن في السماء . وقال بعضهم إنها كانت فيها مضى من الأيام للنصارى (١) . وقال قائل إنها كانت لليهود . وبهذا قيل فيها وفي أصلها فإنه مما لا شك فيه أن تاريخها ساير تاريخ المدينة من أوله إلى آخره .

في هذا المكان مسح سليمان ملكاً (١٠١٥ ق م) . وفيه عسكر ستحاريب ملك الآشوريين (٧١٠ ق م) . وفيه ألى الفرس بجثث القتلى من المسيحيين عند ما احتلوا المدينة (٦١٤ م) . وفيه دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين في الفتحين : العرى (٦٣٦ م) والصلادح (١١٨٧ م) . وهي الآن وقف من أوقاف المسلمين . يحملونها إجلالاً منقطع النظير .

وفي القدس ترب قديمة أصبحت ، مع تقادم العهد ، مهجورة ، نذكر منها : - (تربة علاء الدين البصري) عنده باب الناظر من أبواب الحرم من الناحية الغربية إلى الشمال . مدفون فيها الأمير علاء الدين آيد وغدري (١٢٩٣ م) . من أمراء الماليك . .

- (التربة الأوحدة) على مقربة من باب سجدة شهال الحرم . أنشأها الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود (١٣٩٨ م) .
- (التربة البخارية) عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد . ذكرها مجبر الدين فقال إنها وقف ركن الدين بيبرس الصالحي المعروف بباب البخاري وهو من أمراء الملك المنصور قلاون . وهو مدفون بها (١٣٠٧ م) .
- (التربة السعدية) بباب السلسلة تجاه المدرسة الباركية . وقفها الأمير سعد الدين مسعود بن الأمير أسفهم سلار بدر الدين منتصر بن عبد الله البخاري الكردي (١٣١٣ م) من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون .
- (التربة الكيلانية) غرب المدرسة الطازية على طريق باب السلسلة . عمرها الحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير شمس الدين قراد شاه المشهور بابن الصاحب كيلان (١٣٥٢ م) ، وبها ضريحه .
- (التربة الطشمرية) على مقربة من الكيلانية . وقفها الأمير طشمر العلائي (١٣٨٢ م) وهو مدفون بها .
- (نربة توركان خاتون) إلى الشهال من طريق باب السلسلة عند التقائه بهذه الطريق بطريق الواد ، مدفون بها توركان خاتون بنت حلقتاي بن سلجرتاي الأذريكي (١٣٥٢ م) .
- (نربة حسام الدين بركة خان) مقابل المدرسة الطازية بخط داود . عمرت سنة ٧٩٢ هـ . وفيها الآن المكتبة الخالدية .
- (نربة القرى) في حارة الواد ، بين باب خان الزيت والحرم القدس . مدفون بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرى (١٣٨٦ م) . وكان رجلاً صالحًا من أعيان بيت المقدس .
- (نربة المثبت) على بعد بضعة أمتار من نربة القرى ، ومنها إلى الشهال . مدفون بها الشيخ أحد المثبت ، نقيب الشيخ القرى

(تربة السُّتْ) واقعة في عقبة التكية إلى الشمال من دار الأيتام الإسلامية . ويسمونها أيضاً تربة خاصكى سلطان . مدفون بها خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني (١٥٥٢ م) .

(تربة عكاشة) في حي معروف بظاهر القدس بجهة الشمال مما يلي الغرب . لا نعرف عنها سوى أنه مدفون بها الصحابي المعروف عكاشة .

(تربة الشيخ جراح) على طريق نابلس ، وعلى بعد كيلو مترين من سور المدينة إلى الشمال . وقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي (١٢٠١ م) ، من أمراء الملك صلاح الدين . وهو مدفون بها .

(تربة القimirية) واقعة بالقرب من ضريح الصحابي عكاشة وفي الحي المعروف باسمه غرب المدينة . مدفون بها جماعة من الشهداء الصالحين ، وهم الأمير حسام الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس القimirي (١٢٥٠ م) . والأمير ضياء الدين موسى بن أبي الفوارس (١٢٥٠ م) . والأمير حسام الدين حصر القimirي (١٢٦٢ م) والأمير ناصر الدين بن الحسن القimirي (١٢٦٦ م) . والأمير ناصر الدين محمد جابر بك ناظر الخروجيين الشريفين بالقدس والخليل (١٣٧٤ م) .

ثالث هي مقابر المسلمين وقبرهم .

ويتناول بحثنا في السطور التالية الكلام عن الحرم . ذلك المكان الإسلامي الرفيع الذي يقوم عليه مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى وما بينهما وحوطها من مساجد ومتاحف . فنقول :

مسجد الصخرة :

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، بعد أن استثار الماء .

ورصد لبناته خراج مصر لسبعين ، وعهد بإدارة العمل إلى اثنين من رجاله هما : رجاء بن حياة بن جود الكندي أحد العلماء الأعلام في صدر الإسلام ، وهو من بيان ، ويزيد بن سلام من مواليه ، وهو من القدس .

شرع البناء في البناء سنة ٦٦ هـ - ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ - ٦٩١ م
هذا هو القول الصحيح ، وإن قال غيره بعض المؤرخين .

ولما كان قد يقى من المبالغ المخصصة للبناء مئة ألف دينار ، فقد أمر عبد الملك بها جائزة إلى رجاء ويزيد . إلا أنها رفضاها قائلين : نحن أولى أن نزيرده من حل نسائنا ، فضلاً عن أموالنا ، فما صرفها في أحب الأشياء إليك . « فامر بأن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب » .

نعش اسم عبد الملك بن مروان بالخط الكوفي المذهب على قنطرة التميمة الوسي من الناحية الجنوبية الشرقية من الدائحل .

وراح الناس يزورون المسجد من كل فج ، ويطوفون حول الصخرة ، كما كانوا يفعلون حول الكعبة . ولقد أعجبوا به وبقبته الجميلة وبنائه المتن ، وتكوينه الرابع . ذلك لأنهم رأوا فيه جمال الهندسة العربية والذوق العربي متربعاً بشرياً من الطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي . ووصفه المؤرخون ، فأجمعوا على أنه من أجمل الأبنية الكائنة على وجه البسيطة . لا ، بل إنه — كما قال الأستاذ هاير لوس^(١) — من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ .

ذهب بعض المؤرخين ، ومنهم الباعوفي ، إلى أن بداية من بناء مسجد الصخرة بهذا الشكل البديع الاستعراضة عن الكعبة . إذ كان عبد الله بن الزبير قد ثار على الأمويين ، وأعلن استقلاله في الحجاز (٦٨٠ م) . فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن الكعبة ، لئلا يأخذهم ابن الزبير ، عند الحجيج ، بالبيعة .

ويقول اليعقوبي إن المسلمين ضجروا عند ما أدركوا الغاية من بناء الصخرة وهي صدّهم عن المسجد .

ولكن عبد الملك تمكن من إقناعهم بالإشارة إلى ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلات : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى * .

ومنهم من يرى أن عبد الملك إنما بناء ليكون للMuslimين مسجداً يضاهى في بهائه وبصره ما لكتاليس النصارى من الروعة ، ولا سيما كنيسة القيامة . فقد روى المقدسى أنه ، أى عبد الملك ، عند ما رأى قبة القيامة ، وكان المسيحيون يخرجون إليها من كل صوب ، خشى أن تؤثر بفخامتها وروعتها على قلوب المسلمين . فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها أو أحسن . وفعل .

وقد أصحاب المسجد ما أصابه مد بناء عبد الملك بن مروان بسبب الزلازل والعواصف والأمطار . فقد حدثنا التاريخ أنه ما من ملك من ملوك العرب والMuslimين حكم القدس إلا وكان له بعض الفضل في ترميمه . منهم الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ م) وال الخليفة العباسى المأمون (٨٣١ م) . حتى إن العمال الذين تولوا الترميم يومئذ أرادوا أن يتزلفوا للمأمون . فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . ولكنهم ، لحسن حظ التاريخ ، غفلوا عن تغير السنة التي جرى فيها الترميم .

وسقط بعض أجزاء القبة إثر زلزال حدث في زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (١٠١٦ م) . فرممت في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٢ م) . وحول الصليبيون مسجد الصخرة ، عند ما احتلوا القدس (١٠٩٩ م) ، إلى كنيسة . وبنوا على الصخرة مدبحاً . وكانوا يسمونها *Templum Domini* أي هيكل السيد العظيم . وأنشأوا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك ، وهو الذى يفصل الصخرة عن المسجد . وكان قوس النصارى فى بادى الأمر (١٩)

يقطعون من الصخرة قطعاً يحملونها إلى بلادهم ، فيبعونها بوزنها ذهباً . وذلك مما جعل الصليبيين يكسونها بالرخام .

ولما فتحت القلس على يد صلاح الدين ، أزال هذا عن الصخرة معلم الكتبة . فرفع المذبح ، وبها الصور والتماثيل . كما رفع الرخام الذي وضعه الصليبيون ، وستر جدران المسجد بالرخام ، وزين القبة من الداخل بالتفوش الجميلة . ولقد أشير إلى ذلك في الكتابة التي نقشت يومئذ في القبة من الداخل . وهي ملوك بنى آيوب كلهم ، بعد موت صلاح الدين بمسجد الصخرة . فكانوا يكتسونها بأيديهم ، ويغسلونها بماء الورد ، وإن الحاجز الخشبي الذي يحيط بالصخرة نفسها من صنع الملك العزيز عثمان .

وكذلك قل عن الماليك ، فقد اعتنوا جميعاً بعارة المسجد . ومن هؤلاء الملك الظاهر بيبرس (١٢٧٠ م) . والملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى (١٢٩٤ م) . والملك الناصر محمد بن قلاون (١٣١٨ م) . واسم هذا الملك منقوش في أسفل رقبة القبة من الداخل .

وفي زمن الملك الظاهر برغوف جددت دكة المؤذنين (١٣٨٧ م) تلك الدكة التي تراها أمامك إذا ما دخلت المسجد من بابه القبلى .

وثم ، على يد الملك الأشرف برسباي (١٤٣٢ م) بعض الترميم . وأوقف بعض الأموال ، خصص ريعها لعارة المسجد . وأنعم الملك الظاهر جقمق (١٤٤٨ م) على ناظر الحرم بألفين وخمسمائة دينار ذهبٍ وستة وعشرين قنطاراً من الرصاص ، عمر بها السقف .

وفي زمن الملك الأشرف قايتباى (١٤٦٧ م) صنعت الأبواب النحاسية وكذلك قل عن سلاطين الأتراك . فلم يعتل العرش واحد منهم إلا فكر في ترميم مسجد الصخرة أو تعمير جانب من جوانبه . ومن هؤلاء السلطان سليمان المعروف بالقانونى (١٥٤٢ م) فقد كسا الجدران من الخارج وكسا قبة

السلسلة بالرخام والقاشاني . وأن معظم التوازيذ المصنوعة من الفسيفساء من آثاره وهو الذي عمر الباب الشهابي المعروف بباب الجنة .

ومن سلاطين ين عثمان الدين عنوا بهارة الصخرة السلطان محمد (١٨١٧ م) والسلطان عبد الحميد (١٨٥٣ م) والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) والسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) ..

ولقد طرأ على القبة وعلى جدران المسجد ، مع تقادم العهد ، خلل يفعل
الرياح وتسربت مياه الأمطار إلى الجدران . فاهتم المجلس الإسلامي الأعلى
الذى كان يرأسه الحاج أمين الحسيني بالأمر ، ورممه (١٩٣٨ م) ترميمًا مؤقتاً
حال دون وقوع خطر عاجل .

ومسجد الصخرة اليوم (١٩٤٥ م) لا يزال يحتفظاً بيهاته القديمة إلا أنه
في حاجة إلى تعمير شامل يتناول جميع أنحائه . إنه واقع في وسط فضاء واسع
مرتفع عن أرض المحرم . قبته مستديرة ، قطرها ٤٤,٢٠ مترًا . وارتفاعها عن
أرض المسجد ١٠٥ أقدام . وهي مولفة من طبقتين خشبيتين : واحدة فرقالية
وهي مكسوة بصفائح الرصاص وأخرى تجاهية مزخرفة بمجموعة من الفصوص الذهبية
الملونة التي لا نظير لها في معابد الشرق والغرب . غير أن جزءاً من هذه الفصوص
قد عفا وجراً آخر قد أعيد مع الزمن بطلاء من الخص تكسوه الأصباغ . وما
تبقي من الفصوص الأصلية في حاجة إلى التثبيت . وتحت القبة تقوم الصخرة
وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ مترًا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠
مترًا . وارتفاعها عن الأرض يتراوح بين المتر والمترتين وحوظها درايزين من الخشب
المتوهش والمدهون ، وحول هذا الترايزين مصل للنساء يقه لـ بينه وبين مصل
الرجال قصب حديدي متباكيه هي التي قلنا إنها من صنع الصليبيين .

وأما الصخرة نفسها فإنها مقنعة في نظر المسلمين ، وما ذكروها مرة إلا
وقالوا عنها إنها الصخرة المشرفة ، أو مصدر شرفها أن النبي محمد عليه الصلاة

والسلام عرج منها إلى السماء ليلة الإسراء . وقيل إن إبراهيم عليه السلام قدم على هذه الصخرة ولده إسحاق صحيحة . وإن سليمان بنى عليها هيكله .

وتحت الصخرة مغارة ينزل إليها بإحدى عشرة درجة ، يسمونها مغارة الأنبياء وفي رقبة القبة ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب . والقبة نفسها تقوم على اثنى عشر عموداً من الرخام ، وأربعين أسطلين (سواري) في غاية من الإحكام والإتقان . وهي مكسوة بالرخام الأبيض المعرق .

وأما البناء الذي حول الصخرة فإنه بناء فخم مثمن الأركان . وهو مكون من ثمانيتين : إحداهما خارجية ، وهي التي تكون منها جدران المسجد . طول كل ضلع من أضلاعها المئوية ٢٠,٩٥ متراً . وارتفاعه ٩,٥٠ متر . هذا عدا الخانق العلوي (أي الدورة) فارتفاعه ٢,٦٠ متراً . وفي كل ضلع من أضلاع هذه التثمينة سبع نوافذ . تجلس ينفذ منها النور ، والتستان مسلودتان . إلا الأضلاع التي فيها أبواب المسجد الأربع فإذا في كل ضلع أربع نوافذ ، ينفذ النور منها . وهناك في كل من الأضلاع الأربع الأخرى شباك كبير ، يفتح ويغلق عند اللزوم . وقصاري القول إن في جدران المسجد ستة وخمسين نافذة ، أربعون ينفذ النور منها .

وأما التثمينة الداخلية وهي بين جدران المسجد والأعمدة الخاملة للقبة ، فإنها مرفوعة على ثمانى أسطوانات ملبسة بالرخام ، وستة عشر عموداً مختلفة الألوان . وبين التثمينتين رواق الصلاة . وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التثمينة الداخلية والدائرة الخاملة للقبة .

وتحمل هذه الأعمدة مع جدار المسجد سقفاً مزخرفاً بأنواع الدهان ، تدعى قنطر مرصعة بالفصوص الذهبية ، ويتصل طرفه بكرسي القبة . وجدران المسجد كلها من الداخل مكسوة بالرخام ، وأما من الخارج فإن القسم الأسفل منها فقط مكسو بالرخام ، والقسم الأعلى بالقاشاني البديع . غير أن

القاشاني الذي كان يكسو الصالح الغربي سقط بفعل العاصف والأمطار وتأثير الزمن .

ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة ، مصنوعة من الخشب ، ومكسوة بصفائح الرصاص .

والفناء الذي يقوم عليه المسجد واسع وربع الشكل وهو مفروش بال بلاط الأبيض من أيام الملك المنصور قلاون . إنه أعلى من أرض الحرم ويصعد إليه ، من ابعاد الأربع ، بأدراج يقوم على كل منها قنطرة يسندها أعمدة من رخام .

وللشرق من مسجد الصخرة ، وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق تقام (قبة السلسلة) . إنها من صنع عبد الملك بن مروان ، وقد بناها نوذجا يسير عليه البناءون ، واتخذها بعد ذلك بيتا للهال . وزخرفت بالقاشاني في عهد السلطان سليمان القانوني .

وهناك ، في فناء الصخرة ، قباب أخرى منها : (قبة المراج) غربي المسجد إلى الشمال . بناها الأسفهلاز عز الدين عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متول القدس (١٢٠٧م) و (محراب النبي) بين مسجد الصخرة وقبة المراج . أنشأه الأمير محمد بن ثايل صاحب لواء غزة والقدس (١٥٣٨م) . و (قبة يوسف) على بعد مئة متر من مسجد الصخرة إلى الجنوب . بناها الأمير الأسفهلاز سيف الدين علي بن أحمد في عهد صلاح الدين (١١٩١م) . و (القبة النحوية) إلى الجنوب من صحن الصخرة عند التدرج المؤدي إلى باب السلسلة ، بناها وللقدس الأمير حسام الدين أبو سعد قمباز بأمر من الملك العظيم عيسى (١٢٠٧م) . و (قبة الشيخ الخليل) على بعد بضعة أمتار من قبة المراج إلى الشمال الغربي . و (قبة الخضر) في الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربي ، وهي قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة رقيقة من الرخام .

وفي فناء الصخرة ست عشرة غرفة أنشئت خلال القرن الثاني ع من أجل سدنة المسجد ورجاله من أمته وخطباء ومؤذنين ومدرسين ، بالhind الذين تقييمهم السلطة يقصد الحراسة .

وهناك ، في أرض المحرم ، قباب ومتّشات أخرى ، نذكر منها : (قبة سليمان) واقعة إلى الجنوب الغربي من الباب المعروف من أبواب المحرم الشمالي . إنها قبة مشتملة تقوم على أربعة وعشرين رخام ، قيل إنها من متشات بني أمية . أقيمت على أنقاض بناء قديم سليمان .

و (قبة موسى) تجاه باب السلسلة وعلى بعد بضعة أمتار منه أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩ م) . وكانت على قبة الشجرة .

المسجد الأقصى :

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة بني ، منه وصل بعد بضع مئات من الأمتار ، المسجد الأقصى . وقد تم ٧٤ - ٦٩٣ م وهذا ما قاله معظم المؤرخين . وهناك من يقول إن المسجد هو الوليد بن عبد الملك ، وليس عبد الملك نفسه . ويس على حصة قوله بما جاء في الرسائل التي كتبها (قرة بن شريوك) عام على مصر في عهد الخليفة الوليد إلى أحد حكام الله هيد (٧٠٥ م) أن يرسل إليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس . والرأي عندى أنه ش في زمن عبد الملك بن مروان (٦٩٣ م) وقد تم في زمن ابنه الوليد (« ولقد طرأ على هذا المسجد تحغيرات كثيرة بسبب الزلازل والعواصف

وكانت أبوابه ، في زمن الأمويين ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم أبو جعفر المنصور ، وكان شرق المسجد وغريبه قد وقع بسبب الزلزال (٧٤٧ م) أمر بقلع هذه الصفائح . فقلعت ، وضررت دنانير ، وأنفقت عليه حتى فرغت (٧٧١ م) .

وحدث زلزال آخر سنة (٧٧٤ م) . فوقع البناء الذي أقامه المنصور . فأمر المهدي بترميمه . و عمر (٧٨٠ م) . إلا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا في عرضه .

ونحر المسجد الذي عرّه المهدي إثر زلزال وقع في (١٠٣٣ م) . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٣٤ م) حاذفاً أربعة أروقة من كل جانب ، وإن القبة الحالية والأبواب السبعة التي في شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك كتابة بالخط الكوفي وبالقسيس المذهبة منقوشة على واجهة القوس التي تحمل القبة من الشمال ، تشير إلى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ .

وفي زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٦٦ م) جددت واجهة المسجد الشهالية .

ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) استغلوا المسجد لصدهم ، فجعلوا قسماً منه كنيسة ، واتخذوا قسماً آخر مسكنًا لفرمان الميكل ، واستعملوا القسم الباقي مستودعاً للنحائرهم ، مضيّفين إلى البناء القديم بعض القناطر المعقودة . وكانتا يسمونه *Palatium Tempelum Solomonis*

وحنّدما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين (١١٨٧ م) أمر بإصلاح المسجد الأقصى ، فجدد حرابه ، وكسا قبته بالقسيس ، وأنزل كل ثغر فيه للصلبيين . وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالقسيس المذهبة تشير إلى ما فعله صلاح الدين .

وأقى صلاح الدين من حلب بالمنبر الخشبي البخميلى الذى صنعته نور الدين
محمد بن زنكى .

ولقد عنى ملوك بنى أيووب ، بعد موت صلاح الدين ، بالمسجد الأقصى .
فكانوا يكتسونه بأيديهم ، ويغسلونه بماء الورد . وكان أشدّهم اهتماماً الملك
المعظم عيسى . فإنه هو الذى أنشأ (١٢١٧ م) الرواق الذى يكون الواجهة
الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة . يقابل كل
واحد منها باباً من أبواب المسجد السبعة . وعلى واجهة الرواق الأوسط بلائحة
من الرخام ، نقشت عليها كلامات تشير إلى ما فعله هذا الملك .

ولم يكن المماليك أقل اهتماماً بالمسجد الأقصى من الأيوبيين . فقد حدثنا
التاريخ أن الذى عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلية بما يلي الغرب عند
جامع الأنبياء هو الملك المنصور سيف الدين قلاون (١٢٨٧ م) وأن القبة
نفسها جددت في زمن ولده الملك الناصر محمد قلاون (١٣٢٧ م) وكذلك
قل عن الرخام والشبابيك المصنوعة من الفسيفساء في صدر المسجد ، وبها
الشياكةان اللذان عن يمين المحراب وشماله ، والأبواب ، والسور القبلي عند محراب
داود . فإن هذه الأشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاون . وهناك كتابات
كثيرة في المسجد تشير إلى ذلك . منها الكتابة التي تجدها في القبة نفسها من
الداخل والمكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث ، وفرق الشباك الكائن شرق
الحراب ، وفي الواجهة الأمامية فوق الأروقة .

ومن المماليك الذين عنوا بعبارة المسجد الأقصى السلطان شعبان بن الملك
الناصر محمد قلاون ، وأنحوه السلطان حسن (١٣٧٦ م) والملك الأشرف إينال
(١٤٦٠ م) . والملك الأشرف قايتباى (١٤٧٩ م) . وهناك كتابة تشير إلى
ما فعله قايتباى ، نقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى
اليمين .

وكذلك قل عن سلاطين بنى هان . فإنه لم يعتل العرش منهم سلطان إلا وفcker في ترميم المسجد الأقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه . وإنما لذا كرون منهم السلطان سليمان القانوني (١٥٦١ م) . فالسلطان محمود الثاني (١٨١٧ م) وأخيه متقوش على قبة الأقصى من الداخل ، وعلى بلاطة تراها إلى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .

والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) . فإليه يرجع الفضل في عدد كبير من الشبابيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) فإنه هو الذي بعث بالشطر الأكبر من السجاد العجمي ، ذلك السجاد الذي نراه في مسجدى الصخرة والأقصى .

ولقد طرأ على المسجد الأقصى ، مع تقادم الزمن ، وهن اكتشف سنة ١٩٢٢ للميلاد . ولم يكن لدى المسلمين من المال ما يمكن لعميره . وذلك قد حدث بالمجلس الإسلامي الأعلى لإيقاد الوفود إلى الأنطارات العربية والإسلامية . وبالمال الذي جمع يومئذ وقدره مئة ألف دينار تم تعمير جانب كبير من المسجد (١٩٢٧ م) وكان أخطر تعمير جرى يومئذ ، استبدال الأعمدة القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) . وأقيمت هذه على أساسات متينة من التراسانة المسلحة . ولقد تم هذا العمل بإشراف المهندس التركي الشهير الأستاذ كمال الدين .

وما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (١٩٢٧ م) فضرر المسجد بسيء . ولكن القبة سلمت من الأذى بفضل التعمير الذي كان قد تم قبل ببرهة وجيبة .

وحدثت بعد عشرة أعوام (١٩٣٧) هزة أرضية وإن كانت خفيفة ، إلا أنها أظهرت ما كان كامناً من التراب . فتحول المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني عمارة المسجد من واردات الأوقاف العامة . وتتلخص

التعديلات التي أجريت يوم ثالث (١٩٤٣) في أحدهم هدموا الرواق الشرقي ، وكان قد تصدع تصدعاً خطيراً ، وأعادوا بناءه من حديد . وبنوا سقفه من الأسمدة المسلح بالحديد . وهدموا أيضاً الرواق الأوسط ، وأعادوا بناءه ، واستبدلوا الجملون الخشبي الذي كان يسّره بالآخر من الحديد الصلب ، وبنوا تحته سقفاً خشبياً بشكل أدق : أنفق على تذهيبه وزخرفه عشرة آلاف جنيه ، تبرّضت بها الحكومة المصرية . وأعادوا الرصاص القديم فوق السطح بعد أن أعادوا سبكه ، واستبدلوا الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام أتوا بها من إيطاليا . كما استبدلوا الأوتار الخشبية التي كانت تربط العقود بعضها بعضها بآخرى حديدية مصفحة باللّشب المدهون .

وأما الرواق الغربي فقد أبقوه على حاله بسبب نفاد المال .

والمسجد الأقصى اليوم (١٩٤٥) لا يزال محفوظاً بيهاته القديمة . طوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً . وهو قائم على ٥٣ عموداً من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل ومبنيّة بالحجارة . وفي الصدر قبة خشبية مستورّة من الخارج بصفائح الرصاص ، ويزينة من الداخل بالجص النافر المزخرف بالفصوص الذهبية الملونة . وفي الصدر أيضاً محراب كبير وإلى يمين المحراب منبر جميل هو الذي عمله نور الدين ، وأتى به صلاح الدين . وهو مصنوع من اللّشب المرصع بالماع والآبنوس . ويقابل المنبر (دكة المؤذنين) ، وهي قاعدة على أعمدة من رخام .

وفي داخل المسجد وضد زاوية القبلة إلى الشرق جامع مستطيل الشكل متصل به ، يسمونه (جامع عمر) . وإلى الشمال من هذا الجامع ليوان كبير يسمونه (مقام عزيز) أو (مقام الأربعين) . وإلى الشمال منه ليوان صغير وجميل ، وفيه (محراب زكريا) .

والمسجد أحد عشر باباً : سبعة منها إلى الشمال ، وهي كبيرة . وكل

وأحد من هذه الأبواب ينتهي إلى كور من أكوار المسجد السبعة . وباب إلى الشرق . وآخر إلى الغرب . وهناك في الناحية الغربية أيضاً باب يدخل منه النساء في طريقهن إلى الجامع المسمى باسمهن : (جامع النساء) . وفي المخمار القبلي باب غير نافذ إلا إلى زاوية ، كانت لها ماضي مدرسة .

وأمام المسجد من الناحية الشماليّة رواق كبير هو الذي أنشأه الملك المعظم عيسى ، وقد جدد من بعده . وهو مؤلف من سبع قنابر مقصورة . كل قنطرة منها تنتهي إلى باب من أبواب المسجد السبعة .

وتحت بناء المسجد الحالي دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة ، وهو ما يسمى بالأقصى القديمة .

ماذن الحرم :

وللحرم القدسى ، في يومنا هذا ، أربع مآذن هي :
 (مثلثة باب المغاربة) في الزاوية الغربية الجنوبية ، ويسمونها المئارة الفخرية .
 بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الشليلي
 (١٤٧٨ م) .

(مئذنة باب السلسلة) غرب المحرم وفوق باب الكنيسة بال تمام . بينما
الأمير سيف الدين تنكر الناصري (١٣٢٩ م) .

(مثلثة باب الغوانمة) في الراوية الغربية الشهالية . بناها القاضي شرف الدين عبد الرحمن الذي بني المثلثة الأولى . وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين (١٢٩٧ م) . وحددها الأمير تنكر في عهد الملك الناصر محمد قلاون . يطل هذا سجونة أيضاً منارة قلاون .

(مئذنة باب الأسباط) بين باب الأسباط وباب حطة ، في الناحية

الشالية الشرقية من الحرم ، أنشأها ناظر الحرمين الأمين سيف الدين قطلوبغا في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد قلاون (١٣٦٧ م)

أروقة الحرم :

وفي طرف الحرم من الغرب أروقة محكمة البناء ، أنشئت في عهد الملك الناصر محمد قلاون (١٣٥٧ م - ١٣٣٦ م) وفي طرفه من الشمال أيضاً أروقة بعضها أنشئت في زمن الملك الأوحد والبعض الآخر في زمن الملك الأشرف شعبان (١٣٦٧ م).

ولقد مد الأتراك هذه الأروقة في عهدهم ، فاتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين والمحتجين من فقراء المسلمين . إلا أن المجلس الإسلامي الذي تولى الإشراف على الحرم سنة (١٩٢٢ م) أزال جدرانها الخارجية وأرجعها إلى ما كانت عليه في عهد المماليك .

مياه الحرم :

وفي الحرم اليوم سبع وعشرون بئراً ، كلها عامرة ، خلا اثنتين منها . وفيها من الماء ما يمكن لسكان المدينة القديمة كلامهم ، وليس المسلمين الذين يغدون إلى الحرم في أوقات الصلوات الخمس فحسب . ومنها ثمانى آبار في حصن الصخرة وسبع قرية من المسجد الأقصى ، وست إلى الغرب من ساحة الحرم ، وثلاث في الشرق ، وواحدة في الشمال .

وهنالك سبل كثيرة ، نذكر منها :

(سبيل شعلان) في أسفل التدرج المؤدي إلى حصن الصخرة ، وعلى بعد

بضعة أمتار من باب الناظر . أنشأه الملك المظفر عيسى (١٢١٩ م) . وجدده الملك الأشرف برساى (١٤٢٩ م) . وجدده أيضاً السلطان مراد الرابع (١٤٤٧ م) .

(سبيل علاء الدين البصير) غرب الحرم تجاه باب الناظر ، لا نعرف من بنى ، وإنما عليه كتابة تقول إن عمارته جددت من لدن نائب السلطان وناظر الحرمين المقر الحسائى قيجا . وكان ذلك في أيام الملك الأشرف برساى (١٤٣٥ م) .

(سبيل قايتباى) تجاه باب المتوضأ ، وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق . وهو من أشهر السبل القائمة في الحرم ، وأكابرها . بناء الملك الأشرف إينال (١٤٥٥ م) . وجدده الملك الأشرف قايتباى (١٤٨٢ م) . ثم جدده السلطان عبد الحميد (١٨٨٢ م) .

(سبيل قاسم باشا) على حافة البركة المعروفة ببركة الرازح ، ويسمونها ، أيضاً الفاغنج ، على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقي . أنشأه متولى القدس قاسم باشا في أيام السلطان سليمان القانوني (١٥٢٧ م) .

وهناك سبل أخرى أنشئت على عهد هذا السلطان (١٥٣٦ م) : واحد تجاه باب السلسلة من الخارج ، والثاني بجارة الوادع عند ملتقى طريق باب الناظر بعقبة التكية ، والثالث في الحارة نفسها قريباً من باب القطائع ، والرابع في طريق ستنا مريم على بعد بضعة أمتار من باب الأسباط إلى الغرب ، والخامس في شمال الحرم وعلى بعد بضعة أمتار من الباب العجم .

(سبيل البدرى) بين باب الناظر من الغرب وسيط شعلان من الشرق بناء قائم القدس مصطنى ، في زمن السلطان محمود الأول (١٧٤٠ م) . وهناك حوض كبير يعرف بـ (الكأس) يقصده المصلون من أجل الوضوء في أوقات الصلاة ولا سيما في يوم الجمعة . واقع بين مسجدى الصخرة والأقصى

بناء الأمير تذكر الناصري (١٣٢٧ م). وهو حوض ملتوى ، مبني من الرخام .
يجرى إلية الماء من قناة تبدأ عند برك المرجع الثلاثة المعروفة ببرك سليمان .
وهي واقعة على بعد عشرة أميال من القدس إلى الجنوب .

وبالإضافة إلى القناة المتقدمة ذكرها ، وهي التي كانت إلى عهد قريب
تسى (قناة السبيل) ، وإلى الصهاريج والآبار التي تنتجم فيها مياه الأمطار
والتي ذكرناها في السطور المتقدمة ، فإن الحرم يزود بالماء من (رأس العين) .
ذلك العين التي ذكرناها في موضع آخر .

أبواب الحرم :

للحرم في يومنا هذا عشرة أبواب مفتوحة هي ، من الشمال إلى الغرب :
١ - باب الأساطاط ٢ - باب حطة ٣ - باب شرف الآباء (ويسمونه
باب العم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل) . ومن الغرب إلى الجنوب :
٤ - باب الغوانمة (ويسمونه باب الخليل أو باب الوليد) ٥ - باب الناظر
(ويسمونه باب علاء الدين البصیر أو باب الحبس أو باب ميكائيل)
٦ - باب الحديد (ويسمونه باب أرغون) ٧ - باب القطانين ٨ - باب
المفوضاً (ويسمونه باب المطهرة) ٩ - باب السلسلة (ويسمونه باب داود)
١٠ - المغاربة (ويسمونه باب النبي) .

وهنالك أربعة أبواب مغلقة هي : من الغرب ١ - باب السكينة (ويسمونه
باب السحرة) ومن الشرق : ٢ - باب الرحمة ٣ - باب التوبة ٤ - بباب
البراق (ويسمونه بباب الجنائز) .

الحرم القدسى :

إن جميع الأماكن المتقدم ذكرها ، مسجد الصخرة والأقصى وما يبيهما وحولها من منشآت حتى الأسوار ، هي التي ندعوها في يومنا هذا : (الحرم القدسى) ومساحته بوجه الإجمال ٢٦٠,٦٥٠ متراً مربعاً . وأما بوجه التفصيل فن الناحية الشرقية ٤٧٤ متراً ، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ متراً ، ومن الناحية الشمالية ٣٢١ متراً ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ متراً .

وكان موضع الحرم الحالى فيما مضى يدعى (تل المريا) . ذلك التل الذى ورد ذكره فى سفر التكويرين . وكان فيه يسبر (أرنان) اليوسى : فاشتراء الملك داود لقييم عليه الهيكل . تملكه اليهود حقبة من الدهر . ثم عاد إلى حظيرة المسلمين . فأسموه (الحرم القدسى) . لأنه مقدس في نظر المسلمين كافة . إنه هو المسجد الأقصى . . . أول القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين . . . المسجد الذى أسرى إليه بالبني العربي الكريم ، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركتنا حوله ؛ لنرىه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

هذا ما أردت تدوينه هنا عن الحرم القدسى ، وهو كما ترى موجز للغاية . وفي كتابى الذى جمعت فيه أخبار الحرم بالتفصيل وللدى أسميه (تاريخ الحرم القدسى) الشىء الكثير عن تاريخ هذا المكان الإسلامي العظيم ، فليرجع إليه من شاء .

وَنَمْ طبع هذا الجزء الأول من الكتاب وقد حدثتك فيه ،
أيها القارئ الكريم ، عن (تاريخ القدس) من اليوم الذي بناها
فيه اليهوديون (٣٠٠٠ ق. م.) إلى أواخر عهد الانتداب
البريطاني (١٩٤٧ م) . ويليه الجزء الثاني وقد حدثتك فيه عن
(النكبة) التي ألمت بهذه المدينة المقدسة بوجه خاص
وبيهود فلسطين بوجه عام من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم
(٢٩ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٧) إلى اليوم الذي
يصدر فيه ذلك الجزء . . .

مصادر الكتاب

(١) الكتب العربية

عدد	اسم الكتاب	المؤلف	ملاحظات
١	فتح الشام	الواقدي	محمد بن حمود بن واقد . ولد بالمدينة ١٣٠هـ وتوفي بي بغداد ٢٠٧هـ
٢	تاريخ ابن واضح	اليعقوبي	أحمد بن واضح . توفي سنة ٢٨٤هـ . وكتابه هذا طبع في ليدن ١٨٨٢ م
٣	تاريخ الأئم والملوك	الغزوي	الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر . ولد بتأمل (طبرستان) ٢٢١هـ وتوفي بي بغداد ١٤٠هـ
٤	تاريخ ابن البطريرق	ابن البطريرق	أرثيسيوس الإسكندرى : البطريرك المكن سعيد بن بطريرق . توفي بفسطاط مصر ٣٢٨هـ
٥	حسن التقاسيم في سرقة الأقاليم	القدسى	أبو عبد الله حسن الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا . ولد في القدس ٣٢٦هـ
٦	مساك الملك	الإسطخري	أبو الحسن إبراهيم بن محمد القارئ ويعرف بالكريحي . ولد في إسطخر . وتوفي سنة ٣٤٠هـ
٧	التنبيه والأشراف	المسعودي	أبو الحسن عل بن الحسين . توفي بي بغداد ٣٤٥هـ . اهتمت عل لسنته المطربة في القاهرة ١٩٢٨ م

ملاحظات	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
رحلة قام بها هذا السائع التركي في القرن الخامس للهجرة (٤٢٧ - ٤٤٦) وله اهتمامات عليها في مكتبة المصحف الفلسطيني بالقدس .	فاسري خسرو	سفر نامة	٨
أبو القاسم حل بن الحسن بن هبة الله . توفى بدمشق ٥٧١	ابن عساكر	الغاريخ الكبير	٩
أبو المظفر أسماء بن مرشد . . بن منقد الكتاني . ولد يقطن في قرطاج من أعمال حماده ٤٨٨ وتوفى بدمشق ٤٨٢	آسماء بن منقد	كتاب الاختبار	١٠
أبو المظفر أسماء بن مرشد . . بن منقد الكتاني . ولد يقطن في قرطاج من أعمال حماده ٤٨٨ وتوفى بدمشق ٤٨٢	أبو عبد الله محمد بن سن الدين . . المعروف بهاء الدين الكاتب . ولد ياسيني ٤١٩ وتوفى بدمشق ٤٩٧	القمع القمي في المطبع القدس	١١
أبو الحسن حل بن أبي الكرم محمد . . الشيباني الملقب مز الدين . ولد بجزيرة صور حل الدجالة ٤٩٩ وكتابه هذا يعرف بتاريخ الكلامل وكامل التواریخ .	ابن الأثير	الكامل في التاريخ	١٢
أبو الحسان يوسف بن رافع بن تميم . . الأسدى المعروف بابن شداد بهاء الدين . ولد بالموصل ٥٣٩ وتوفى في حلب ٦٣٢	ابن شداد	التراث السلطانية وأطمأن الروسية	١٣
ياقوت بن عبد الله الروى . ولد ببلاد الروم ٤٧٤ وتوفى بحلب ٦٢٦ . وكتابه هذا طبع في ليسيك من أعمال ألمانيا ١٨٦٦ م	ياقوت الشمسي	معجم البلدان	١٤
سيط بن الجوزي . أبو المظفر شمس الدين يوسف بن فراوغيل . ولد بمدناه ٥٧٢ وتوفى بدمشق ٦٥٤	سيط بن الجوزي	مرآة الزمان	١٥

العنوان	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
أبو محمد ثهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل .. المقدسي . ولد بمدشق ٩٦٥ هـ وتوفي بها ١٦٥ هـ . والمقصود بالدوليين : التورية والصلامية .	أبو شامة	كتاب الروضتين في أخبار الدوليين	١٦
فريديريوس أبو الفرج بن هارون . ولد بملاطية من أهل حيار بكر ٦٤٢ هـ و كان أستاذًا على طرابلس الشام .	أبن العبرى	تاريخ مختصر الدول	١٧
القاضي ثهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى .. الكريمانى المعروف باسم فضل الله المصرى . ولد بدمشق ٧٠٠ هـ وتوفي بها ٧٥٥ هـ . حقق كتابه هذا وطبعه شيخ المروية أحد لكتن باشا . وقد عثر حل بعض أجزاءه المبعثرة في عرائض طرب غير بالقسطنطينية .	أبن العبرى	مسالك الأهصار في عالك الأهصار	١٨
أبو زيد ولد الدين عبد الرحمن بن محمد . . بن خلدون التونسى . ولد بتونس ٧٢٢ هـ وتوفي بالقاهرة ٨٠٨ هـ . وكتابه هذا يعرف بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر) .	أبن خلدون	تاريخ ابن خلدون	١٩
نق الدين أحمد بن علي . . بن نعيم . . الشهير بالمقرئى . ولد بمحلة المقارنة ببيطليك ٧٦٦ هـ . وتوفي بالقاهرة ٤٤٨ هـ و كان يلقب بعمدة المؤرخين .	المقرئى	سلوك لمعرفة دول المثلية	٢٠
الأمير جمال الدين أبو الحاسن يوسف . ولد بالقاهرة ٨١٣ هـ طبعت بعض أجزاء كتابه في لندن ١٨٠٥ م والبعض الآخر في كاليفورنيا ١٩٤٣ م . ويجده دار الكتب في القاهرة غطبت بين ١٩٣١ و ١٩٤٢ تسعة أجزاء منه .	أبن تمرى بودى	النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة	٢١

ملاحظات	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
أبو الفلاح عبد الحق بن أحمد . . ولد بمدحشى ١٠٣٦هـ وتوفي بمكّة ١٠٩٩هـ	ابن المهاذب	شرارات الذهب في أخبار من ذهب	٢٢
الشيخ عبد الرحمن محمد بن أحمد المنهاجي . هبط القدس سنة ٨٧٤هـ وألف كتابه فيها . راجلته عل نسخه المخطوط في زحلة بمكتبة الأستاذ عيسى اسكندر الملعوف عضو المعجم العلمي في مصر رسوربية ولبنان	السيوطى	إتحاف الأئمّة بفضائل المسجد القدس	٢٣
أبو الحسن القاضى مجبر الدين المنيل . ولد بالقدس وتوفي بها ٩٢٧هـ . وكتابه هذا طبع بالمطبعة الوهبة بمصر ١٢٨٣هـ .	مجبر الدين	الأنس البطاطل ب تاريخ القدس والمنيل	٢٤
محضن أسد الدسانى المعروف بالقدس . توفي سنة ١١٧٨هـ وكتابه هذا مخطوط اطلق عليه فى مكتبة المرحوم دشيد مكي بجورة عقلانا .	القدس	سواعي الأنف برحلتى لوادى القدس	٢٥
السيد حل المترقب قرأت عنه في الكتب . ولم أطلع عليه .	السيد حل المترقب	عبر الأنساب في الديار القدسية	٢٦
الشيخ أبو العباس أحد القلقشنوى . طبع في المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١هـ	القلقشنوى	سبع الأعشى	٢٧
الدكتور سرور محمد جمال الدين . مدرس التاريخ الإسلامي في جامعة القاهرة . طبع في مصر ١٩٤٧م	الدكتور سرور	دولة ابن قلارون في مصر	٢٨
ولد بيروت ١٨٦١م وتوفي بالقاهرة ١٩١٤م . منشى مجللة (الملاك) ١٨٩٢م ومؤلف كتب كثيرة في العرب والإسلام	جرجى زيدان	تاريخ مصر الحديث	٢٩

ملاحظات	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
ولد في بلدة من أعمال طرابلس الشام ١٨٤٢ م . وكان أستاذًا لأبرشية بيروت . وكتابه هذا طبع في بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٤ م	المطران يوسف الدبس	تاريخ سوريا	٤٠
رئيس الجميع العلمي العربي بدمشق وبمؤسسه . أصله من أكراد السليمانية . ولد بدمشق ١٢٩٢ هـ . أنشأ جريدة (المقتصد) . قدم في تأليف كتابه هذا خمساً وعشرين سنة . وقد طبعت بدمشق ١٣٤٣ هـ .	محمد كرد حل	خطط الشام	٤١
رسمه مؤلفه ، وهو عضو مجلس شورى الملك بإنكلترا باللجنة الإنجليزية وقدمها A Short History of The Saracens ولذلك إلى العربية رياض رانت . طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م	سيد أمير حل	ختصر تاريخ العرب والمدن الإسلام	٤٢
طبع بدمشق ١٣٥٧ - ١٩٣٩ م	الدكتور أحمد عيسى	تاريخ الدياستلات في الإسلام	٤٣
طبع في المطبعة الرجالية بمصر له خليل بن خطاب سركيس . ولد في عبيبة من أعمال حبيل لبنان ١٨٤٢ م وكتابه هذا طبع في بيروت سنة ١٨٧٤ م	داود بركات سركيس	البطل الفاتح إبراهيم تاريخ أورشليم	٤٤ ٤٥
طبع في ديرم بالقدس ١٨٩٠ م	الآباء الفرنسيون	السير المسلم في يافا والرملة وأورشليم	٤٦
ونقولا خوري طبع في مطبعة (بيت المقدس) سنة ١٩٤٥ م	شحادة خوري	تاريخ كنيسة أورشليم الأثوذكية	٤٧

العنوان	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
كتاب طبع في دير الأقباط بالقدس (١٩٥٠ م) عن طريق امتحنت عليه في دير الأقباط بالقدس	خليل إبراهيم قرطاجينا	تاريخ الكنيسة الرسولية الأولى وشليمية	٤٨
ترجمة من الروسية حنا عيسى سارة طبع في بيروت سنة ١٩٣٤ م	الشاس كامل صالح نحلة باسيل نقولا لخوروف	تاريخ الكرسي الأولي الورشليمي للأقباط الأرثوذكس	٤٩
كتاب طبع في بيروت سنة ١٩٣٤ م ترجم من اليونانية . طبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان بالقدس ١٩١٨ م	يوسف الحاج الخوري ثاؤفاليس شار	كلام في وصف الأرض المقدسة	٤٠
أستاذ كلية ترينت في جامعة أوكسفورد . لكتابها لما الجريدة العربية (فلسطين) لصاحبها جهود العروض سنة ١٩٦٥ م . وهي الرسائل التي بعث بها بيلاتر من أورشليم إلى صديقه ستيكا في روما .	د. ب. كروزير	هيكل سليمان كنيسة القيامة	٤١
رسائل بيلاتر البطنطي			٤٢
أستاذ الاقتصاد العمل في جامعة بيروت الأمريكية طبع سنة ١٩٣٩ م	خليل طوطوح وبيوس شحادة عمر الصالح البرغوثي	تاريخ القدس	٤٤
أستاذ الاقتصاد في جامعة بيروت الأمريكية	سعید حادثة	تاريخ فلسطين	٤٥
النظام الاقتصادي في فلسطين	إبراهيم الأسود		٤٦
المرحلة الإمبراطورية في الممالك المعاصرة (لبنان) ومدير معارف الجليل في العه	صاحب جريدة (لبنان) ومدير معارف الجليل في العه	المرحلة الإمبراطورية في الممالك المعاصرة	٤٧

ملاحظات	المؤلف	اسم الكتاب	عدد
العنوان . طبع كتابه هذا في بعبدا سنة ١٨٩٨ م . نقله عن الفرنسية مكسيموس مولون الأسطواني لطائفة الروم الملكيين . ولد بحلب ١٧٧٩ م وتوفى بالإسكندرية ١٨٥٥ م	مكسيموس مولون	تاريخ الحروب المقدسة	٤٨
طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بصر ١٩٤١ محظوظ لم يطبع بعد . جمع فيه مؤلفه اخبارات الولائين التي هاجر عليها في دير السريان . وقد أطلقنا عليه .	محمد فريد درجلاني	ذاكرة معارف وجاهي	٤٩
جمع بجمع الآثار والفنون بباريس كل ما كتب المؤرخون الشرقيون (كأبي الفداء ، وأبن الأثير ، وأبن جبير وأبن حميس ، وابن الأحمر ، وأبن ثغرى برجى ، وسبط أبن الجوزى) فنقلتها مع ترجمتها إلى اللغة الفرنسية (١٨٧٢ - ١٨٨٤ م) في مجموعة أسماءها : <i>Recueil Des Historiens Des Croisades</i> وقد أطلقنا عليها الأستاذ عبد القادر المغربي حشو المجمع العلمي العربي في مكتبة القاهرة بدمشق	المجمع الفرنسي	مجموعة الحروب الصليبية	٥٠
مجمجم شامل لأسماء الكتب العربية والمعربة المطبوعة في الشرق والغرب ، ومؤلفها ، من اليوم الذي ظهر فيه في الطاعة إلى نهاية السنة الميلادية ١٣٣٩ هـ (١٩١٩ م) . طبع في مطبعة سركيس بصر ١٣٤٦ (١٩٢٨ م) .	يوسف إليان سركيس	مجمجم المطبوعات العربية والمعربة	٥١
	حكومة فلسطين	الكتاب الأبيض رقم ٢٢٢٩	٥٢

ملاحظات	المزلف	اسم الكتاب	عدد
	-	أسفار العهد القديم	٤
	-	القرآن الكريم	٥٠
أثار ل المجلس الإسلامي الأهل الاطلاع حل هذه السجلات المحفوظة في سراير المحكمة الشرعية بالقدس . وقد دون القضاة فيها جميع المواريث التي بحثت في القدس منذ سنة ٩٣٦ قهجرة إلى يومنا هذا	-	سجلات المحكمة الشرعية	٦

(ب) الكتب الإفرنجية

No.	Name of the Book	Name of the Author	Remarks
1	Jerusalem	Lionel Cust	
2	Underground Jerusalem	Charles Warren	
3	A Palestine Note-book	C.R. Ashbee	Fellow of the Royal Institute of British Architects and Civic Advisor to the City of Jerusalem.
4	The Antiquities of the Jews	F. Josephus	
5	Jerusalem the City of Herod and Saladin	W. Besant & H. Palmer	
6	The Dome of the Rock	R.T. Richmond	
7	Stirring Times	J. Finn	British Consul in Jerusalem in the middle of the nineteenth Century
8	The Palestine Campaigns	Col. A.P. Wavell	Third edition Printed in London (1935) by
9	Annals of Palestine	Monk Neophytos	Love & Brydone Ltd. translated from Greek to English by S.N. Spyridon
10	Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land	Arculfus	Translated by Rev. J R. Macpherson
11	Folklore of the Holy Land	Hannah	
12	A History of the Ancient Egyptians	Breasted	
13	A Pilgrimage to Palestine	H.E. Prostliek	

No.	Name of the Book	Name of the Author	Remarks
14	Palestine Past & Present	L. Valentine	
15	The Historical Geography of the Holy Land	G.A. Smith	
16	Our Jerusalem	Bertha S. Vester	
17	Guide to Beithlehem	R.W. Hamilton	Director of the Department of Antiquities, Jerusalem
18	Palestine In the Earliest Historical Period	W.F. Albright	J.P.O.S. Vol. XV. p.218
19	The War Graves of the British Empire	His Majesty's Government	Imperial War Graves Commission, London
20	Encyclopaedia Britannica		
21	Archeological Researches In Palestine	Charles Clermont Ganneau	translated into English from French
22	Matériaux Pur Un Corpus Inscriptionum Arabicarum	Max Van Berchem	
23	Recueil des Historiens des Croisades		Publié par les soins de L'académie des Inscriptions & Belles Lettres, PARIS.
24	Ethopi In Palestine	Enrico Cerulli	Translated into English from Latin

محتويات الكتاب

الصفحة

٧

كلمة المؤلف .

الباب الأول

القدس في عهودها الغابرة

١١	القدس اليوسية
١٣	القدس في زمن الفراعنة
١٤	القدس وبني إسرائيل
٢٠	القدس وأشور
٢١	القدس وبابل
٢٣	القدس في عهد الفرس
٢٥	القدس في عهد البيزنط
٢٩	القدس في عهد الرومان
٣٨	القدس البيزنطية

الباب الثاني

الفتح الإسلامي

٤٣	القدس وعمر بن الخطاب
٥٠	القدس وبني أمية

الصفحة

٥٤	القدس وبني العباس
٥٨	القدس وبني طولون
٥٩	القدس وبني الإخشيد
٦١	القدس الفاطمية
٦٥	القدس والأترالك السلاجوقيون
٦٦	القدس والأرتقيون

الباب الثالث

الصلبيون وصلاح الدين

٧١	القدس وحملات الصليبيين
٧٦	القدس وصلاح الدين
٨٢	القدس وحفدة صلاح الدين
٨٧	القدس في عهد المماليك

الباب الرابع

الفتح العثماني

١٠٣	القدس في عهد الأترالك العثمانيين
١١١	القدس وإبراهيم باشا
١١٧	القدس والأترالك العثمانيون (للمرة الثانية)

الباب الخامس
الاحتلال البريطاني

الصفحة	
١٣٣	حملة قناة السويس واحتلال القدس
١٣٩	الادارة العسكرية
١٤٢	الادارة المدنية والمندوب السامي الأول : السر هيربرت صموئيل
١٤٧	المندوب الثاني : القائد مارشال بلومر
١٤٧	المندوب الثالث : السر جون تشانسلور
١٥٣	المندوب الرابع : السر أرثور واكهوب
١٦٠	المندوب الخامس : السر هارولد مالك مايكيل
١٦٠	المندوب السادس : المارشال فيكتور غورت
١٦١	المندوب السابع : السر آلن غوردون كافنغهام
١٦١	الضرائب في عهد الاحتلال البريطاني

باب السادس أخبار عن القدس في مختلف العصور

رقم الإيداع

١٩٩٤/٨٦٩٦

الترقيم الدولي ISBN 977-02-4723-9

١/٩٤/٧٢
طبع وطباع دار المعارف (ج.م.ع.)

يصدر هذا الكتاب في حينه تماماً .. وإنْ كان مؤلفه قد كتبه منذ سنوات طويلة ..
لكن ما يتضمنه يجمع تاريخ القدس منذ أنشئت عام ٣٠٠٠ ق.م على أيدي
البيزنطيين .. مروراً بمراحل مختلفة تتراوح بين الازدهار والضمور ، حتى أواخر
عهد الانتداب البريطاني عام ١٩٤٧ .

وقد التزم المؤلف بأدق الأخبار والأسرار ، كما التزم الموضوعية والنظرة الشاملة ..
فلم يترك يائياً إلا طرفة .. ولا معيذًا إلا ولجه .. ولا كلمة منقرضة فوق الأسوار
والجدران إلا أمعن النظر فيها ، فجاء الكتاب بهذا مفيدةً ورائحةً للقارئ العادي
والمتخصص .



To: www.al-mostafa.com